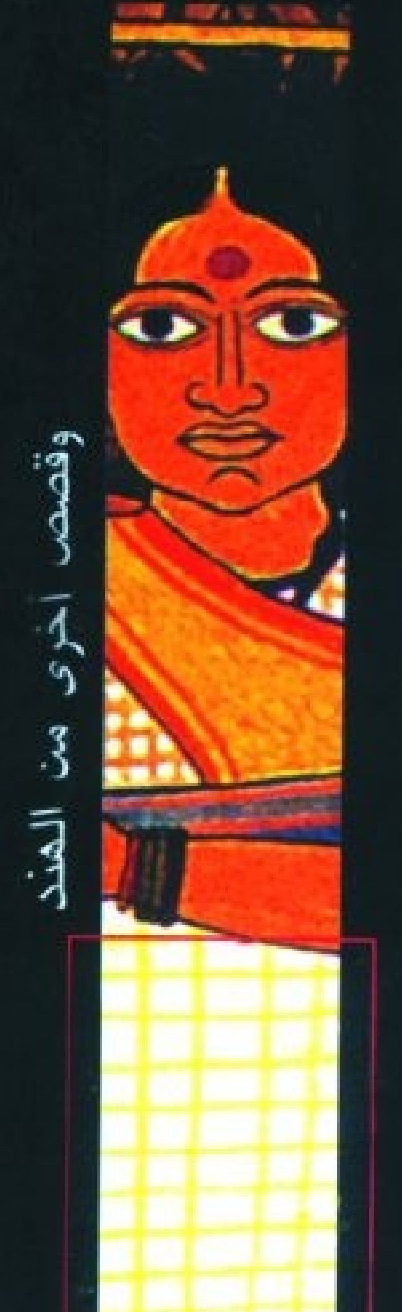
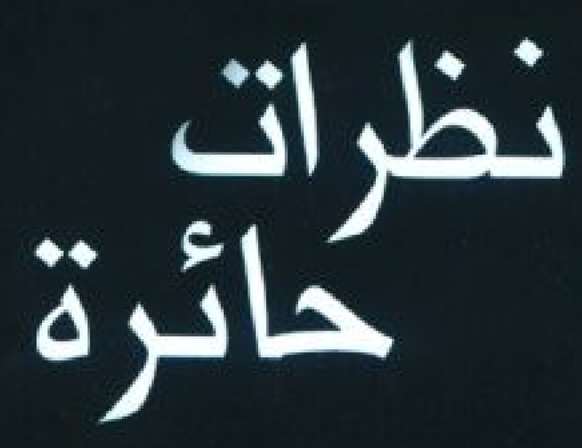
المجلس الأعلى للثقافة



المشروع القومي للترجمة





# نظرات حائرة

## وقصص أخرى من الهند

نقلها إلى العربية وقدم لها

جلال السعيد الحفناوى

338

المشروع القومى للترجمة

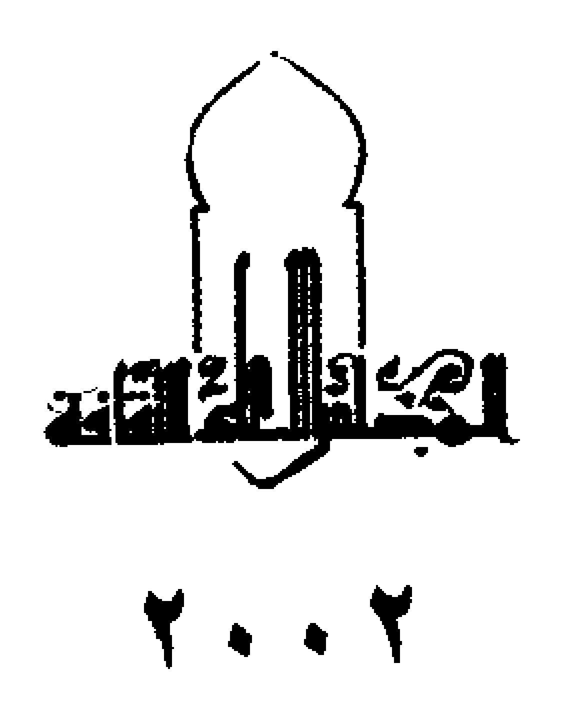
# نظرات حائرة
## ( وقصص أخرى من الهند )

نقلها إلى العربية وقدم لها :

**جلال السعيد الحفناوى**

مراجعة :

**محمد أسلم إصلاحى**




٢٠٠٢

**المشروع القومى للترجمة**
إشراف : **جابر عصفور**


- العدد : ٣٣٨
- نظرات حائرة ( وقصص أخرى من الهند )
- جلال السعيد الحفناوى
- محمد أسلم إصلاحى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م


---


شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت :٧٣٥٢٣٩٦ فاكس : ٧٣٥٨٠٨٤
El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
**Tel:** 7352396 **Fax:**7358084 **E.Mail:** G.ASFOUR@starnet.com.eg

## تقديـــم :

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة مختارة ومنتقاة مـــن القصص القصيرة التى صدرت في شبه القارة الهنديـــة فـــى الخمسين عام الأخيرة ، وقد راعيت عنـــد اختيـــارى هـــذه القصص أن أقدم نماذج من القصص القصيرة فـــى جميـــع أنحاء شبه القارة الهندية بداية من أقصى شمال الهند، وتوجد نماذجها فى قصص " آدم خان ودرخانى ، ومزرا صاحبان ، ومومل رانو ، وعمر ماروى " مرورا بمدينة دلـــهى حيـــث قدمت نماذج للقصة القصيرة فيها عند قـــرة العيـــن حيـــدر " نظرات حائرة " وبريم تشاند " الكفن " و" جاء العيد "، وتعد قصص بريم ماتشاند قمة النضج الفنى فى القصة القصـــيرة فى شبه القارة الهندية .

وقد قدمت نماذج للقصة القصيرة فى جنوب الـــهند عنـــد فقير موهان سيتاباتى " العقار المسجل " و " ام موكوندان "

" الريف " وبشيشر بردايب " الشعر الطويل " وأوشا جـــون " غدًا سيكون يومًــا آخر " .

وقد راعيت فى هذه المجموعة القصصية أن أقدم نمــاذج للقصة القصيرة فى شبه القارة الهندية عند المرأة ؛ فقدمــت " ربة البيت " عصمت جفتائى "وغداً سيكون يومًــــا آخــر" لـــ أوشاجون و " نظرات حائرة " لقرة العين حيدر .

أما قصة " الإهانة " لسعادت حسن منتو الذي ينتمي إلــى باكستان الحالية، فقد أوردت قصته هنا لعدة اعتبارات منــها أن قصته تمثل القصة القصيرة فى شــمال الــهند بمعناهــا الجغرافى واللغوى، وهى كذلك مـــن القصــص القصــيرة والشهيرة فى الأدب الأردى .

وسوف يرى القارئ فى هذه القصـــص تمثيــلاً كــاملاً للقوميات والأعراف والأديان الهندية المتعددة؛ فمثـــلاً نجــد الزرداشتية ممثلة في قصة " نظرات حائرة "، والهندوســية ممثلة فى " الكفن " و " مالك البقرة "، والإسلام ممثــل فــى قصة " جاء العيد " .

وتمثل قصة " الريف " القيم الاجتماعية الخاصة بـــالريف الهندى ، أما قصص " آدم خان درخانى ، ومزار صاحبان ، ومول رانو ، وعمر ماروى " فـــهى تمثـــل الأدب الشـــعبي الهندي فى شمال الهند، وقد كتبت معظم هذه القصص باللغـة الأردية والهندية .

وأرجو أن تنال هذه المجموعة القصصية قبـول القــارئ العربي، وتكون جسرًا للتعاون الثقافي بين مصر والهند .

**جلال السعيد الحفناوى**

مدينة ٦ أكتوبر

٣ / ٢ / ٢٠٠٢ م



# نظرات حائرة

قرة العين حيدر*

عينا تارا تتلألأن كالنجوم ، وتنظر إلى كل شئ بعيـــون حائرة ، وفى الحقيقة إذا نظر أحد إلى وجهها لا يرى ســوى عينيها الوامضتين ففى وجه تـــاراه ، لا توجـد إلا هاتـــان العينان ..

وتارا نحيلة من الفقر ، فهى لم تبدأ العمل عنـــد الســيدة ألماظ خورشيد عالم إلا منذ بضعة أشهر ، وكـــان العجـب يتملكها عندما تتطلع بعينيها إلى الفخامة من حولها فى مسكن السيدة ألماظ حتى أن عينيها لا تقويان على التقاط الأنفـــاس من هول وأبهة ما ترى ، فلم تكن تارا تحلم بأن ترى تلـــك الرفاهية ..

تارابى أرملة قروية من قرية " جوراك بور " اســـتدعاها خالها بائع اللبن إلى بومباى بعد وفاة حميها ووالديها، وكـــان هذا بعد بضعة أشهر من زفاف ألماظ التـــى رحلـت عنـــها وصيفتها التى كانت قد أرسلت معها كعادة أهالى الهند فـــى إرسال وصيفة مع العروس ( فقامت خالة ألماظ وكانت علـى قدر كبير من الرقة والنظام بإرسال أخرى لتحل محلها عـــن طريق أحد مكاتب التوظيف المنتشرة فى الهند .. برقت عينا تارابى عندما وصلت إلى ناطحة سحاب فى كمب لاهيل فـــى الطابق العاشر .. استراحت ألماظ إلى تارابى فقد كـانت ذات

طابع يبعث على الاطمئنان، ولكن تارا احتجت عندما دعاها باقى الخدم بتارابى وقالت لهم ، هل ما أزال صغيرة ، ومنذ ذلك الحين أصبحوا ينادونها تارا بدلا من تارابى (... وكانت تارا دائما منهمكة فى عملها صامتة يتنقل نظرها دوما بين السيد والسيدة . ولو كان فى استطاعة ألماظ ألا تترك زوجها ولو لحظة واحدة لفعلت فهى لم تكن لتقبل أن تعمل فى منزلها وصيفة شابة ولكنها لم تعترض هذه المرة بعد أن رأت أن تارابى نحيلة خالية من الحيوية على اختيار خالتها لها . وكانت تارابى تحضر الشاى إلى حجرة النوم كل صباح.. وبأدب جم تلمع أحذية السيد وتكوى ملابسه وتسخن الماء لحلاقة ذقنه .. وكانت يداها تتلمس باندهاش عجيب الأشياء الجميلة التى يحضرها سيدها من باريس بينما تزيل التراب عنها . وفى أول مرة نظفت تارابى فيها حجرة السيد أخذت وقتا طويلا فى لمس الكمان الموجودة فى أعلى الحجرة. ومنذ يومين ، كما اعتادت .. لمست الكمان بيد حانية ، وبينما تفعل ذلك دخل سيدها الحجرة غاضبا جدا وسألها لماذا لمست الكمان ؟ وانتزعه من يديها ورماها به وأعاده إلى مكانه بأعلى الحجرة .. حينئذ سكتت تارابى وتجمدت فى مكانها وامتلأت عيناها بالدموع فخرج صاحب المنزل من الحجرة وامتلكه شعور بشئ من الخجل ووقف فى الشرفة حيثما كانت صاحبة البيت تشرب الشاى .

اعتادت ألماظ أن تقضى نهارها عند مصفف الشعر وصالون الجمال " مانيكير وباديكير " ... ترتدى كل يوم

سارى من الحرير الملون أفضل من الآخر وتختار العطـــور والزهور وتلك الأشياء التى يزخر بها صندوق ملابسها ..

أما تارابى فهى تفكر أن الله قد منح صاحبة المنزل المـــال والجاه والزوج الوسيم لكنه بخل عليها بالجمال .. فقد شـــاع أن صاحب المنزل كان يحتفى به فى مجتمعـــات الســيدات المتمدينات لكن بعد زواجه أصبحت زوجته تضع العراقيـــل فى سبيل ارتياده هذه الأماكن والمجتمعات فإذا ذهـــب إلـــى المكتب فإنها تلاحقه بالاتصال مرارا حتى تتأكد من وجـــوده هناك ... وإذا خرج من البيت فى المساء فإنها تحرص علـــى معرفة كل الاماكن التى يزورها وتتصل تليفونيا بكل مكـــان، وعندما يخرجان فى المساء لمقابلة بعض الأشـــخاص فـــهى تهتم بشدة بمن يقابل ، فمن المستحيل عليه أن ينظـــر إلـــى أية فتاة .. وخورشيد عالم يقابل كل هذا بالابتسام والرضـــا لأن زوجه ثرية جدا وقد حصل على عمله نتيجة ثراء حميـــه فهو الذى أعطاه عمله بعد أن كان فقيرا جدا قبل زواجـــه ، وكان قد ذهب فى بعثة إلى فرنسا لدراســـة الهندســـة وبعـــد عودته لم يجد عملاً وكان مشوش الذهن عندما التقطته أســـرة زوجه .. كانت تارابى تستمع إلى تلك القصص العجيبة عـــن هؤلاء الناس العظماء بالنسبة لها من شغالى الشقة كالطباخين والحمال، وكانت عيناها تلمع وهى تستمع إلى كل هذا ..

كان خورشيد عالم عازف كمان بارع لكن بعـــد زواجـــه انهمك فى الغرام إلى حد أنه فقد نفسه فلم يعد يلمس الكمـــان لأن ألماظ تنفر من صوت الكمان فهى تكرهه بشـــدة وهـــو

يشعر بأنه مدين لها لأنها أعطته العمل، ولأن حياته قد تبدلت بعد هذا الزواج والدين شيئ يمكن أن ينسى الموسيقار موسيقاه وهو يضحى بها من أجل زوجه ...

كان خورشيد عالم قبل زواجه يسكن فى بناء متهدم قديم وكان يبحث عن العمل أما الآن كمليونير يسكن فى كمب لاهيل . وبالنسبة لرجل فإن الاحتفاظ بحالته الاقتصادية ربما أهم بالنسبة له من أى شيء آخر، ولذا فهو لن يعزف الكمان أبدا ..

حدث هذا منذ سنة ونصف وكانت ألماظ تسكن فى بناء ضخم مع أبيها فى مالابارهيل، وكانت اجتماعية جدا وبما أن سنها قد تقدمت فقد نفضت يديها عن الزواج ويئست منه، وقابلت خورشيد عالم فى حفلة ما وكانت خالتها قد دبرت هذا اللقاء بعد أن عرفت أن هذا الشاب خورشيد من شمال الهند ، قد رجع من أوروبا يبحث عن عمل ولكن لا يقبل فكرة الزواج لأنه ترك فى فرنسا فتاة ينتظرها . فركزت عليه خالة ألماظ ووظفه والدها فى احدى شركاته مقابل ١٥٠٠ روبية ،ودعاه والدها مرارا إلى بيته فزادت اللقاءات بينه وبين ألماظ تلقائيا لكن الفتى لم يظهر أى اهتمام بالفتاة .. بعد عودته من العمل كان عليه أن يمضى وقتا عند ألماظ وبعد أن يمل من حوارها السطحى يتركها متجها إلى الشرفة التى اعتاد أن يتطلع منها إلى البحر وهو يفكر أن يوما ما " سفينتها " سوف تحط على هذا الشاطئ وسوف تنزل منها ويراها، فقد كان من المفروض أنها سترجع معه لكن شغلها

فى باريس لم يكن قد انتهى .. ويظل محدقا فى البحر وتـلتقى إليه ألماظ وتضع يديها برفق وتسأله عما يفكر فيـــه ولكنـــه يكتفى بالابتسام بشئ من الخجل .. وفى أثناء العشاء يتحدث مع والد ألماظ فى الأمور السياسية والاقتصادية ثم يعود إلـــى مسكنه الفقير وهو متعب فيخرج الكمان ويعزف الألحان التى عزفها معها فى باريس، وكان يتراسلان فيما بينـــهما وفـــى رسالته الاخيرة أخبرها بأنه حصل على عمـــل جيـد فـــى بومباى نفسها ، أما الأشواك المتعلقة بهذا العمل فلم يشر إليها مطلقا ، هكذا مضت سنة ولم يذكر شيئاً عن الـــزواج مـــن ألماظ الذى لم يظهر فيه أية رغبة لكن الخالة فكرت أنه مـــن الأفضل أن تتكلم هى عنه بصراحة .

فى هذا الوقت جاءت برقية من أحد أقربائه بـــأن والـــده مريض جدا فحصل على إجازة وذهب لرؤية والـــده . ولـــم تمض أيام كثيرة على رحيله ، وكادت ألماظ تيأس من فكـــرة الزواج منه، وخرجت مع صديقاتها للاستماع إلـــى عـــازف بيانو ألمانى فى معزف تاج محل، وكالمعتاد اجتمع رهط من الناس فى الحجرة البلورية .

وكانت هناك فتاة مجوسية ذات عينين بـــاهرتى الجمـــال توزع برنامج الحفل الموسيقى، قامت احدى السيدات بتقديمها إلى ألماظ قائلة الانسة باروتشا دستور ثم ولت عنها، وكعـادة ألماظ تفحصت الفتاة بانتقاد وكانت الفتـــاة جميلـــة "للغايـــة" وعادت ألماظ وسألتها بترفع : ماذا قلت عن اســـمك .. ردت

الفتاة ببساطة باروتشا دستور . فقالت ألماظ : أنا لم أشاهدك من قبل فى أية حفلة موسيقية .

فأجابت باروتشا : لقد عدت فقط من أسبوع بعد أن قضيت سبع سنوات فى باريس .

- إذن أنت تتكلمين الفرنسية بطلاقة .. ولم يعجب هذا ألماظ خورشيد عالم .

- أجابت : نعم ( وكانت تضحك ) .

- فى هذه اللحظة كان كبار الضيوف يتجهون نحو عازف البيانو .

قالت باروتشا : معذرة .

ثم بدأت فى الحديث مع سيدة إنجليزية فى تفاصيل فنية عن الموسيقى، وفى هذه اللحظة أيضا جاءت ألماظ لتصطدم معها مرة أخرى بينما بدأ البوفيه فى تقديم المشروبات . ...

قالت باروتشا لألماظ تعالى نجلس هنا ..

وبقرب النافذة جلستا على مائدة فى مواجهة إحداهما الأخرى، ثم قالت ألماظ: تبدين كخبيرة فى الموسيقى الغربية.. حيث إنها لا تستطيع تحمل الفتيات الجميلات صغيرات السن .

قالت : نعم لقد ذهبت إلى باريس للدراسات العليا فى فـــن البيانو . بدأت ألماظ فى القلق وتواردت الخواطـــر عليـــها منبئة بعلامات الخطر، نظرت فى الخارج على البحر ومياهه الزرقاء الصافية وقالت: يا له من أمر مثير عندنا بيانو أيضا تعالى يوما ما لتعزفى عليه ..

قالت : بكل سرور .. سوف أحضر

قالت ألماظ: ماذا تفعلين في يوم السبت؟ عنـــدى حفلـــة ، وصديقاتى سيكن سعيدات جدا بلقائك .

ثم أضافت: أين تعيشين ؟

فأعطتها باروتشا عنوان حى فى تارديو وعندما قالت ذلك اطمأنت ألماظ إلى أن المكان يسكن فيه الفقراء فقط .

واستطردت باروتشا : أنا أسكن مع عمى فقد توفى والدى وليس لى أخوة وقد ربانى العم فليس له أولاد . والعم موظف فى بنك ،كانت تروى قصتها بسهولة لأنها كـــانت بســيطة، وبعد الحديث القصير نظرت إلى البحر وقالت فجأة: عندمـــا اقتربت سفينتى نحو الشاطئ فى الأسبوع الماضى انتـــابنى إحساس أننى مثل الأجانب بعد كل تلك المدة التى غبتـها وأن هذه المدينة قاسية كما تعرفيـــن يـــا ألمـــاظ .. والأصدقـــاء المخلصون من النادر أن نجدهم لكننى محظوظـــة جـــدا أن قابلتك اليوم .أومأت ألماظ برأسها وسألت كيف ذهبت إلـــى باريس ؟

قالت : ذهبت فى منحة وبعد أن نلت شهادة عازف البيانو بقيت فى كلية الموسيقى أقوم ببعض الأبحاث والدراسات ، كنت سعيدة هناك .. لكن كان عمى وحيدا هو وعمتى وهما كبيران فى السن وأصبحت عمتى صماء فرجعت من أجلها وعلاوة على هذا ..

قاطعهما شخص ما قائلا : أهلا ألماظ .. أنت تجلسين هنا؟ إن السيدة مالجمونيكر تدعوك ..

ولم يكتمل حديث باروتشا .. اعتذرت ألماظ وقالت إنها سترسل السيارة يوم السبت فى الساعة الحادية عشرة ثم نهضت واختفت فى الحفل .

وفى يوم السبت وصلت باروتشا إلى بيت ألماظ حيث كان الحفل فى أوجه، كانوا يديرون موسيقى الخنافس Beatels وبعض الفتيات اللاتى اشتركن فى عرض الازياء كن يتحدثن عن هذا العرض، وكن جميعا يتحدثن بالإنجليزية حتى يبدين وكأنهن من النخبة وكن يرتدين البنطلونات الستريتش بدلا من الزى الهندى، وفكرت باروتشا لبرهة أنها لم تعد فى الهند فكان الجو لا يوحى بذلك وكانت برروتشا تنتمى إلى طائفة تحاكى الغرب لكنها بعد سنين فى أوربا أدركت أن الناس فى الغرب ينظرون بالأسى للنساء الهنود اللاتى يحاكين الغرب وعاداته بدلا من التمسك بالتقاليد الهندية كما تبدو فى لوحات الأجنتا الحية ..

لهذا السبب كانت باروتشا تتمسك بالزى الهندى الصميم وعندما رأت هؤلاء الفتيات تركتهن وذهبت إلى الشرفة تتطلع إلى البحر ورأت هذا البرج "برج الصامتين" [١] وعندما نظرت إلى السماء رأت النسور تدور حول البرج، وساد الجو صمت ، صمت مخيف فارتعشت وعادت إلى الداخل وجلست على أحد المقاعد .. وكان فى ركن الحجرة بيانو كبير وكانت فتاة قد أدارت أسطوانة هارى بيلافونت والصوت يملأ المكان .

" فى الطريق لعدة أيام          الليالى السعيدة "

" الشمس تسطع يوميا على قمم الجبال أخذت رحلة على سفينة مبحرة "

" وعندما وصلت جامايكا وقفت ولكن اليوم حزين أنا فى طريق "

" ولن أعود لعدة أيام لأترك فتاة صغيرة فى كينجز تاون".

ألماظ ذهبت إلى الشرفة صامتة وبعد انتهاء الاغنية قالت لباروتشا: نحن غير مثقفين للغاية ، بينما عازفة بيانو ماهرة موجودة نستمع إلى الاسطوانات .. هيا بنا ..

---

[١] يوجد " برج الصامتين " فى مدينة بومباى فى الهند . وينتمى لطائفة المجوس الذين يأتون بموتاهم ويضعونهم أعلى هذا البرج حيث تنهشهم الطيور الجارحة طبقاً لعقيدتهم.          **( المترجم )**

باروتشا جلست أمام البيانو : ماذا ألعب ؟ أنا أعرف فقط الموسيقى الكلاسيكية.

قال الجميع : أوه .. لا .. بوب .. نحن نريد موسيقى بوب .

حسنا .. فلتعزفى أغنية هندية على الأقل .

قالت : لا أستطيع فأنا لا أعرف الأغانى الهندية .. لكن أستطيع أن أتذكر غزلا علمنى إياه .

ثم أطرقت قليلا ولم تتكلم .. فسخرت منها إحدى الفتيات وكانت لغتها الاردية قائلة : أوه .. الآن ستعزفين شعرا بالأردو ، فعزفت ببطء على البيانو نغمة أثارت الإعجاب .

قالوا لها : غنى معها . . ( صاحت كل الفتيات ) .

قالت : لا أستطيع أن أغنى لأن نطقى بالأردو ليس جيدا.

قالوا : قولى على الأقل الكلمات ونحن سنغنى .

قالت باروتشا : هكذا تجرى الأغنية ..

أنت أمامنا .. قل أين أنت .. كيف أنظر إليك

أنظر إليك بين حين وآخر ولكنى لا أجدك

شاركت البنات قائلات .. أنظر إليك بين حين وآخر

وبدأوا فى التصفيق .. الآن نريد شيئا غربيا

قالت فتاة : فتاة فى رؤيا لشوبان .

قالت باروتشا : هذه الاغنية كنا نلعبها أنا وخطيبى وكـان يصاحبنى بالعزف على الكمان .

خطيبك أيضا موسيقار .. سألت إحدى الفتيات .

قالت : هو ليس محترف ولكنـه هـاو .. وبـدأت فـى العزف..

فى الأسبوعين التاليين .. عقدت ألماظ صداقة عميقة مـع باروتشا، وفى هذه الأثناء حصلت باروتشا على عمـل فـى إحدى الكليات لتدريس البيانو وكان العمل سيبدأ بعد انتـهاء الإجازة .

وكانت تدّرس لفتاة أمريكية ثلاث مرات أسبوعيا .. فكـان عليها أن تجد بعض العمل .. وكان هذا الأمريكي والد الفتـاة قد ماتت زوجته ولكى ينسى حزنه أتى إلى بومباى مع أطفاله وكان ينزل فى فندق الشـمس والرمـال Sun & Sand وكانت " بارديو " بعيدة عن هذا الفندق لكن الأمريكي كـان مقدرا لذلك فكان يعطيها راتبا جيدا وكانت باروتشا سـعيدة جدا بحياتها . وبعد أيام كان من المتوقع أن يعود " هو " مـن بلده إلى بومباى ولم تشأ باروتشا أن تخبره بأنـها رجعـت وبدأت فى العمل .. لأنها كانت تريد أن تفاجئه .

وفى أحد الأيام كانت باروتشا تتنزه مـع ألمـاظ وفجـأة سألتها ألماظ عندما وصلوا عند نافورة : أين تعلمـت تلـك الأغنية ؟

قالت : أوه .. فى باريس .

- باريس ؟ .. من الذى علمك ؟

- خطيبى ... " قالت "

- أوه .. باروتشا  أنت تحتفظين بالأسرار بخبث .. أنـت ماكرة! لم تخبرينى حتى الآن .. أنه من طائفتك .. هـا حقا ؟ وجلست ألماظ على حافة النافورة. قالت باروتشـا: كان أبى تقليديا لكن عمى مستنير فسمح لى

- ما اسم الخطيب؟

هناك قصة مثيرة غريبة عن الأسماء .. خورشيد عـالم وقع فى الحب بسبب عينيها فعندما رأى عينيها اللتين تشبهان زهرة النرجس .. عندما قابلها فى سفارة الهند ببـاريس أول مرة وقدمها أحدهم قائلا : هذه باروتشا .

قال خورشيد عالم فى شقاوة : بل يجب أن يكون اسـمك نرجس ، قالت : نرجيش ؟ هو اسم عمتى ، لا حول ولا قوة الا بالله قالها خورشيد بدون تردد كأنه عرفها منذ زمن .

- نرجيش ، باروتشا ، خورشيد لقد أخذتم الأسماء الإيرانية ..

هل تسمحين لى بأن أدعوك فيروزا ؟ هل هناك ما يمنع؟

قالت : أبدا لا، وضحكت باروتشا .

ومرة أخرى على ضفة النهر قال خورشيد عالم وهو يمشى :

عيونك الجريئة .. عيونك المثيرة

تتلألأ كالحورية كالشهاب الثاقب

مثل الماس والجواهر ... مثل الضحى كرذاذ المطر

فزهور النرجس تبدلت إلى عيونك ..

سألتها ألماظ ما اسم هذا الشخص ؟

انتبهت باورتشا إلي صوتها الجاف .. خورشيد عالم – قالت هذا بعد سكون للحظات ارتجفت باروتشا ونظرت إلى ألماظ وهى تقول : يا لها من مصادفة غريبة باروتشا ، اسم خطيبى أيضا خورشيد عالم ويعزف على الكمان ورجع من باريس أيضا وفى هذه الأيام ذهب لمقابلة أبيه فى بلده .

برقت سماء أغسطس بعنف لكن لم يلاحظ أحد هذا البرق الخاطف الذى وقع على باروتشا دستور .. سكنت لبرهة . ثم نظرت إلى المبنى الفخم وفكرت فى بيتها الحقير فى تارديو

.. برقت السماء مرة أخرى فأضــــاء الــبرق جــزءا مــن مالابارهيل وفجأة فهمت باروتشا كل شيء ولماذا لم يذكـــر خورشيد عالم شيئا فى رسائله عن ألماظ ولم يذكر شيئا عــن الزواج .. قامت ببطء وقالت بهدوء : حسنا ألماظ مـــبروك عليك الخطبة مع السلامة .

هل تذهبين باروتشا ، سيارتى ستوصلك .. أيها الســائق، تكلمت ألماظ بسكون (( لا شكرا )) قالتها باروتشا وهى تكاد تركض إلى الباب .. ومن الناحية الأخرى جــاء الأتوبيــس وتوقف .. عبرت الشارع وقبل أن تدخل الأتوبيــس وقفــت وكانت تنظر إلى الباب والمطر ينهمر بغزارة، وكانت أوراق أشجار النخيل تتدلى وبسرعة جذبت نفسها مبتعدة عن الطين وقفزت فى الأتوبيس .

بعد ثلاثة أيام وصلت ألماظ رسالة من خورشيد عالم كتب فيها أن والده مريض جدا ولذا لا يستطيع العودة سريعا .

ثلاثة أيام بعد هذا الحدث وصلت رسالة خورشيد عالم إلى والد ألماظ قال فيها أن أباه مريض بشدة ولهذا السبب طلــب إجازة أطول .

كان خورشيد عالم قد أخبر آباه أنه لن يتزوج من ألمــاظ ولكن ينوى الزواج من فارسية مما أحدث لأبيه صدمة شديدة كانت سبب ما ألم به من مرض وكان هذا ما لم يخبر به والد ألماظ فى الرسالة ..

وكان واضحا من رسالته أنه كان شديد القلق لدرجـــة أن ألماظ ردت على رسالته بنفسها .. وقالت لـــه : يمكنـــك أن تتغيب كما تشاء ، فأبى لا يعتبرك غريبا ونحن نشاركك فـي آلامك وقلقك .. فلماذا لا تحضر أباك إلى بومباى للعلاج ؟

وقالت له : لقد ذهبت أمس إلى السباحة فى فندق " صـــن آند ساند " وقابلت هناك فارسية مثقفة جدا تدعـــى باروتشـــا دستور تعزف على البيانو وعادت مؤخرا من باريس وأظـــن أنها صديقة لشاب أمريكي وتقيم معه فى " صن آند ســـاند " أكتب لك هذا عنها لأنك ربما قابلتها فى باريس ..

وقالت : الآن أحضر أباك .. أرسل برقية حتـــى نحجـــز غرفة له فى مستشفى بريتش كاندى .. المخلصة ألماظ .

فى المساء وقف التاكسى عند منزل قديم فى تارديو ونزل منه خورشيد عالم وعندما أخرج مفكرته نظر إلى العنـــوان ووضع قدمه على السلم الذى كان منغرزا قليلا فى الرمال .

فى الداخل .. فى حجرة مظلمـــة رأى عجـــوزا فارســـيا يرتدى بنطلونا أبيض متسخا وصديريا وقبعة مستديرة حـــول رأسه يحيط الزنار، وكان يدعو ببعض الأدعية. وفى جـــانب يوجد كرسى متسخ مريع وفى المنتصف مائدة بلاستيكية غير نظيفة، وعلى الحائط صورة كبيرة لزرادشت ورائحة قويـــة لجوز الهند والسمك تملأ المكان..

عجوز فارسية ترتدى ساريا أحمر من الجورجيت تربـــط رأسها بمنديل وكانت تهز رأسها يمينا ويسارا .

سأل : هل الآنسة دستور موجودة ؟

قالت : باروتشا ؟ وكانت تنظر إليه بعينيـــــن ضعيفتيــن وأجابت: باروتشا ؟ صن آند ساند .

قال : ماذا ؟ هل انتقلت الآنسة باروتشا إلى هناك .

هزت رأسها بالايجاب ..

قال: مع من ؟ مع من ؟ قالها خورشيد عالم بارتباك..

دخلت إلى الحجرة وأحضرت كـــارت زيـــارة وأعطتــه لخورشيد عالم فى يده وكان مكتوبا عليه اسم أمريكي .

هل أنت السيد خورشيد عالم؟ لقد ذكرت باروتشـــا أنــك ستجئ ، وإذا جئت تسأل عنها يجب على فورا أن أتصل بها تليفونيا وأخبرك أين هى .. وأخرجت من بلوزتها ٢٥ قرشــا للتليفون .

كان خورشيد عالم مذهولا وهو ينظر إليـــها وقـــال : ألا تعترضين على هذا الوضع .. هزت رأسها بالنفى .. وقـــالت نحن فى فقر مدقع .. لكن الآن باروتشا مع هذا الأمريكي .. وفجأة أدركت المرأة أنها لم تدعه للدخول فدعتـــه .. ولكـــن خورشيد عالم كان واقفا هناك كأنه تمثال وفجأة انتبه وعـــاد إلى التاكسى ..

قالت العجوز ملوحة : مع السلامة .

الرجل العجوز أنهى صلاته واندفع إلـــى الخـــارج لكـــن التاكسى كان قد مضى .

فى ليلة خطبة خورشيد عالم وألماظ .. كـــــانت الســـماء تمطر بشدة حتى أن السماء والبحر كانا كأنهما شئ، واحـــــد ... وقبل العشاء كانت تمطر .. خورشيد عالم ووالد ألمـــــاظ ودكتور صديقى الذى جاء مؤخرا إلى بومباى كانوا يقفـــون فى الشرفة وفى الجانب المظلم من الأدغال كانت الأشـــجار مغرقة بالماء، والرياح رطبة كما لوكان الهواء مشبعا بالمـــاء ومن الصالون تعالت الضحكات ودوت القهقـــهات . كـــانت أضواء الشموع تتلألأ فوق البيانو الكبير وكان الجو شاعريا، فى الممر رن الهاتف جاء الخادم إلى ألماظ وقـــال مكالمـــة لخورشيد عالم ورغم أنها كانت العروس إلا أنها قفزت إلـــى التليفون ومن مستشفى عام سألت الممرضـــــة هـــل الســـيد خورشيد عالم موجود ؟ قالت لها ألماظ ماذا تريدين منـــــه ؟ كانت تسألها بنبرة حازمة .

قالت الممرضة : منذ شهر .. تعانى هنا الآنسة باروتشـــا دستور من مرض شديد واليوم ازدادت الحالة سوءا وطلبـــت لو كان من الممكن للسيد عالم أن يجئ هنا ؟

قالت ألماظ: السيد عالم غير موجود .

- هل أنت متأكدة ؟ قالت الفتاة .

- طبعا، أنا متأكدة جدا .. قالت ألماظ وكأنها ترتعد .. وأردفت : هل تعتقدين أنني كاذبة ؟ ووضعت سماعة الهاتف ثم عادت بهدوء إلى كرسيها بعد ساعتين رن الهاتف .. دكتور صديقى .. مكالمة لك .

قال أحدهم .. تليفون من المتحف ينبغى عليك أن تذهب إلى المستشفى حالا. ذهب إلى الهاتف ، ونادى ألماظ معذرة يجب أن أسرع إلى المستشفى .. ألماظ جاءت إلى الباب وقالت يجب أن تأتى غدا .. نحن نذهب إلى "بونا" لنقضى نهاية ا.لأسبوع .

- بالتأكيد .. عمت مساء .. وذهب .

من مستشفى بريتش كاندى رجع والد خورشيد عالم وهو سعيد إلى قريته وحتى ذلك الوقت لم تكن الشقة التى كانت جزءا من مهر العروس جاهزة .. وبعد الزواج مكث مع والد ألماظ بعض الوقت وكان معتادا على الوقوف بالشرفة ..

ومن خلال الأشجار الكثيفة فى الحديقة ظهر ممر ضيق يمتد إلى برج الصامتين – حيث تستطيع أن ترى الكهنة فى ملابسهم البيضاء من وقت إلى آخر يحملون الجثث بينما كانت الطيور تحوم حول المكان..

وعند بوابة برج الصامتين يقف عجوز فارسى مرعب يرتدى ملابس بيضاء والندابون يهبطون إلى أسفل التل ويجلسون فى سيارتهم.. وفى خارج البوابة كانت الحياة

تجرى كالمعتاد والأمواج فى البحر ترتطم بالشاطئ، وفـــى الجانب المقابل إعلان لشركة الطيران الهندية لاير انديا Air India

يدعو الناس إلى السفر إلى الأماكن الجذابة وتذكر.. أنـــها كتبت مرة " الذهن له ألف عين لكن القلب له عيـــن واحـــدة ولكن عندما ينتهى الحب تنتهى الحياة " كانت الأمواج تفنـــى عند الشاطئ واحدة تلو الأخرى والسحب ذابت مـــن فـــوق الرؤوس وعندما ماتت فى ليلة عاصفة وصعدت روحها إلـى السماء .. سألوها : من أنت ؟ قالت : لا أعلـــم فقـــد مـــت البارحة فقط .. فأين روحـــها الآن ؟ الأمـــوات يســـافرون بسرعة .

" تارابى " تنظر إلى أدوات المنزل بحيرة وكانت دائمـــا تحملق فى وجه السيد عالم .. ألماظ تنتظر مولودا ولذا كانت أعباء تارابى تتضاعف ..

اليوم .. فى الصباح .. دكتور صديقى ، أخصائى عيـــون .. عندما أحضرت له تارابى الشاى فجأة لاحظـــها وســـألها بسعادة : تارابى ........؟ أنت تعملين هنا ؟ قالت: نعـــم .. سيدى الطبيب ، أجابته تارابى بشئ من الحياء .

- هل تستطيعين الرؤية بوضوح ؟ نعم سيدى كـــل شـــئ واضح وجيد ، وتوجه إلى السيد والسيدة عـــالم : هـــذه الفتاة فقدت بصرها وعمرها عشر سنين لكن عماها كـان

مؤقتا : هل تتذكرين ألمــاظ يــوم خطوبتــك .. كنــت مضطرا للذهاب إلى المستشفى فهناك توفيــت الآنســة باروتشا دستور وكانت قد أوصت بعينيــها إلــى بنــك العيون .. بهذا فقد استدعيت فــورا بعــد وفاتــها كــى أستأصل قرنيتها .. وكانت عيونها نرجسية جميلــة لا أعرف من كانت هى .

وكانت هناك عجوز تقف بجوار سريرها منخرطــة فــى البكاء وكان مشهدا مأساويا جدا وبعد أيام فقط من هذا أحضر خال تارابى ، تارابى له .. وكان أحد الأطباء قد أوصى لــها بزرع قرنية فأخذت عيون الآنسة دســتور ووضعتــها لــها انظروا لها كيف تتلألأ تلك العيون كالنجوم والله إن الطــب اليوم يقدم لنا المعجزات .أنهى دكتور صديقى حديثه براحــة كبيرة .. وأشعل سيجارته . احمــر وجــه ألمــاظ ونــهض خورشيد عالم كما لو كان أعمى يتحسس طريقه ذاهبا إلــى غرفته .. تارابى تركض خلفه إلى الحجرة .. عندئذ التفــت إليها ونظر محملقا فيها . لم تفهم تارابى شيئا وعندئذ لم تــدر ماذا تفعل .. فذهبت إلى المطبخ لتغسل الصحون . [١]

---

* قرة العين حيدر كاتبة هندية رائدة فى مجال الرواية الهندية الأرديــة وحصلت على عدة جوائز محلية وعالمية . ولدت عــام ١٩٢٧م فــى ولاية اوتربراديش فى شمال الهند . وقد عاصرت أحداثاً هامــة فــى تاريخ شبه القارة الهندية خاصة أحداث التقسيم الى الهند وباكســتان .

حيث هاجرت إلى باكستان وعاشت بها اثنى عشر عاماً . ثـم عـادت مرة أخرى إلى الهند وتفرغت لأعمالها الأدبية وهى تعيـش الآن فـى نيودلهى وتكتب باللغة الأردية ومن أشهر رواياتها " آج كادريـا " أى " نهر النار "وتؤرخ فيها لأحداث التقسيم ونالت هذه الرواية الفخمة التـى تقع فى تسعمائة صفحة أكبر الجوائز الأدبية فى الهند . وعنوان هـذه القصة التى قمت بترجمتها بالأردية " نظارة در ميان " **( المترجم )**

# الشعر الطويل

**بشيشر براديب ***

كان قد تقرر أن زواجها سيعقد بعد ستة أشهر من الخطبة، وكان أبواهما قد رضيا بأنهما سوف لا يتبادلان الرسائل خلال هذه الشهور الستة فحسب بل يلتقيان ويتجولان مجتمعين ، لكي يتعرف كل منهما على الآخر ويتقرب منه .

ولم يكن قد مضى بعد ذلك الاتفاق إلا شهر واحد حتى علمت " مُكتا " أن الشيء الذي راق " سمير " أكثر من أي آخر هو شعرها الطويل الفاحم ، شعرها الذي يلامس ركبتيها تحت خصرها إذا كان مضفورًا ، وكان يغطي ظهرها برداء حريري أسود إذا كان مسترسلاً أخبرها بذلك صديق لـ " سمير " كان من أصدقاء عائلتها أيضًا ، وكان يختلف مع قرينته إلى منزلها من حين لآخر . وهذا الصديق وزوجته هما اللذان بواسطتهما بدأ حديث خطبتها لسمير ، وكانا بمثابة جسر بين العائلتين بعد انعقاد الخطبة كذلك ، وهما اللذان كانا قد أخبرا بأن " سمير "وأبويه وأخويه عندما رأوا " مكتا " عقدوا في منزلهم اجتماعًا خاصًا قبل الإيجاب بـ " نعم " ، وكان هذا الصديق وزوجته هما الآخران يشهدان هذا الاجتماع . كان كل واحد يبدي رأيه في حق " مكتا " ، وكان الحديث يجري حول لون " مكتا " وملامح وجهها وقامتها وشخصيتها وميزاتها الأخرى ، وفي نهاية الاجتماع بدأت

عملية الاقتراع ، بدءوا يعطون كل صفـــــة فيــها درجــات تستحقها .

انتبهت " مكتا " وأصغت لحديث الأرقام وسألت قائلة :

كيف تمت عملية الترقيم يا عم ؟

إنهم حددّوا مائة درجة لكل صفة ، وكان كل واحد منـــهم يعطي كل صفة ما تستحقه من الدرجات وكان من المقرر أن تجمع الأرقام ويستخرج معدلها ، وعلى ذلك فكانت درجــات كل صفة على النحو التالي :

القامة : ٨٠ في المائة

الملامح : ٧٠ في المائة

نعم ! طيب قالت أم "مكتا"

اللون : ٥٠ في المائة

أجل ! ذلك خطأ ، فليس لونها سيئًا بهذا القدر ، وجهت أم " مكتا " اعتراضها بقوة

أسلوب التكلم : ٧٠ في المائة . تقدم العم في حديثـــه دون أن يبالي باعتراض أم " مكتا"

وأما الشعر فكانت أرقامه مائة في المائة .

حسن جدًا أي والله . صرخت " مكتا " قائلة .

نعم يا مكتا ! لقد أعطى كل واحد شعرك مائة في المائة، بل إن " سمير " أعطاه مائتي في المائة

وتعالت ضحكة مجلجلة ، وشعرت " مكتا " كأن شــعرها ليس شعرًا وإنما هو تاج أو إكليل ، وإنها ليست فتاة عاديـــة بل هي ملكة معظمة فدفعت بكبرى ضفائرها على ظهرها في دلال وجعلت الأخرى على صدرها وانطلقت إلى حجرتـــها ، قائلة في نفسها : " سمير " معجب بشعرها لدرجة أنه أعطـــاه مائتين في المائة !!

وفي اليوم التالي كانت هي على موعـــد مـــع " ســـمير " لتذهب إلى صديقة لها كانت قد دعتها على مـــائدة الغـــداء . كانت صديقتها هذه بيضاء اللون حادة الملامح أجمل منـــــها بكثير ، وكانت تحمل شعراً كشعر الفتيان ، وكانت تنصـــح "مكتا" أيضًا بذلك دائما ، وكانت تقول لها :

" قص شعرك يا مكتا أو قصريه إلـــى متـــى ســـتجملينه وتنفقين عليه من وقتك وعنايتك ؟ إن هذا الشـــعر الطويـــل سيشكل لك عقبة وسيصبح صداعا لرأسك "

لكن مكتا لم تعتن بحديثها قط ، وإنمـــا كـــانت ضاحكـــة دائما .

وفي أثناء عودتهما من منزل الصديقة قال سمير : إن صديقتك هذه ازدادت حسنا وجمالا لو أنها لم تقصر شعرها. إنها تحاول بقصر شعرها أن تتشبه بالرجال دون جدوى .

كانت مكتا تعرف أن " سمير " سيتأثر بجمال صديقتها ، ولذلك كانت مستعدة من ذي قبل لسماع مدحها بلسانه ، لكن " سمير " لم يكتف بالثناء عليها فحسب بل قد استهدفها للسخرية أيضا ، الأمر الذي أقنع " مكتا " وأرضاها لدرجة ما ، حيث إن استنكار " سمير " لشعر صديقتها الرجالي كان يعني في الواقع ذاته ثناء لشعرها هي الطويل ولجمالها كذلك، حقا إنّ شعرها الطويل كان أغلى ثروة عندها .

تذكرت مكتا أنها كم أولت شعرها من اهتمامها وعنايتها ، وكيف رعته وربت وصرفت له من جهد عظيم .. تسرحه كل ليلة وتغسله كل يوم وتوصل الدهن بالأصابع إلى جذور الشعر وما إلى ذلك .. وقد كلل الله جهدها فكان شعرها الطويل سببا في زيادة جمالها وبهائها .

منذ أن سمعت مديح شعرها بلسان " سمير " غمرتها نشوة غريبة ، نشوة يشوبها الفخر وشيء من الكبر أيضا ، وكانت هي لا تتردد في إبداء ذلك حتى أمام سمير نفسه . ومع هذه النشوة والسرور مضى الشهر الثاني من الخطبة كذلك .

ذات يوم استيقظت " مكتا " من نومها في الصباح فوجدت على وسادتها عدة شعرات طويلة ... وقفت مندهشة وأخذ قلبها يخفق بشدة . هل بدأ شعرها يتساقط ؟ جمعت تلك

الشعرات من وسادتها بقلب خافق وأيد مرتعشة ، وظلت جالسة على فراشها برهة طويلة والشعرات بيدها . إنها كانت قد لاحظت منذ عدة أيام أن أطراف شعرها تجف أيضا ، ولذلك كانت قد قصت نحو بوصتين من شعرها كعلاج لذلك .

وكان قد حدث ذلك مرة فيما سبق ، حيث إن شعرها أخذ يجف من أطرافه فقصت قدر إصبع منه ،فزال هذا المرض ، لكنه عاد اليوم مرة أخرى وبدأ شعرها يتساقط أيضا ، ومعنى ذلك أن يضيع الشيء الذي هو أحب شيء لدى " سمير " .

ظلت مكتئبة طوال اليوم وبدأت تستخدم شتى الطرق والأساليب لمنع الشعر من السقوط .. تارة تستخدم صفار البيضة وأخرى تغسل رأسها بماء " آملا " أو تدلكها بالزبادي، أو تمسح جذور الشعر بالفازلين والدهون وتستعمل الخضر والفواكه في غذائها .

وفي أيام القلق والكآبة هذه التقت بـ " سمير " عدة مرات لكنها لم تطلعه على ما تعانيه ، وظلت أمامه فرحة مسرورة، إلى أن توقف الآن شعرها عن السقوط .

نعم ! توقف شعرها عن السقوط ، لكن ساد قلبها وهم وهو أن شعرها يمكن أن يتساقط مرة أخرى ، ويمكن أن يصبح خفيفًا ، ويمكن أن يجف من الأطراف فتضطر لقصه

وتقصيره حتى يصبح طوله كطول عامة الفتيات ، إذًا ماذا يبقى الفرق بينها وبينهن ؟ ولو بدأ سمير يكرهها عند ذلك فماذا يكون ؟ ماذا تصنع ؟ إن سمير لا يحبها هي وإنما يحب شعرها ، ذلك الشعر الذي يعتبر أضعف جزء في جسم الإنسان .

والحب الذى يتوقف على طول الشعر لا فائدة منه .

توقف سقوط الشعر لكن الوهم والشك والخوف الذي وقر في قلبها لم يكن ليخرج ، وإنما أخذ يزداد تأصلاً ورسوخا . إنها كانت قد نجحت في إخفاء القلق والاضطراب الذي تتعرض له بسبب سقوط الشعر ، لكنها لم تستطع أن تخفي القلق الذي تتعرض له بسبب الوهم وهذا الخوف، ولذلك كلما كان يلتقي بها " سمير " يسألها قائلاً :

" في أي شيء بدأت تفكرين بغتة ؟ "

" أراك اليوم مضطربة يا مكتا ! أخبريني ماذا يهمك ؟ "

" أنا متأكد أن هناك أمرا تخفينه عني "

وكانت تجيبه كل مرة قائلة : أنت واهم يا سمير . ليس هناك أمر .لا شيء يهمني أو يقلقني " وبعد ذلك كان سمير يسمع ضحكة باردة ويرى شفتين ترتعشان فيكاد قلبه ينفطر .

وقررت يوما أنها ستقص شعرها ، ستجعله قصيرا للغاية، أن تبلغ به درجة عامة الفتيات .. وفي اليوم الثاني قصت من شعرها أربع عشرة بوصة كاملة ، وبقـــي شـــعرها حتـــى الخصر فقط . ظلت تنظر إلى الخصلة المقطوعـــة بعيـــون دامعة ثم كبستها في قبضة يديها وضمتـــها إلـــى صدرهـــا وانفجرت باكية .

ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا الأمر حديث بيتها كله :

- ماذا فعلت يا مكتا ؟ لماذا قطعت شعرك

- ما كنا نعلم أنك حمقاء بهذا القدر .

- ماذا سيقول زوجك وأهل بيته يا مكتا ؟ فأجابت " مكتـــا " في البداية كانت تقول : إن شعري كان يجف من أطرافه وكان يتساقط أيضا ، فخففته ، لأن ذلك يســـاعد علـــى إعطائه غذاء جيدا ، وهو بذلك سيصبح قويا "

ولكن لما رأت أهل بيتها لا يسكتون ولا يمسكون ألسنتهم، ثارت وغضبت وقالت باكية:

" إنما قطعت شعري أنا ، ولي أن أصنع بشعري ما بـــدا لـــي ، أن أقصّـــه أو أحلقـــه ، وليـــس لأحـــد أن يمنعنـــي وينصحني .

وأسكتت أهل بيتها ، ليس في ذلك ما تخـــاف منـــه . إن جمالها قائم على حاله عينان واسعتان ، ملامح جذابة ، لـــون فاتح ، وجه برئ .

وبعد يومين فحسب جاء " سمير " إلى بيتها ، فالتقت به بهدوء وطمأنينة ، لا يبدو على وجهها خوف ولا يوجد في قلبها اضطراب ، كأنها راضية ومستعدة لكل ما يحدث لها .

ظلت برفقة " سمير " طول النهار في النزهة وفـــي السينما وعلى شاطئ النهر ، ولا بد أن سمير قد نظر مـــوات إليها و إلى وجهها و إلى شعرها ، لكنه لم يسألها مطلقا عـــن شعرها ولم يبد أي حيرة فأخبرته بنفسها تقول :

- " هل رأيت شعري ؟ لقد قصصته "

- " لا يا مكتا لم أنتبه إلى ذلك ، بل لم أشـــعر بذلـــك . فليس هناك فرق جوهري عند قص بعض الشعر "

- بعض الشعر ؟ لا يا سمير ، لقد قصصت ١٤ بوصـــة كاملة منه .

- إنني متعجب والله ، لم أشعر بأي فـرق . أراك فـي هذه الحالة أيضا جميلة مثل اليوم الذي كنت قد رأيتك فيه أول مرة ، بل أراك أكثر حسنا وجمالا .ماذا تقول يا سمير ؟ أفتصدق أنت ؟

- صدقيني ، أنا أصدقك يا مكتا . في ذلك الوقت كـان يروقني شعرك ، والآن تعجبينني أنت نفسك .

- " سمير حبيبي "

واغرورقت عيناها بالدموع ، لكنها لم تعـرف مـا إذا كانت دموع الفرح أو دموع الحزن .

# الكاسب والخسران

شودري بدر منير*

برنس ، منهمك في الغناء بينما هو يسير في شوارع جانبية متداخلة بالمدينة . عند نهاية أغنيته يكون قد وصل إلى شارع حيث تصدمه سيارة تقودها الابنة الوحيدة لمليونير . وفي الحقيقة فإن فرامل السيارة قد تم تعطيلها بقصد من مديرها غير الشريف والخائن الذي أراد أن يقتل البنت . لقد دبر المدير خطة شريرة وهي أن والدي البنت لن يتحملا الصدمة وسيموتان لموت ابنتهما وبهذا يستطيع أن يصبح المسيطر الوحيد على كل ثروتهم.

السيارة بعد أن تصدم برنس تصطدم بقوة بشجرة وتنجو البنت بمعجزة كذلك يصاب برنس ببعض الجروح . البنت كان اسمها " ميرا " تأخذ برنس لمستشفى حيث يسجل البوليس أقواله حيث يصف برنس جروحه بأنها حدثت صدفة بخطأه شخصيا . يقر بأن الفتاة لم تخطيء في هذه الحادثة ، وبعدها يذهب البوليس . تطلب ميرا من الأطباء أن يوفروا لبرنس أفضل خدمة طبية وأنها ستتحمل المصروفات ومن ثم تذهب لمنزلها . وبالمنزل يشعر والداها اللذان كانا قلقين عليها بسرور عظيم عندما يريا ابنتهما سليمة وبكامل الصحة

حيث إن المدير كان قد أخبرهما سابقا بأخبار الحادثة القاسية التي حدثت لميرا .

لقد كان المدير يعلم بحقيقة أنميرا تقود بطيش ولذلك فلن تنجو من الحادثة ولذلك فقد دهش أن يراها حية . حكت ميرا كل القصة لوالديها ولذلك فقد رغبا في أن يريا برنس فتأخذهما للمستشفى . في غيابهم يتلقى المدير رسالة بأن ميرا قد نجت سليمة واحبطت خطته .

تصل ميرا ووالداها للمستشفى ولكنهم يجدون أن برنس قد ذهب وقد أصبحوا كلهم مهتمين بذلك الشخص المجروح ، إنهم لا يعلمون شيئا عن برنس وفى الحقيقة فإن برنس هو ابن امرأة عجوز مصابة بالجذام وهو يسعى لعمل ليوفر الغذاء والعلاج لوالدته . واليوم خرج مرة أخرى للبحث عن وظيفة عندما وقعت الحادثة . ترك برنس المنزل وهو يقول لوالداته أنه ذاهب ليعمل على توفير المعيشة . خارج المنزل يجد رجلا يدعى " راجان " يجلس داخل سيارة ينتظر برنس . " راجان " في حقيقته رجل سيئ ومجرم ولديه ثلاثة آخرون في عصابة من بينهم محامي وضابط شرطة بينما الثالث هو مدير"ميرا" . " راجان " يغري برنس بإعطائه وظيفة ويأخذه إلى مقرهم . هنا يوضحون لبرنس أنهم جميعا يعملون على خطة لقتل " ميرا " وأخيها " إسلام " ووالديها . ويخبر برنس أن أخا ميرا قد أصابه الجنون بعد أن ماتت

محبوبته ولذلك فهو لن يكون عقبة أمام خطتهم في الاستيلاء على ثروة ميرا .

يعرض " راجان " خمسين بالمائة من ثروة ميرا لبرنس إذا تعاون معهم في تحقيق خطتهم . خاف برنس عندما سمع بالخطة التي تحتوي على هذا الحجم من الخداع والدماء . يهدد " راجان " ورفاقه برنس بقتله وقتل والدته إذا لم يعمل بناء على رغبتهم . وفي نفس الوقت فإنهم يحاولون إغراء برنس لمساعدتهم بالكلمات المعسولة بأنه بنصيبه يستطيع أن يعالج والدته وأنه لن يحتاج لأن يبحث عن وظيفة وأنه سيتخلص من مرارة الشعور بعدم العمل . بعد أن فكر في كلماتهم لبعض الوقت . نزل على رغبتهم خائفا من أنه لو رفض كلماتهم سيقتلون والدته . هنا يُسر " راجان " بقرار برنس ويعطيه بعض المال ليشتري علاجا لوالدته وبعض الملابس الجديدة . بعد مغادرة برنس يضع " راجان " ورجاله خطة لقتل أخي ميرا بواسطة بعض المرتزقة فيرسلون لاستقدامهم . عندما يصل المرتزقة يسألون عن مكان " إسلام " فيعلمون أن " إسلام " يتردد على " موطن الجب " حيث اعتاد أن يرى محبوبته . يجد المرتزقة " إسلام " ويبدأون في مهاجمته هنا وهناك . وبالصدفة يمر برنس من تلك البقعة ويرى شخصًا يضربه بعض المأجورين بقسوة فيأتي لمساعدته . يجري الرجال من تلك البقعة وينقذ برنس " إسلام " الذي يأخذه لمنزله .

وهنا يتضح لبرنس أن "إسلام " هو الأخ الحقيقي لميرا التي يشعر والدها بالعرفان لبرنس لكرمه الذي وضح لهذه العائلة للمرة الثانية . ويعتبرون برنس ملاكا ، وأثرت مواقفه وصفاته على " ميرا " فوقر حبه في قلبها . في هذه المرحلة وعندما يكون برنس على وشك أن يقول الحقيقة يظهر المدير فجأة على المسرح . ويتذكر " برنس " كلمات " راجان" الذي هدده بقتل أمه ولذلك فهو يروي كذبة عارية لوالدي " ميرا " واللذين قد أخذا انطباعا جيدا بالفعل لمواصفات وشخصية برنس لدرجة أنهما قد قررا تزويجه ابنتهما . " برنس " يترك المنزل بعد أن يعد " ميرا " بالوقت الذي سيأتي فيه مع والديه . وبعد أن ذهب برنس يتحدث والدا ميرا عن شخصية برنس وشهامته نحوهم ويعلنان رغبتهما في تزويجه " ميرا " وتترك " ميرا " المكان وهي تنظر نظرات خجولة . من ناحية أخرى فإن المدير ينقل هذه الأخبار الجيدة إلى " راجان " ويضيف أن برنس كاد أن يكشف عن خطتهم لقتل " إسلام " فبمجيئه لإنقاذ " إسلام " قد يكون ساعد على تنفيذ خطتهما حيث إن والدي " ميرا " قد قررا تزويجها منه . ويقول المدير إنه يمكن التفكير في طريقة أخرى لقتل " إسلام " بالإضافة إلى خطة لقتل الوالدين .

في منزل برنس تشعر والدته بالقلق لرؤية ابنها غارقًا في أفكار عميقة . وتسأل عن أسباب قلقه وعن وجود النقود التي حصل عليها . يقول " برنس " الحقيقة لوالدته التي تنصحه بألا يسير في هذا الطريق الشرير أبدا. إنها ترفض تماما أن

يلعب ابنها هذا الدور الشنيع وتطلب منه أن يتخلى تماما عن هؤلاء الأشخاص المجرمين الذين يريدون أن يجرموه بالقتل. وتطرد الأم برنس من المنزل فيذهب " لراجان " ليرفض عرضه بصراحة . إنه يرفض أن يشترك في تحقيق خطتهم. وكذلك يخبر " برنس " العصابة بأنه سيكشف خطتهم لعائلة ميرا . ويطلب " راجان " من برنس أن يتعقل بدلا من هذا التصرف الأحمق وأن يشترك معهم يدا بيد في تنفيذ الخطة وإلا فسيقتلون والدته .

ولتحقيق قوة التهديد فإن " راجان " يسمع برنس صوت والدته وهو بين أيدي رفاق " راجان " تطلب منه ألا يخضع لضغطهم حتى إن كلفه ذلك حياتها . يدخل برنس في تفكير عميق ويخطف " راجان " السماعة من يده . ويهدد " راجان " برنس مرة أخرى إذا حاول أن يتراجع عن خطتهم . وتحت هذه الظروف فإن برنس يخضع " لرجان " على أن يذهب لمنزل " راجا " برفقة المحامي الذي سيمثل والده لتنفيذ الخطوبة وهكذا يصلان إلى منزل ميرا . وهنا يكاد " برنس " أن يقول الحقيقة عندما يأتي " راجان " وبصحبته والدة برنس ويسئ " راجان " للأم وابنها بأن الابن ليس ابنا شرعيا وأن الأم لم تتزوج أبدا . ويحرك " راجان " حمية عائلة "ميرا" قائلا هل تحبون أن تزوجوا ابنتكم إلى رجل لا يملك شيئا ، صعلوك وابن غير شرعي؟ ويفشل " برنس " في أن يتمالك نفسه ويبدأ في ضرب " راجان " وعندما يسمع " إسلام " كل هذا ويرى سلوك " برنس " يأتي لمساعدة راجان فيضرب

برنس ومن ثم يسيء إلى الأم والولـــد ويطردهمـــا خـــارج منزلهم . وتصل " ميرا " إلى أن مؤامرة قد حيكت من هـــذا الحادث إنها واثقة ومتفائلة أن " برنس " في الموقف الصحيح وتضرب " إسلام " على وجهه . وكذلك تقرر " مـــيرا " أن تذهب مع برنس ووالدته وهكذا يتركون المنزل سويا . ومـن ثم يطرد " إسلام " ووالده " راجان " والمحامي من المنزل .

يصل برنس ووالدته " ميرا " إلى المنزل حيث يصر على والدته أن تكشف له عن السر وعن والديه الحقيقيين إذا كانت هي لم تتزوج أبدا . فتقول لبرنس إنه قبـــل عشـــرين ســـنة هبطت طائرة اضطراريا في باكستان . كان بين المســـافرين أربعة مصريين كانوا يبدون مثل المليونيرات وينتمون إلـــى العائلة الملكية المصرية . كانت الأسرة تتكون من زوجيـــن وطفل عمره أربع سنوات وخادمة ومديرهم كان يبـــدو أنـــه رجل شرير وذكي ويشبه " راجان " وكـــل الركـــاب كـــانوا يقيمون في المطار ولكن عائلته كانت تقيم في مكـــان كبـــار الزوار حيث كان الطفل يلعب بكرة تحت رعاية الخادمة .

حضر المدير إلى هناك وطلب من الخادمة أن تقوم بخدمة له وعندما اختفت الخادمة عن الأنظار ألقى المدير بالكرة في الخارج وتبعها الطفل . وفي الحال جاءت سلطات المطـــار وأحاطت بالمطار. وكانت أم الطفل تبكي بحرقة أما الخادمـــة فقد أصابها الجنون لهذا الحادث . وفي نفـــس الوقـــت فـــإن المدير وهو ينظر نظرات شريرة كان كأنه ينتظر شيئا مـــا وقد حدث . فقد ظهر رجل يحمل جثة طفـــل ميـــت . كـــان

الطفل من نفس العمر ويلبس نفس الملابس ولكن رأسه كـان محطما تماما نتيجة لحادثة بحيث لم يكن من الممكن التعـرف عليه إلا بواسطة الملابس والعمر وذلك للتأكد من أنه الطفـل المصري . وقد أبلغ الرجل الذي كان يحمل الطفل أنه خـرج إلى الشارع حيث صدمته عربة مسرعة . وفي ذلك الوقـت كانت إدارة المطار قد أعدت رحلة أخرى إلى مصر وطلبـت من الركاب أن يتوجهوا إليها . المدير الذي كـان مسـرورًا بفعلته كان في الخارج يعزي سيده بكلمات ( سيدي كن صبورا لما حدث لنا الآن فكل ما كان لدينـا قـد فقـد فـي باكستان ..( دعنا نسافر إلى بلدنا ) وهكذا أخذوا الجثة معـهم وسافروا.

قالت أم برنس إنها في ذلك الوقت كانت تعمل في أمـن المطار ولأنها كانت تشك في أن هناك تشابها بيـن المديـر وذلك الرجل الذي أخذ الطفل ، فإنها بدأت تطارده . قـالت إنها تابعته في كل مكان إلى أن أتى إلى مكان حيـث كـان الطفل المصري موجودًا في رعاية شخص آخر, لقد كان هو " راجان " نفسه الذي أتى لذلك المكان . يخبر راجان الرجـل بأن ذلك الطفل ينتمي إلى عائلة مليونير وأن أخاه التوأم يعمل لدى تلك العائلة كمدير . وقال أيضا إن هذا الطفل قـد ولـد بعملية قيصرية أصبحت والدته بعدها غير قادرة على الحمل . ولذلك فهو الوارث الوحيد لكل ثروة وممتلكات العائلـة . وقال إن أخاه قد خطط عملية اختطاف الطائرة وأنه قام بنفسه

بقتل المختطفين في الهواء ومن بعدها أشاع أن هناك قنبلـــة مخبأة في مكان ما بالطائرة. وقد أفرغت الطائرة من الركاب وتم البحث عن القنبلة وأن الخطة الآن قد أصبحـــت مثمـــرة حيث إنه حسب تفاصيلها سيقوم الآن بسهولة بقتل الوالديـــن ليصبح المالك الوحيد لكل الثروة والتي وعد الرجل الآخر أن ينال نصيبه منها ملايين . وقال يجب أن ننتظر أوامر أخرى ومن ثم سنقتل الطفل بنفس الطريقة التي قتـــل بـــها الطفـــل الآخر والذي ألبساه ملابسه .

قالت الأم لقد كنت مرتبكة تماما في هـــذا الوضـــع وقـــد قررت أن أبلغ الشرطة ولكني توقفت عن ذلك لأني فكـــرت أن ٩٠ في المائة من الشرطة فاسدون وسيستغل راجان ذلـــك وسيقتلها أخيرا .. تقول لقد قررت أن أنقذ حياة الطفل حتـــى على حساب حياتي ، ولذلك ومـــن غـــير أن أدع الآخريـــن يعلمون نجحت في أخذ الطفل معي . قالت الأم : إنها أسـمته باسم " برنس " وبدأت تتمنى مجيىء الوقت الذي يكبر فيـــه لتخبر والديه . وقالت ، قد أتى اليوم ، وأضافت إنه الطفـــل المصري الذي توجد ورثته في مصر . وتقول إنها لا تعرف شيئا عن والديه ولكن هناك بعض الأشياء التي كان يلبســـها في عنقه ويديه عندما أتى إليها وأن هذه الأشياء ربما تســاعد في تتبع والديه إن كانا أحياء أو أموات . وقالت إنهما إذا ماتا فإن كل ثروتهما ستكون لدى " راجان " إنها كانت ترجـو الله تعالى فقط أن تعيش لهذا اليوم ومـــن ثـــم لفظـــت أنفاســـها الأخيرة. قال برنس لميرا إنه سيرجع لبلده وأنـــها يجـــب أن

تنتظره إلى أن يعود ، ومن ثم يطيرا إلى مصر وبمساعدة الأشياء الملكية التي أعطتها إياه والدته يبحث " برنس " عن والديه الحقيقيين . ولكنه ينفعل, يتفوه بذلك أمام " هاشو " الأخ التوأم لراجان . لقد دهش هاشو أن يسمع عن سلطان بعد مضي عشرين سنة ويسأل برنس مما يؤدي إلى غضب هاشو الذي يطلب من حراسه أن يعذبوا " برنس " إلى أن يقول الحقيقة . ويضرب برنس حتى يفقد الوعي ولكنه لا يفتح فمه بشيء . ويبعد رجال هاشو برنس إلى مكان مهجور حتى تقضي عليه الحيوانات المتوحشة وهناك يرى رجلا يدعى " غلام علي " ويشعر برنس بالألم لحاله ومن ثم يأخذه إلى كوخه في الغابة . و " غلام على " يخبر برنس أن والدته ماتت وهي تنقذ حياة والده وأن هاشو استولى على ثروتهم . كذلك أخبر برنس أن هاشو يسعى إلى توقيع والده على بعض الوثائق ولكنه رفض بإصرار . قرر برنس أن ينقذ حياة والده بكل السبل ويعمل بشجاعة حتى يصل إلى مكان اعتقال والده وقد استطاع أن يخلص والده من براثن "هاشو " ومن ناحية أخرى فإن "هاشو " يروعه هروب سلطان . ويشير إلى برنس بقوله إن الشخص الذي سأل عن سلطان ربما يكون هو الذي أنقذه ولكن أحد أعوان " هاشو " يقول إن ذلك الشخص قد قتل ويرسل لحراسه الذين ضربوا برنس فيخبرون هاشوا إنهم أخذوا برنس إلى مكان متوحش حتى تأكله الحيوانات فيفقد هويته لذلك . فيأمرهم " هاشو " أن يذهبوا إلى تلك البقعة حيث تركوا برنس ليتأكدوا من وجود بقاياه ، ولكنهم لم يجدوا شيئا، ومن ثم فقد قال أحد

حاشية هاشو إن برنس قد يكون هو الطفل الذي تركوه في باكستان . ولكن هاشو يقول إنه طلب من أخيه التوأم راجان أن يقتل الطفل ولكنه فكر مرة أخرى أن الطفل قد نجا من الموت . ويتصل هاشو " براجان " بالتليفون فيخبره أن الطفل قد نجا من الموت.

وهكذا تصبح الحالة معقدة جدا بالنسبة لهاشو الذي يعتقد أن سلطانا وابنه الحقيقي الاثنين على قيد الحياة .

ويذهب هاشو وحراسه إلى الغابة للبحث عن سلطان وبرنس وعندما يكتشفونه هناك يحيطون بهم بما فيهم " غلام علي " .

وتدخل المجموعتان في قتال عنيف ينتهي بالقبض على " غلام علي " وبرنس ويترك سلطان في الغابة ظانا أنه قد مات ، لكن سلطان لم يمت ولكنه كان يعاني من الآلام والجراح ومع ذلك يذهب للبحث عن برنس وغلام علي ولكنه لم يعثر لهما على أثر . ومن ثم يذهب إلى جبل الطور ويصلي لله تعالى لإنقاذ ابنه . وعندها يسمع صلاته أحد الرجال الذين كانوا هناك يخبره عن مقر هاشو . ويذهب سلطان إلى هناك ويحارب هاشو ورجاله . ويحرر " غلام علي " وبرنس من الحبال التي كانوا يربطونهما بها ويشاركانه في قتال هاشو .

ويموت " غلام علي" أثناء القتال وتصل الشرطة المصرية إلى المكان . وتقبض الشرطة في الحال على هاشو الذي

يحاكم أمام المحكمة أخيرا . ويخبر برنس وسلطان الحكومــة المصرية عن " راجان " الأخ التوأم لهاشو وعن خطته لقتل " ميرا " وعائلتها والحصول على ثروتـــهم . ويطلبـــان مــن الحكومة أن تتصل بالحكومة الهندية بخصوص هذا الأمــر . وهكذا يعتقل " راجان " ويتزوج برنس من ميرا .

# مـــالك الـــبـــقـــرة

أمريتا بريتم*

كانت البقرة غبراء اللون إلا أن ضرعها لم يكـــن حـــالك السواد بل كان ضاربًا إلى اللون الأسود لذلك ســـماها أهـــل القرية "كبيلا " .

كلما حاولت كبيلا النهوض مستندة على رجلها المكسورة، سقطت بشدة على الأرض ولم تكن لديها المزيد مـــن القـــوة لذلك أخرجت لسانها لاهثة لتلحس رطوبة الكلأ لكنها شعرت بأن الرطوبة قد صارت مثل الدم الحار المالح .

حاولت أن تبحث بعيونها المتحجرة عن الأبقار التي أتـــت معها لترعى الكلأ في الليل ولكنها سمعت بدلا من ذلك بعض الأصوات من بعيد .

سمعت صوتا كالرعد يقول هذا ظلم على البقرة الأم ، إن القتلة لظالمون .

وجاء صوت آخر متهدج يقول إن البلد الذي يرتكب فيـــه مثل هذا الذنب ولا يوجد فيه دين ولا مبدأ فإن ذلـــك البلـــد سوف يفنى .

وبعد ذلك تجمعت أصوات كثيرة كأنـــها تـــهاجم ضـــوء الشمس المشرقة .

كانت الأصوات تأتي من قريب ومن بعيـــد . ثـــم ســـاد الصمت .

كان جسم كبيلا يفقد الوعي وحوافرها ملطخـــة بالدمـــاء المنتشرة من حولها فظننت أن هناك جنودا يحومون حولها في أزياء عسكرية .

نظرت كبيلا بعيونها المتحجرة إلى الجهة التي كان الناس ينظرون إليها كانت طائرة ساقطة على الأرض من بعيد .

فسمعت شخصا يقول :

سيدي ... ! كان هذا تمرينا ثانيا لي للطيران فـــي ليلـــة مظلمة. حاولت الإقلاع مرة أخرى بـــدون الـــهبوط علـــى الأرض .

أضاف : قمت قبل الإقلاع بأعمال جيدة أوقفت الطـــائرة على مجرى الطائرات ثم طرت على ارتفاع شـــاهق ولمـــا نظرت إلى الخارج لم أر إلا أنوار ممر الطائرات .

سيدي .. ! كانت الطائرة تدور والسرعة تزيد حتى بلغت نقطة مرتفعة جدا وفي ذلك الوقت كنت أنظر إلـــى الآلات ،

ارتفعت الطائرة فجأة إلى أعلى وشـــعرت بصدمـــة شـــديدة فأوقفت المحرك تماما واستخدمت الفرامل وشعرت بأن أحـــدًا يهز الطائرة بشدة .

رأيت الطائرة قد انشقت و سقطت في هوة على بعد مـــن مجرى الطائرات عند الأشجار . ما كنت أســـتطيع أن أرى الأنوار على جانبي الطائرات . ثم انكسرت العجلة فـــورا ، عجلة الجانب الأيمن وكان الشرر يتطاير بسبب الاحتكاك .

أين كان مساعد الطيار في ذلك الوقت ، سأله رجل .

سيدي ... ! أنا مساعد الطيار . كنت جالسا على المقعـــد الخلفي عند إقلاع الطائرة فلما توقفت أردت أن أفتـــح بـــاب الدخول ولكنه لم ينفتح ثم رأيـــت أن مقدمـــة الطـــائرة قـــد انكسرت وانفتحت فتحة كبيرة فخرجت منها إلى الخارج .

- كيف خرجت ؟

سيدي ... ! لم يكن أمامي إلا طريق واحد هو أن أقفـــز إلى الخارج من الفتحة ولما خرجـــت ، رأيـــت أن الجـــانب الأيمن من الطائرة قد تحطم وكان قرب مجـــرى الطـــائرات دماء كثيرة وبقرات نافقة خفت أن تشتعل النار في الطائرة . فجريت فورا لأقف على بعد .

ثم جاء صوت يسأل كيف جـاءت هـذه البقـرات إلـى المطار ... ؟

- سيدي ... ! لا أعرف شيئا .

- لنترك القضية للتحقيق ، ولكن لا تذهبا إلى الخـارج . لأن حياتكما في خطر . هناك مظاهرات واجتماعـات فـي القرية ضدنا .

كانت كبيلا تحتضر ولكنها لم تكن قد ماتت بعـد كـانت عيونها تفتح لمحة ثم تنغلق .

كان ضوء النهار يتحول إلى ظلام . حسـبت أن النـاس مجتمعون حولها حتى سمعت أصواتهم .

- من هم *أصحاب* هذه *البقرات* .... ؟

ساد الهدوء . ولم يقل أحد شيئا ينبغي أن يكتب كل واحـد من أصحاب البقرات اسمه ليجد تعويضا عن بقراته الميتة .

ثم علت أصوات عديدة كأن كل واحد يتكلم فـي وقـت واحد.

قال أحدهم : كانت لي بقرة ، يا سيدي ... ! لونها أبيـض واسمها شيرا .

وقال الثاني : كانت لي بقرة ، يا سيدي .... ! كنت قد سميتها تين تان .

وقال الثالث : يا سيدي ... ! كانت لي بقرة اسمها لوري.

كانت هناك أصوات كثيرة وأسماء عديدة . فارتفعت صرخة قائلة إنكم أمليتم عشرين اسما والبقرات ليست إلا عشر فقط . كلكم كاذبون .

حاولت كبيلا أن تفتح عيونها لتعرف أصحاب البقرات التي كانت معها ، كانت بعض الوجوه معروفة وبعضها غير معروف بالنسبة لها . لم تعرف من أين جاء هؤلاء الناس ؟! عرفت " كبيلا " صاحبها " موهن " إلا أنها تذكرت عجلها فحاولت أن تقول شيئا ولكن صوتها لم يخرج من حلقها .

صرخ قائلا إنكم تدّعون بأنكم أصحاب هذه البقرات على أمل أن تجدون تعويضا عن البقرات الميتة . لكنكم لستم بأصحاب هذه البقرات الميتة . وإنكم كذابون .

لم يعرف هل كان ذلك الظلام ، ظلام الليل أو ظلام الموت السائد على عيون" كبيلا " ثم ارتفعت أصوات تسأل كيف دخلت هذه البقرات إلى ممر الطائرات أيها الحارس ... ؟ يظهر أنها كانت تأتي كل ليلة لترعى الكلأ . أنت كنت تأخذ الرشوة من أصحابها فأنت متهم بتهمة الرشوة .

كانت كبيلا تفقد وعيها ، فسمعت بعض الكلمات ولم تسمع بعضها الآخر وحاولت أن تهز ذيلها لطرد الذباب الجـــالس على جسمها لكن دون جدوى .

فسمعت فجأة صوتا يسأل أين غاب كل هـــؤلاء النـــاس العشرين الآن لا يدعي أحد بأنه صاحب بقرة . كـــل واحـــد يقول ليست هذه البقرات له. لا لشيء إلا أنـــهم علمـــوا أن خسارتنا بتحطيم الطائرة ثلاثة وخمسين ومائة ألف روبيـــة وسوف يطالب أصحاب هذه البقرات أن يدفعوا تعويضا .

بحثت " كبيلا " عن مالكها "موهن" ولكنه لم يكن موجودا. وهنا تذكرت بأن موهن لما أصيب مرة بمرض خطـــير ، نصحه رجل بأن يطعم كبيلا حلوى مصنوعة من الدقيق كـل يوم ثلاثاء .

كانت كبيلا تشعر بجوع شديد في كـــل أجـــزاء جســـمها النحيف في تلك الآونة الشديدة فتذكرت يوم الثلاثاء .

أليس اليوم الثلاثاء ... ؟ أليس موهن مالكها ... ؟ أليـــس أحد صاحبها .. ؟ شعرت كبيلا بأن شيئا يتحرك حولها لعـــل زوجة موهن قد حضرت وجاءت لتلمس بيديها جسد بقرتـــها وهي على وشك الموت.

حاولت أن تعرفها بعينيها المفتوحتين . كان شيء يلمس جسمها . وكان ناعما جدا . أنعم من يدي زوجة موهن . عرفت كبيلا بعد أن سقطت قطرة دم حار من عينيها إنه كان عجلها . ولم تعرف متى وصل هناك . إنه كان يلحس بلسانه جسد أمه الميتة .

# " الـكفـن "(١)

**بريم جاند***

جلس الأب وابنه في سكون على عتبة كوخهما ، وقد خمدت النار التي أشعلاها بجوارهما . وبداخل الكوخ ، كانت زوجة الابن ، الشابة " بدهيا " ، تعاني آلام المخاض . فتطلق بين الحين والآخر صرخات كادت من فرط قوتها أن توقف دقات قلبيهما . وكان السكون يلف الليل والقرية بأسرها غارقة في الظلام .

تحدث جيسو قائلاً :

يبدو أنها لن تنجو . إننا لم نبرح أماكننا طوال اليوم من الرهبة . فلتذهب الآن لترى كيف حالها ؟ أجاب مادهو متبرما :

لو أن الموت قدرها ، لكان أفضل كلما أسرع . ماذا هناك إذن لأراه !

---

(١) قامت الاستاذة مآثر المرصفى مدير تحرير مجلة صوت الشرق بترجمة هذه القصة عن الانجليزية ، وقد أضفت إليها بعض الجمل والكلمات عند ترجمتى لها عن الأردية وقارنت بين النصين .

**( المترجم )**

يا للخسة ! كل هذا الجحود تجاه إنسان عشت معها في سعادة غامرة لعام كامل ! .

إنني لا أحتمل رؤيتها تتعذب وتتألم .

إنها عائلة من الإسكافيين الذين ذاع صيتهم في القرية بأكملها.

الأب ... جيسو الذي يعمل يوما ويستريح بعده ثلاثة أيام. الابن .. مادهو الذي يضن على عمله بالعطاء بما يجعله في حاجة لساعة يدخن خلالها بعد كل نصف ساعة من العمل . وفي ذلك سبب كاف لكي لا يفكر فيهما أي صاحب عمل ينشد الجدية . إنهما يأبيان الكد والشقاء لو توافر في منزلهما مجرد حفنة قمح . ولكن بعد يومين أو أكثر من الصوم ، يجدان نفسيهما مضطرين للكفاح ! فيتسلق جيسو شجرة ليأتي ببعض الأخشاب ، ويأخذها مادهو ليبيعها في السوق . وطالما بقى في جيوبهما بعض المال ، يتكاسل كلاهما ويلازم المنزل . وعندما يصل الأمر للصوم مرة أخرى ، يكرران نفس الشيء . فيجمعان بعض الأخشاب ليبيعاها ، أو يشرعان في البحث عن عمل . لم يكن ذلك بالأمر العسير في تلك القرية . فقد كانت قرية زراعية يجد فيها من يعمل بإخلاص مئات الفرص . ولكن هذين الشخصين لم يعملا سوى لدى هؤلاء الذين يجدون قناعة في أن يقوم اثنان بعمل شخص واحد .

حياة غريبة ، تماما مثل منزلهما الذي خلا من كل شـــيء إلا بعض الأواني الفخارية . إنهما يستران عريهما ببعـــض القطع المهلهلة ، غير عابئين بالهموم والمؤرقات الدنيويـــة ، بما في ذلك ما يثقل كاهليهما من ديون ، عانيا من جرائـــها السب والضرب . ولكن ذلك أبدا لم يغضبهما ، لقد وصلـــت بهما الحاجة ما يجعل الناس يكيلون لهما السباب لكنـــهما لا يشعران بالحزن من جراء ذلك ، ويقدمون على اقراضـــهما رغم يقينهم أنهما لن يردا الدين ، وعندما يحل موسم البازلاء والبطاطس ، يسرقان بعض الحبات من أي حقل ليطـــهواها ويأكلاها ، وفي بعض الأحيان ، يقتلعان بعض أعواد القصب ليمصاها في الليالي . لقد انقضى من عمر جيســـو ســـتون عاماً، عاش خلالها بهذا التقشف . ولأن مادهو كان ابنا بارا، لم يكتف باتباع خطى والده ، بل أضـــاف لأمجـــاد أســـلافه الكثير !

ماتت زوجة جيسو منذ زمن بعيد . أما مادهو ، فقد مـــر على زواجه من هذه السيدة عام واحد ، حـــاولت خلالـــه أن تدخل بعض النظام على حياة هذه العائلة . فنجحت فـــي أن توفر لهما بين الحين والأخر حفنة من الدقيق ، إما بطحـــن الذرة أو جز أعشاب الحقل لأحد أفراد القرية ، حتـــى تمـــلأ بطني هذين المخلوقين اللذين لا يتحرجان مـــن أي موقـــف كان. منذ مجيئها أصبح الاثنان أكثر تكاسلا وتراخيًا . بـــل إنهما أصبحا يطلبان العمل بأعلى نبرات الكبرياء والشموخ .

وإذا ما طلبهما أحد للعمل لديه ، لا يتورعان عن طلب أجـر مضاعف .

نفس هذه المرأة ، التي فعلت من أجلهما ما فعلت تحتضر الآن بالداخل وربما يكون كل ما يفعلانه هو انتظار موتـها حتى تكف عن الصراخ لينعما بنوم هادئ .

جلسا في هذه اللحظة يطهوان حبات البطاطس . تنـاول جيسو إحداها وأخذ يقشرها وهو يقول لمادهو " اذهب لـترى كيف حال زوجتك الآن " لا أكاد أسمع صوتـها لابـد وأن روحها قد قُبضت . خاف مادهو أن يأخذ جيسو نصيباً أكـبر بينما هو بالداخل فقال له :

إننـي أخشى الدخول عندها .

ومم تخاف ، إنني هنا بجوارك .

إذن . لماذا لا تدخل أنت وتعرف ماذا يجرى بالداخل ؟

عندما كانت زوجتي تحتضر لم أفارقها للحظـة طـوال ثلاثة أيام ! ثم أنها زوجتك . وحتما ستشعر بالخجل أمامي . إننـي لم أر وجهها من قبل فكيف تريدني أن أراها عارية !

دعك من هذا الحديث . إن كل ما يشغلني ، ماذا سيحدث إن رزقنا بطفل ، فليس لدينا أي شيء في المنزل . وطفل جديد يتطلب الكثير من طعام وشراب وملابس وغيرها .

سيكون لدينا كل شيء بمشيئة الله ! فهؤلاء الذين يرفضون إعطاءنا كسرة خبز اليوم سيرسلون إلينا غدا ويعرضون علينا المال .

لم يكن ظهور مثل هذا السلوك الفكري بالأمر الغريب في مجتمع كهذا ، لا يكون فيه من يكد ويكدح طوال يومه أسعد حالا مما هما عليه بل ينعم فيه بالرخاء من يعرف من أين يؤكل كتف الضعاف من الفلاحين . وقد فاقت حكمة جيسو هؤلاء الفلاحين الغافلين . فبدلا من أن ينضم إليهم ، ألقى بنرده مع زمرة التافهين الوضعاء . والحقيقة أن جيسو ليس لديه من الملكات العقلية ما يمّكنه من الإلمام بقواعد وسياسات جماعة التافهين . ولذلك بينما يُعد بقية أعضاء جماعته من علية القوم في القرية ، دائما ما تشير إليه أصابع الاحتقار . ولكن جيسو لم يكن ليعبأ بأي من ذلك ، طالما ليس عليه أن يقحم نفسه في عمل شاق يقضي فيه اليوم كاملا، أو تكون براعته وبساطته سبيلين يحصل من خلالهما على مكاسب لا يستحقها .

لم ينتظر كلاهما حتى تبرد حبات البطاطس ، فقشـــراها والتهماها وقد احترق لسانهما أكثر من مرة وكلما يقشـــران إحداها ، يبدو لهما سطحها باردا . ولكن بمجـــرد أن يبـدأ بمضغها ، يشعران وكأنها جمرة من نار . فيبتلعاهـــا علـــى الفور بدلا من التعذيب بمضغها فيحترق حلقـــهما . وعندمـــا تستقر بمعدتيهما ، تتعامل معها بما لديها من تجهيزات كفيلـــة بالتأقلم مع مثل هذه المشكلات ، ومع هذا فإن عيونهما تدمـــع من هذه المحاولات .

تذكر جيسو في هذه اللحظة حفل زفـــاف حضـــره منـــذ عشرين عاما . وكان ما وجده في هذا الحفـــل مـــن حفـــاوة جديرا بأن يتذكره طيلة حياته وأن يظل عالقا بذهنه ما عاش. بدأ يقص على ولده ذكريات ذلك اليوم .

كان حفلاً لا ينسى . لم أتناول ما تناولته من طعام حينئـــذ في حفل آخر . كان هناك وافر من الطعـــام يكفـــي جميـــع الحاضرين وقدم أصحاب الحفل لكل من حضر ، عظم شـــأنه أو قل ، ما يكفيه من كعك البوريس المقلي بأشـــهى أنـــواع الزبد . وعمرت المائدة بكافة أنواع المشهيات وفواتح الشهية وما لذ وطاب من أصناف الكاري والزبادي والمخلـــلات يالها من مأدبة لم يكن هناك أي قيود على الطعام . يمكنـــك أن تطلب أي شيء وتتناول منه القدر الذي تريد . لقد ملأنـــا بطوننا يومها بما لم يترك مكانا حتى لرشفة ماء .

وبعد كل ذلك ، تجد النادلين يمرون عليك ليملأون طبقك من جديد بأطيب المشهيات . فترفض وتضع يدك على الطبق .و لكنهم يتركونها أمامك على المائدة . وعندما فرغ الجميع ، قدموا لنا بعض المشويات التي لم أكن أعرفها من قبل . لقد أكلت يومها حتى عجزت عن الوقوف على قدمي . وما أن عدت أدراجي حتى ارتميت على فراشي ورحت في نوم عميق . كم كان كريماً صاحب تلك الدعوة .

تذوق مادهو روعة تلك المشهيات في خياله فقال :

ألا تقام الآن أية احتفالات من هذا النوع ؟

من ذا الذي يستطيع إقامة مثل هذه الاحتفالات الآن ! إنه عصر مختلف يا بني ، يحرص فيه الناس على تقليل نفقاتهم جهد الاستطاعة .

فهم لا ينفقون على أفراحهم ولا معازيمهم . ولا أعرف ماذا سيفعلون بكل ما يكتنزون من ثروات كونوها بنهب الفلاحين . إن هناك حداً لتكديس الأموال . والناس لا يجب أن تفكر في الاقتصاد إلا عندما تزيد النفقات .

لا بد وأنك التهمت يومها عشرين كعكة على الأقل .

بل أكثر من عشرين .

لو كنت هناك لأكلت خمسين .

حتى الخمسين لم تكن لتكفيني آنذاك . لقد كنت رجلا عفيا، قوي البنية ، ربما زاد وزني وقتها عن وزنك الآن .

شربا بعض الماء بعد أن انتهيا من تناولهما البطاطس وافترشا الأرض بجوار النار ، وهما يكادان يستران عورتهما ببعض الخرق البالية . بدا الأمر كأنهما ثعبانان ضخمان ملتويان ، وقد ثنيا ساقيهما لأعلى . غطا في نوم عميق وأنات " بدهيا " تعلو من الداخل .

عندما وطأ مادهو الكوخ في الصباح الباكر ، وجد زوجته ترقد بلا روح في فراشها . وقد احتشد الذباب على وجهها وتحجرت عيناها . أما جسدها ، فاكتسى بالتراب . مات الجنين في رحمها .

هرع مادهو إلى جيسو ليخبره بما رأى . ذهب الاثنان يبكيان وينتحبان ويضربان بكفيهما على صدريهما . عندما سمع الجيران عويلهما ، أسرعوا إليهما ، يحاولون مواساتهما في هذه النكبة بأحدث صيحات تقديم واجب العزاء .

وفجأة وفي غمرة هذه المصيبة ، أفاق الاثنان على أمر واقع ، هناك ترتيبات لابد من أن ينتهيا منها . فعليهما أن يوفرا كفنا وخشبا . ليس هناك إذن وقت للبكاء . ولكن ماذا

سيفعلان والنقود تندر في جيوبهما ندرة اللحم في وكر الحدأة.

لجأ الأب وولده وهما يبكيان إلى أثرياء القرية ، الذين يكرهون مجرد رؤية وجهيهما . وقد نالا منهما نصيبا وافرًا من الضرب في مناسبات عديدة كالسرقة مرة ، وإعطاء الوعود الزائفة بالعمل لديهم مرة أخرى . عندما رآهما أحدهم على هذه الحالة توجه إلى جيسو بالسؤال :

ما الأمر يا رجل ؟ لِمَ كل هذا البكاء ؟ أهناك ما يسوءك؟ إنني حتى لا أراك كثيرا هذه الأيام . لقد ظننتك تركت القرية.

ارتمى جيسو على الأرض وعيناه تفيض بالدمع . وأجاب:

سيدي إنني أمر بمحنة قاسية . لقد توفيت زوجة مادهو بالأمس بعد صراع مع الألم دام طوال الليل . ولم يقف كل ما قمنا به من أجلها أمام مصيرها المحتوم . فلا الدواء أفاد ولا العناية التي أوليناها بها أتت ثمارها .الآن وقد رحلت ، انهار كل شيء وتحطم وليس هناك من يمن علينا حتى بكسرة خبز . سيدي ، إنني عبدك ، من غيرك سيساعدنا على الانتهاء من ترتيبات الدفن الأخيرة ؟ لقد استنفد علاجها

كل ما في جيوبنا . فكيف السبيل الآن إلى مواراة جسدها إن لم تأخذك بنا الشفقة . من لنا غيرك في هذه الدنيا لنلجأ إليه ؟

وصاحب البيت رجل رقيق القلب ، ولكن عندما يصل الأمر إلى جيسو لا تعرف الشفقة إلى قلبه سبيلا . وفي هذه اللحظة ، كم تمنى أن يعبر عما يجول بخاطره ويقول له :

اغرب عن وجهي فكم مرة أرسلت في طلبك ، وكأن أذنيك إحداهما من طين والأخرى من عجين . الآن وقد زل قدمك وهويت في حفرة لا تقوى على الخروج منها بمفردك، تتوسل إليّ وتطلب العون ، ياللك من نذل حقير .

لم ينقذ جيسو من سماع نلك العبارات سوى الموقف ذاته. فالوقت ليس مناسبا للتأنيب أو التقريع . وبالرغم من ضيق الرجل لأنه لم ينطق بما كان يتمنى ، أخرج من جيبه روبيتين وألقى بهما أمام جيسو دون أن يعبأ حتى بالنظر إليه. فالأمر بالنسبة له لا يعدو شراء راحة رأسه من ضجيج هذين المخلوقين الغريبين . ولكنه بالنسبة لجيسو أكبر من ذلك بكثير لقد أوحى له عقله باستغلال الموقف قدر ما يكون الاستغلال . فمن من أعيان القرية سيرفض إعطاءه بعضا من المال بعد أن يعلم بموقف صاحب البيت الإقطاعي .

صدق جيسو في تخمينه . فهذا أحدهم يمن عليه بآنتين[1] ، وذاك يمن عليه بأربعة . وفي أقل من ساعة ، جمـع مبلغـا محترما من المال يصل إلى خمس روبيات . بل إن بعضـهم أعطاه قدرا من القمح وبعضا من الخشب وعندما انتصـف اليوم ، ذهب جيسو و مادهو لشراء قماش الكفن مـن أحـد المتاجر ، بينما انشغل آخرون بتقطيع الخشب والانتهاء مـن ترتيبات الدفن الأخرى .

أما نساء القرية من ذوات القلوب الرحيمة ، كان عليـهن إلقاء نظرة على الجثمان وذرف بعض الدموع على الفقيدة .

في الطريق إلى المتجر ، سأل جيسو ولده :

أليس لدينا الآن من الخشب ما يكفي لحرق الجثمان ؟

بلى . كل ما ينقصنا هو الكفن .

سنشتريه حتما ولكن لنبحث عن كفن رخيص الثمن .

بالطبع . ولماذا لا يكون ؟! فالليل سـيكون قـد أسـدل ستائره عند عودتنا من عساه أن يكتشف في حلكة الظلام من أي نوع هذا القماش ؟!

---

**[1] عملة هندية جزء من الروبية ( المترجم )**

إن الأمر برمته لا يعدو أن يكون عادة سخيفة . فالمرء قد يعيش حياته دون أن يعرف ملمس القماش الجديد ، ولكن عندما يموت لا بد أن نأتي له بقماش جديد من أجل كفنه .

صدقت . ألا يحرق في النهاية مع الجثمان .

بلى ، إنه لا يعيد إلى الحياة مرة أخرى ، ولكن لو حصلنا على هذه الروبيات من قبل لاستطعنا أن نوفر لزوجتك العناية والعلاج اللازمين .

ذهب الاثنان بعد هذا الحوار في صمت عميق وكأن كلا منهما يحاول أن يخمن نوايا الآخر الخفية . أخذا يجوبان السوق من محل إلى آخر ويتفحصان ما يُعرض عليهما من أقمشة ، فلا ينال أي منها رضاهما .

ظلا على هذه الحال إلى أن حل الليل وهبط الظلام . وبقدرة خفية وجدا نفسيهما على أعتاب محل لبيع الخمور . وكأن بينهما اتفاقًا مسبقًا ، خطا الاثنان داخل المكان ، وقفا مترددين لبرهة ، ثم تقدم جيسو نحو البائع وقال :

أريد زجاجة خمر من فضلك .

أخذا ما أرادا ثم طلبا بعض المشهيات والأسماك المشوية. جلسا في شرفة المحل ليستمتعا بمذاق الشراب في جو هادئ .

وبلهفة وسرعة شديدتين ، تناولا أقداح الخمر حتى الثمالة، وقال جيسو لولده :

بماذا كان سينفع الكفن ؟ هل كان سيبقي مع روحها ؟ ألم نكن لنحرقه مع جثمانها ؟

رفع مادهو رأسه نحو السماء كما لو كان يدعوها لأن تشهد على براءته ، أجاب :

إنه مجرد تقليد ، وإلا ما الذي يجعل الناس تعطي آلاف الروبيات لرجال الدين ، وهم لا يعرفون بماذا تنفع موتاهم ؟!

إن الأثرياء يا بني لديهم من المال ما لا يعرفون أين ينفقونه . فليس عليهم جناح أن يفعلوا ذلك . أما نحن ، فليس لدينا من المال ما نهدره .

ولكن ، بماذا سنجيب عندما يسأل الناس عن الكفن .

أجاب جيسو ضاحكا :

سنخبرهم أن النقود قد فُقدت ، وأننا بحثنا عنها طويلا ولم نجدها لن يصدقونا ولكنهم سيعطوننا بدلا منها .

ضحك مادهو على هذا الكنز الذي فُتح أمامهما دون أن يحسبوا له حساباً ، قال :

لقد كانت سيدة فاضلة ، تطعمنا بموتها ، كما كانت تفعل في حياتها . شرب الرجل وولده أكثر من نصف زجاجة الخمر ، وأرسل جيسو مادهو للمحل المقابل ليشتري بعض كعك البوريس والمخللات واللحم والكبدة اللذيذة والأسماك المقلية . هرع مادهو إلى هناك وأحضر كل شيء . دخل يحمل في يده لفافة ضخمة انفق على ما بداخلها روبية ونصف . لم يعد لديهما الآن سوى بعض "آنات" لا تجدي ولا تضر .

انقض الاثنان على الطعام كأنهما أسدان وقعا على فريسة ثمينة في أدغال الغابة ، غير عابئين بسمعة سيئة تنال منهما أو نظرات آخرين تطالبهما بتقديم إجابات . فقد تغلبوا على مثل هذه المشاعر منذ زمن بعيد .

وبأسلوب فلسفي قال جيسو لولده :

إن روحينا تباركها الآن وسيظل ما قدمته لنا بموتها من أعظم مآثرها . أومأ مادهو برأسه مستحسنا حديث والده وقال " صدقت " . وتوجه يدعو :

يا الله ، يا من تعلم خبايا الصدور ، اجعل مثواها الجنة ، إننا نباركها من أعماق فؤادينا . لقد جعلتنا اليوم نتذوق طعاما ما عرفناه من قبل .

مرت فترة صمت وجيزة ، اخترقت خلالها سهام الفضول صدر مادهو فبادر يسأل والده :

ألن نذهب حيث هي الآن فى يوم من الأيام ؟

ولأن جيسو لم يرغب في إفساد نشوة اللحظة ، لم يعط أي جواب على هذا السؤال البريء .

أردف مادهو قائلا :

بماذا سنجيب الناس عندما تسألنا لماذا لم نأت لها بكفن ؟

هراء !

ستسألنا حتما .

ومن قال أن لن يكون لديها كفــن ؟ أتظننـــي أبلـــه ، أم تحسبنـــي لم أتعلم شيئا خلال ستيــن عاما عشتــها في هــذه الدنيا ؟ سيكون لديها كفن ، وكفن أفضل بكثير ممـــا كنـــا سنأتي لها به .

ومن الذي سيأتي لها بهذا الكفن ؟ لقد بددت كل ما لدينـــا من نقود ولكن عند السؤال سأكون أنا الملوم .

تملك الغضب من جيسو ، فصاح في ولده :

قلت لك سيكون لديها كفن ، لماذا لا تستمع إلى ما أقول؟

خبرني إذن ، من سيأتي بهذا الكفن ؟

نفس الذين أعطونا ثمنه المرة السابقة . ولكن هذه المــرة سيقومون هم بشرائه .

هبط الظلام ، فتجلت روعة وجمال النجوم التي ترصـــع السماء ، وبداخل المكان ، علت صيحات النشوة والابتــهاج . فهذا يغني ، وذاك يصيح ، وآخر يهيم عشـــقا بمحبوبتـــه ، وغيره يسقي صديقه من كأسه .

إن الجو في المكان يسكر من روعته بغير خمر ، فيُسـقط الكثيرين سكارى بعد تناول بعض قطرات النبيذ ، حيث تفعل

بهم نسمات الهواء ما لم تفعله الخمر . لقد دفعتـــــهم همــوم الحياة إلى هنا ، فنسوا لبعض الوقت ما إذا كانوا أحيــــاء أم أمواتا ؟ ربما كانوا يشعرون أنهم ليسوا بأحياء أو أموات .

ظل هذان الاثنان يرتشفان الخمــــر ويســتمتعان ، وقــد تركزت كل العيون عليهما ، تحسدهما على ما هما فيه وعلى ما ينعمان به من حظ وافر ، فأمامهما بمفردهما زجاجة خمر كاملة .

أعطى مادهو ، بعد أن انتهيا من طعامهما ما تبقى مــــن لفافة الطعام لشحاذ وقف بالقرب منـــهما وعينـــاه تصيحـــان بالجوع . عرف لأول مرة في حياته مشاعر أن تهب شـيئا . فامتلأ تيها وزهوا واعتدادا بذاته .

نظر جيسو إلى الشحاذ قائلا :

خدها وكل ما شئت ، ثم ادع لنا . ان ثمن هذا الطعام من مال سيدة توفت لتوها ، ولكن دعواتك حتما ستصلها .

رفع مادهو رأسه نحو السماء وقال :

ألن تدخل زوجتي الجنة ؟

نعم يا ولدي لقد كانت سيدة فاضلة ، لم تــؤذ أو تجــرح مخلوقا طوال حياتها . بل والأكثر من ذلك ، إنها حققت لنـــا بموتها أملا طال سجنه في صدورنا . إذا لم تدخل الجنة بعـد ذلك من تراه يدخلها من هؤلاء البدناء الذين يمتصون دمـــاء الفقراء ، ثم يتوسلون ويتضرعون لأن تُغفر ذنوبهم ؟

لم يدم هذا المزاج التضرعي طويلا . فتقلبات المزاج هي إحدى مصاحبات الخمر ، انتقلا ليعزفـا نغمـات مقطوعـة أخرى ، حزينة وكئيبة هذه المرة ، قال مادهو :

حقا يا والدي ، ولكن الفقراء يعانون نـار جـهنم علـى الأرض . فكم كانت نهايتها أليمة .

وضع مادهو رأسه بين كفيه وأخذ يبكي بكـاء مريـرا، حاول جيسو أن يعزيه ويخفف من آلامه قال :

لماذا البكاء يا بني ؟! يجب أن تشعر بالسعادة لقد وجـدت زوجتك الخلاص من قيود العالم المادي ، وتحررت إلى الأبد من أحزانها وآلامها .

وقف الاثنان وبدءا ينشدان أغنية " لماذا تنظر إلينـا ؟ " ، وعيون الحاضرين شاخصة إليهما ، ولكن لم يمنعهما هذا من الاستمرار في الغنـاء والاسـتمتاع بنشـوة ثملـهما ، بـل والرقص.

أخذا يثبان ويقفزان ويقفان ويجلسان ، ويمثلان ويجسـدان مشاعر وانفعالات وعيونهما تنظر هنا وهناك .. إلى أن هويا سكارى .

# ربـــــة البيـــت

د. عصمت جفتائى*

منذ اليوم الذي دخلت الخادمة الجديدة في بيت مـــيرزا ، عم هناك حماس شديد بين الجيران ، فالكناس الذي يتجنـب العمل عادة ويماطل فيه ، بدأ ينظف الدار والفسحة التي تمتد أمامها بشغف وبانتظام، وبائع الحليب المعروف بمزجه الماء في اللبن يأتي باللبن الخالص الذي تطفو عليه طبقة ســميكة من القشدة والزبدة

من يستطيع أن يدعوها بــ " لاجو " أو " الحيَّية " فإنـــها لم تعرف الحياء قط في حياتها ، لا يعرف الناس من التـــي ولدتها ثم تركتها مشردة في الشوارع لتبكي على طفولتــها ، ثم بلغت الفتاة يوما ما ، سائلة أحيانا وجائعة أخرى ، مرحلة من عمرها حيث استطاعت أن تنتزع عيشــها بنفســها ، إن الشباب قد صاغها فأدق منها بعض الشيء وأجــل البعـض الآخر فأصبح ذلك الشيء الوحيد الذي تملكه في الحياة وحياة الشارع قد أدت بها إلى لغز وغموض وأسرار وأستار.

وإنها لم تحفل ، لو لم يكن ذلك مما يكسب لها النقود فقــد يكون إرضاء للغريزة. فإذا لم يجد المحب من مال أو نقــود يدفعها إليها ، فإنها تهب له نفسها حتى بدون مقابل .

" ألا تستحين أيتها المرأة " ؟ سألها الناس .

" ولم لا " ؟ ترد " لاجو " بكل وقاحة وجهها يحمر من الحياء .

" سوف تندمين وتتحسرين يوما ما "

" لا أبالي بمثل هذه الأشياء الطفيفة "

وحقا كيف تستطيع هي ؟ فالوجه البريء وعينان سوداوان و أسنان متناسقة، ولون وجهها النشوان ومشيتها المثيرة المتمايلة . كان الميرزا أعزب وقد أنهكه الطبخ وخاصة إعداد الخبز كل يوم وجعله ذلك غير سعيد في الوجود . كان يملك دكانا صغيرا للبقالة يدعوه بكل اعتزاز " المخزن العام " ولا يفسح الدكان للميرزا مجالا من الوقت حتى يذهب إلى موطنه ويتزوج ،

عثر " بخشى " صديق " الميرزا " على " لاجو " في إحدى محطات الحافلات كانت زوجة بخشى حاملا لتسعة أشهر وكانت في حاجة إلى الخادمة ولما انقضت الحاجة سلمها " بخشى " إلى الميرزا ، لأنه فكر أن الميرزا بدلا من أن يبذل الأموال عند المومسات ، لماذا لا ينتفع بها بدون مقابل ؟

" إن الله حرمها لن أسمح لأجنبية تبيت في بيتي "

رد الميرزا على صديقه قائلا خذها معك يــا " بخشــى " ولكن " لاجو " كانت قد دخلت المنزل فعلا وشــمرت عــن ساقي الجد وأخذت المكنسة في يدها لتنظيف بيــت المــيرزا بكل إخلاص . وعندما أبلغها " بخشى " رفض المــيرزا لــم تصغ إليه كأنها صماء لا تسمع شيئا .

أمرته بتنسيق الســتائر والأوعيــة علــى رف المطبــخ وخرجت لتحضر الماء . " لو شئت لأخذتك معي إلى بيتي مرة أخرى " سألها " بخشى "

اخرج من هنا ، هل أنت زوجي لتصاحبني إلى بيت أمي؟ اذهب ، أنا سوف أعالج سيدي بنفسي .

غادر بخشى تاركا المــيرزا فــي مــأزق ، ولا نــاصر له،فأسرع المسكين إلى المسجد ليلجأ فيه . إنه لم يكن مستعدا قط لأن يتحمل عبئًا مالياً آخر ، ثم إنها قد تكون خداعــة أو لصة ، ما هذه الورطة التي أوقعه فيها بخشى ، يا ترى ؟!

ولكن أخذته الحيرة عندما عاد إلى البيت ، فكأنها عــادت إليه المغفور لها أمه " بي أمان " فأصبح البيت يتلألأ .

هل أحضر العشاء يا سيدي ؟ سألت " لا جو " ثم غابت في المطبخ وكانت أعدت البطاطس وعدس المونغ المحمر بالبصل والثوم على نحو ما كانت تطبخه الأم المرحومة بالضبط : كيف دبرت كل ذاك ؟ سألها الميرزا مستغربا ،

" اقترضت كل ذلك من البقال "

" اسمعي أنا سوف أدفع لك أجرة السفر للعودة ، إنني لا أستطيع أن أتحمل أجرة خدامة :

" من يطلب منك الأجرة " ؟

" ولكن "

" هل الطعام حار ؟ سألت لاجو ، ودست رغيفا آخر في الطبق " ليس الطعام ولكني أنا حار في الواقع ، أحترق من رأسي إلى قدمي " أراد الميرزا أن يصرخ في وجهها ودخل غرفته للنوم .

" كلا يا سيدي . أنا هنا لخير ما ، " هددت " لاجو " عندما أثار المسألة مرة أخرى في الصباح التالي .

" ولكن "

" هل لا يعجبك الطعام ؟ "

" القضية ليست كذلك "

" هل أنا لا أنظف المواعين والدار كلها على أحسن وجه ؟ "

" ليست القضية هكذا كما قلت "

" ثم ماذا ؟ ثارت " لاجو "

إنها وقعت في الحب ، ليس في حب الميرزا ولكن في حب الدار كان بخشى الخداع اكترى حجرة لها ذات مرة ، وكان الذي يقطنها قبل ذلك جاموس ولقد مات الجاموس وذهب إلى الجحيم ، ولكن ترك ورائه رائحته الكريهة . ولم يعاملها بخشى معاملة لائقة .

ولكنها أصبحت الآن سيدة لبيت الميرزا بدون منازع . ثم إن الميرزا رجل بسيط ، بدون أي تعقيد فيه ، ينسل إلى البيت بهدوء ويتناول ما أحضر له من الطعام .

ولقد فحص الميرزا عدة مرات بدوره الحسابات وتأكد من أن " لا جو " لا تخدعه .

كانت لاجو تزور أحيانا جدة رامو ، وهو الشاب التائه المستهتر المساعد للميرزا في دكانه ، وأحب ذلك الشاب التائه المستهتر لاجو منذ أول نظرة إليها ، وهو الذي أخبرها بزيارات متكررة يقوم بها الميرزا. وذلك جرح عواطف " لاجو " وفضلا عن ذلك ما هي للغانيات فائدة وجودها في البيت إذن ؟ فإنها أينما استخدمت قامت بواجبها خير قيام مهما تكن نوعيته ، وهنا مر أسبوع عفيف بكامله ، إنها لم تجد نفسها غير مرغوب فيها قط كما كان الحال في هذه المرة .

ولقد جاءتها مختلف العروض في هذه الأثناء ولكنها كانت على أية حال خادمة الميرزا قبل كل شيء ، فرفضتها كلها حتى لا يصير الميرزا أضحوكة . وهنا كان الميرزا صخرة من ثلج أو كان يبدو كذلك . لم تستطع " لاجو" أن تلمس بركانا يثور في داخله. ظل خارجا عن البيت متعمدا في معظم الأوقات .

أصبح اسم " لاجو " حديث المجالس فقد لطمت اليوم بائع الحليب وألقت يوم أمس بسلة من القاذورات في وجه البقال وهكذا، أصر مدرس المدرسة على تعليمها . وتمتم مؤذن المسجد بكلمات باللغة العربية داعيا الله أن يزيل ذلك الخطر المحدق .

دخل الميرزا مضطربا متضايقا بعض الشـــيء . كـانت لاجو قد استحمت لتوها تاركة شعرها.

– المبلل ينساب على كتفيها . ولقد أضاء نــــار الموقــد خديها وملأت عينيها بالماء ودهشت لدخول الميرزا في غـير ميعاد .

أصبح الميرزا مغلوبا على أمره تقريبا ، بعد أن تنـــاول الطعام بكل هدوء أخذ عصاه وذهب إلى المســـجد ، ولكــن البقاء في المسجد لم يهدئ باله حيث طافت به سلســلة مــن الأفكار حول البيت .

لم يستطع أن يمكث خارج البيت طويلا فعاد ، فوجد لاجو تتعارك على عتبة البيت مع رجل، وفر الرجل بعـد أن رأى الميرزا .

من كان هذا ؟ سألها الميرزا بلهجة مريرة كأنها من زوج يشك في أمر زوجته .

" راغو "

" راغو " ؟ كان الميرزا يشتري منه اللبن منــذ ســنوات ومع ذلك لم يعرف اسمه .

" هل أحضر النارجيلة " ؟ غيرت لاجو الموضوع

" لا " لماذا كان هذا الرجل هنا ؟

" كان يسألني ما هي الكمية التي يجلبها من اللبن منذ الآن؟

" وماذا قلت إذن ؟ "

" قلت له عجل الله جنازتك ، اجلب الكمية العادية "

" ثم ماذا ؟ " سألها الميرزا غاضبا . فقلت له اذهب أيها الملعون وصب الكمية الإضافية من الحليب في فى أمك وشقيقتك .

" لا تسمحي لذلك الوغد بأن تطأ قدماه هذه الأرض مرة أخرى أنا سوف آخذ الحليب عند عودتي من الدكان .

وفي تلك الليلة بالذات وبعد أن تناول العشاء لبس الميرزا قميصا مطرزا ومكويا وألصق قطعة معطرة من القطن في إحدى أذنيه وأخذ عصاه وخرج من البيت .

عصر الحقد قلب لاجو وصبت اللعنة على البنت الغانية وجلست مندهشة مذهولة . هل كان الميرزا قليل الاهتمام بها حقا ؟ كيف يمكن ذلك ؟ " تحدثت إلى نفسها مستغربة .

وكانت البنت الغانية تساوم أحد زبائنها . فأزعج ذلك الميرزا فعاد وجلس على دكان " لالا " وهنا أفاض غضبه على التضخم وارتفاع الأسعار والسياسة الوطنية وما إلى ذلك .. وعاد إلى البيت في منتصف الليل منهمكا مكدودا وثائرا بعض الشيء . شرب كمية كبيرة من الماء البارد ، ولكن النار التي كانت تتأجج في داخله لم تزل تلتهب .

وبجانب ذلك كانت رجلا " لاجو " الناعمتان الذهبيتان تلمعان من الباب المفتوح . خرج رنين خلخالها عند ما تقلبت في نومها بدون انتباه . صب الميرزا كأسا آخر من الماء ورمى بجسمه في سريره لاعنا كل شيء تحت أديم السماء .

ولقد جعلته التقلبات غير المتناهية في الفراش مكدودا منهوكا وملأت كوؤسا عديدة من الماء معدته , إن استدارة الرجل وراء الباب لم تكن لتقاوم .أحاطته مخاوف مجهولة ، ولكن الشيطان تغلب عليه في النهاية . كان قد تمشى أميالا ما بين المطبخ وغرفة النوم ، ولكن الآن لم يتمكن حتى من أن يخطو خطوة واحدة .

وعند ذلك مرت فكرة بريئة للغاية بذهنه . لو لــــم تكــن رجل لاجو مكشوفة هكذا لم يكن قد أقلقه شيء ، وأخذت هذه الفكرة تتقوى تدريجيا ، وقال الميرزا : مــــاذا ســيحدث إذا استيقظت ؟ ومع ذلك كان عليه أن يلقي بنفسه بعيدا عن هــذا الخطر لسلامته هو نفسه .

نزع شبشبه من تحت السرير وكتم أنفاسه وتســـلل إلـــى الغرفة بكل حذر ، ورفع طرف إزارها وبسطه إلـــى أســفل ليغطي به ساقيها المكشوفتين ، ووقف برهة لا يدري مــــاذا يفعل ثم عاد .

وبحركة متعجلة أمسكته " لاجو " بذراعيها . الميرزا لـــم يتفوه بكلمة . إنه لم يرتكب خطيئة كهذه قط فــــي حياتـــه . فناضل و قاوم ولكن لاجو لم تدعه يذهب .

وعندما واجه لاجو فــــي الصبــاح التــالي ، اســتحيت كعروس: لاجو المنتصرة ذهبت لشئونها بكل جرأة . كحلــت عينيها ولم يظهر أي خجل في عينيها على ما حدث في ظلام الليل . فعندما جلس الميرزا ليتناول فطوره جلست على عتبة الباب تحرك المروحة كالمعتاد لتبعد الذباب .

بعد ظهر ذلك اليوم عندما أتت له بالغداء في المخـــزن ، لاحظ لمعانا في مظهرها . كلما تأتي لاجو إلى المخــــزن ،

الناس يتوقفون ويستفسرون عن أسعار المواد المعروضة في المحل .

وتبيع في وقفة قصيرة مالا يستطيع الميرزا أن يبيعه طول النهار .

بدأ الميرزا يتحسن في مظهره . وقد عرف الناس السبب في ذلك واحترقوا حقدا .

وأصبح الميرزا بدوره فزعا مرتابا وكلما تزداد لاجو في خدمته ورعايته يزداد الميرزا ولعا وحبا لها وشفقة عليها من الجيران . عندما تأتي بالغداء له ، كل السوق يهتم بوجودها .

" لا تأتي بالطعام إليّ بعد ذلك اليوم " قال لها ذات يوم " ولماذا ؟ " تغير لون وجهها ، فالإقامة بالبيت دائما مملة بالنسبة لها ، والذهاب إلى السوق كان بمثابة فترة النزهة الطيبة ، ولكن بعد منعها من حمل الغداء إليه ، هاجمت الميرزا شكوك كبيرة بدأ يتردد إلى البيت في ساعة غير عادية ليتجسس عليها وهي تلح عليه بدورها بأجر كامل جزاء عنايته بها .

وذات يوم عند ما وجدها تلعب لعبة " الكبدى " الهندية مع أطفال الشارع ثارت ثورته ، كان إزارها يطير في الهواء

والصبية تلتف حولها وتختفي في إزارهـــا . مـــر المـــيرزا بالقرب من مكان اللعبة حانقا غاضبا ، وأثار ذلـــك حـــيرة المشاهدين .

كان الميرزا أصبح مغرما بلاجو حتى أن مجـــرد خيـــال الانفصال عنها يزعجه . فلم يستطع تركيز عنايته اللازمـــة بدكانه وبدأ يخشى من أنها قد تتركه يوما ما .

" لماذا لا يتزوج الميرزا بها ، اقترح ميرن ميان "

" والله نهى عن ذلك ، صاح الميرزا في وجهه . كيـــف يمكن أن يدخل في مثل هذه العلاقة الطيبة مع مومس ؟

ولكن ذلك اليوم عندما لم يجدها الميرزا بـــالبيت شـــعر بشيء من الخسارة ، وكان " لالا " البقال على رأس قائمـــة المتربصين بها منذ البداية وقد عرض لها بيتا للسكن ، وحتى أن ميرن ميان الصديق المخلص للميرزا من كل ناحية كـــان نفسه مكلوما بعيني لاجو الساحرتين ولم يســـتطع أن يخفـــى رغبته عنها .

وكاد الميرزا أن يفقد الأمل ، وإذا بلاجو تصـــرح بأنـــها ذهبت لزيارة جدة رامو .

وقد استقر رأى الميرزا ذلك اليوم أن يتخذ لاجو زوجا له مضحيا في ذلك بكرامة أسرته وشرفها .

- " ولكن لماذا يا سيدي " تساءلت لاجو وهي مندهشة على ذلك الاقتراح .

- ولم لا ؟ هل لا تزالين تفضلين أي مكان آخر أو تريدين أن تتخذي أي كائن آخر شريكا لك في الحياة ؟

- " ولماذا أفضل أي شخص آخر؟ "

" الم يكن ذلك البقال يعرض عليك بيتا للسكن ؟

- " والله أنا لن أبصق على قصره "

إلا أن الحاجة إلى الزواج قد أذهلتها كلية ، إنها سوف تكون زوجا له للأبد : إن سيدا مثله لن يمكن العثور عليه . لاجو كانت تعرف جيدا أن الميرزا نبيل شريف ومخلصي وفي . وأن أسيادها السابقين كلهم لم يكن همهم سوى أن يأخذوا نصيبهم منها ثم يضربونها ويطردونها من البيت وبالعكس من هؤلاء ظل الميرزا عطوفا ومحبا لها منذ البداية ، وقد اشترى لها بعض الملابس وقلادة ذهبية وخواتم وأقراطا مع أنه لم تستطع أي امرأة من سبعة أجيال من أسرة لاجو أن تتحلى بالذهب الخالص .

وعندما ذكر الميرزا خطته هذه لجدة رامو ، فإنها أيضـــا قد أخذتها الحيرة .

" لماذا تعلق جرسا في عنقك يا سيدي ، سألت العجـــوز " هل لا تزال تصرفاتها شائنة ؟ مجرد ضرب مبرح ســـوف يقوم اعوجاجها وحيث إن مجرد الضرب يكفي فلماذا تفكـــر في الزواج؟

ولكن الميرزا كان مقهورا مغلوبا بفكرة الزواج .

" فلماذا هذا التأخر ؟ هل تـــترددين فـــي ذلـــك بســـبب الاختلاف في الدين " ؟ هكذا سألت جدة رامو : " لا ليســـت المسألة كذلك وإنما اعتبرته دائما زوجا لي " كانت لاجو قـــد اعتبرت أن المحب العابر زوجا عابرا ، خدمتـــه بكـــل مـــا أوتيت من كفاءة ، مع أن الثراء لم يبد عليـــها إلا أنـــها قـــد وهبت نفسها كليا ، جسما وروحا . ولكن ميرزا كـــان مـــن الاستثناءات طبعا حيث إن لاجو قد عرفت لأول مرة ما هـــو السرور والمتعة في صفقة الأخذ والعطاء معه ، ومقارنة بكل من سواه فهم خنازير .

وكذلك لأن الزواج إنما هو للعذارى فكيـــف تصلـــح لأن تكون عروسا ، إنها ألحت في الطلب ، ودافعت عنه وأعربت عن ترددها على ذلك الأساس ، ولكن الميرزا كان مصـــرا على أن يدخل معها في عقد النكاح الشرعي .

وفي ذلك اليوم بالذات تم عقد الزواج بعد صلاة العصر تغنت الفتيات الشابات من البيوتات المجاورة أغاني الزواج وأعد الميرزا وليمة لأصدقائه ، ومنذ ذلك الحين أصبحت " لاجو " التي أعيد تسميتها بـ " كنيز فاطمة " زوجا للميرزا عرفان على بيك .

وقد فرض الميرزا حظرا على لبس " لهنكا" وهو إزار مفتوح من الأسفل عند القدمين تلبسه النسوة في الأرياف وأمرها بلبس " جوريدار " ( وهو سروال يغطي العورة إلى أسفل القدمين تلبسه النسوة من الطبقة المحتشمة المتحفظة ) كانت لاجو على أية حال متعودة على فسحة مفتوحة بين رجليها . وهذا الحظر الجديد المفروض كان استفزازا كبيرا وإزعاجا لها ، ولم تكن مستأنسة به ، وذات يوم خلعت رداءها لأول فرصة وجدتها وكادت أن تلبس " لهنكا " وإذا بالميرزا قد دخل البيت ، وقد نسيت وهي في حالة ارتباك شديد أن تربط نطاق الإزار حول خصرها بل تركته واقعا على الأرض .

" لعنة الله عليك ، صرخ الميرزا في وجهها ، وأسرع إليها ليغطيها بردائه .

لاجو لم تستطع فهم هذا السخط والصراخ والكلمات التي خرجت من فيه بعد ذلك . ماذا أخطأت يا ترى ؟ فقد وقع مثل ذلك العمل بالذات مرارا وتكرارا وأعجب ذلك الميرزا

في الماضي ، ولكن في هذه المرة قد اغتاظ إلى هذا الحـــد ، أخذ " اللهنكا " ورمى به في النار .

غادر الميرزا تاركا لاجو مكدودة مذهولة ، فأزالت الرداء ونظرت إلى جسدها بدقة وبإمعان . لتتأكد مـــن أن مرضـــا جلديا معديا ربما قد أصابها في ليلة واحدة .

وكانت تمسح دموعها وهي تستحم تحت أنبوب الماء فـــي مكان مفتوح ، وكان " متهوا " ابن الجيران يتسلق السقف كل يوم بحجة تحليق الطيارات الورقية وراقبها وكانت متألمـــة محزونة ذلك اليوم إلى درجة أنها لم تضرب بيدها ولا رمت بقبقابها على الولد ، بل ربطت الرداء حول جسدها وذهبـــت إلى الداخل .

وقد لبست سروالا ، وأضيف إلى تعاستها أنها قد فقـــدت نطاقها داخل الغلاف فصرخت مستنجدة وظـــهرت " جلـــو " إحدى الفتيات من الجيران ، وتم العثور على الرباط .

" من الأحمق الذي اخترع جراب البندقية هـــذا كملبـــس للمرأة ؟ " صاحت " لاجو " مستغربة .

ولما عاد الميرزا إلى البيت فيما بعد لعب النطاق ألعوبتـــه مرة ثانية وحاولت " لاجو " بدون جـــدوى أن تمســـك بـــه بأناملها ، ووجد الميرزا دهشتها مغرية له ، وبعـــد محاولـــة

مشتركة ، أمكن العثور على النطاق . ولكـــن معضلـــة قـــد رفعت رأسها بالنسبة للميرزا و كانت جذابة ســـاحرة فـــي " لاجو " تحولت إلى وقاحة حياء في شخصية زوجتـــه . فلـــم تكن ظاهرة الدلال والتبختر غير المحدود تلائم تقاليد أســـرة شريفة ، لم تبرز " لاجو " عروس أحلامه ، التي تفتح طربـــا على مظاهر الحب من جانبه ، وتتصدع ألما لـــدى إهمالـــه وتغافله ، فلم تكن " لاجو " الآن إلا مجرد ألعوبة ملقاة فـــي الطريق .

إن القيود التي فرضها الميرزا على حريتها التي لم تكـــن تعرف حدوداً استطاع بها أن يكبل الوحـــش فـــي داخلـــها ، وحاول ترويضها ، أو كأنها تتصور ذلك على الأقل وهكـــذا لم تعد في الميرزا رغبة الإسراع في العودة إلى البيت مثـــل السابق ، وبدأ يقضي معظم أوقاته مع الأصدقاء والزمـــلاء ، حتى لا يتعرض لتهم عبودية الزوج .

وبدا للميرزا أن يعوض عدم وجوده بالبيت وانصرافه إلى أمور أخرى في الخارج ، باستخدام خادمة تعاون " لاجـــو " في القيام بأعمال البيت ، ولكن بمجرد الاستماع إلـــى هـــذا الاقتراح ثارت لاجو ، إنها كانت تعـــرف جيـــدا زيـــارات الميرزا للراقصات والمغنيات منذ أمد بعيد ، وتعرف أيضـــا أن كل رجل من جيرانها يتردد إليهن ، ولكنـــها لـــم تكـــن مستعدة لاستقبال أي امرأة ساقطة بالبيت ، وحتى لم تســـتطع التغاضي عن وجودها في المنزل فالويل كل الويـــل بـــالتي

اجترأت أن يطأ قدماها أرض مطبخها ، أو أن تمس يدها الأواني التي نظفتها أحسن تنظيف فأصبحت لامعة بيضاء ، إنها تهشمها وتجعلها إربا إربا إنها تستطيع أن تتحمل إشراك امرأة اخرى في حقوقها على الميرزا ولكنها لا تتحمل المشاركة في شئون منزلها مهما يكن الأمر.

وكان يبدو أن الميرزا قد نصب لاجو في بيته ثم نسيها وكل ما يتعلق بها ، وقد مرت أسابيع ولم يقل لها سوى " نعم و لا " وعندما كانت مجرد عشيقة تتركز عليها أعين الناس ، ولكن منذ أن احتلت مكانة مشرفة لم تعد سوى أم أو أخت أو بنت ولا يتطلع إلى ما وراء الستار الخفيف الذي تعيش وراءه سوى " متهوا" ابن جارتها الوفي ، فإنه لا يزال يقفز على السطح بحجة تحليق الطائرة ومن حسن الصدف أن مثل هذه الصدف تقع كلما يبعد الميرزا عن البيت وتستحم لاجو في الفناء .

وذات ليلة غاب الميرزا عن البيت طوال الليل ليحتفل بعيد " دسهره " مع أصدقائه ، وعاد إلى البيت في الصباح . وغسل يديه ووجهه ، وتوجه إلى الدكان ، وفي نفس ذلك اليوم وقع بصرها وهي تستحم على السطح ، أو لأن سهام أعين " متهوا " قد جرحت جسدها المبتل . وإذا بطيارته قد انقطعت واحتكت الطائرة المقطوعة بجسمها وتألمت " لاجو " وثارت ثائرتها ، فنهضت ، وأسرعت إلى الحجرة في غير مبالاة وغير ملتفة بمنشفتها .

ومنذ ذلك اليوم لا يزال " متهوا " يحوم حول بيت الميرزا وكلما احتاجت لاجو إلى شيء تستدعيه من وراء الستار وتقول ، يا متهوا لا تكن كالعاطلين ، قم أيها الكسول ، واشتر لنا شيئا من " الكجوري " من السوق .

ولو لم يظهر " متهوا " على السطح عند استحمامها فإنها تضرب الدلو بكل قوتها حتى يستيقظ الموتى من قبورهم . إن متعة الحب التي قد جادت بها بملأ يديها طول حياتها كانت الآن من نصيب " متهوا " وإذا لم يحضر الميرزا للغداء يوما ما ، فإنها لا ترمي بالغداء وراء البيت بل كانت تطعمه ذا الحاجة ، ومن يكون أكثر احتياجا من متهوا ؟

وكان الميرزا متأكدا من أن رباط الزواج قد جعل من لاجو ربة البيت بكل معاني الكلمة فإن لم يكن شاهد بأم عينيه لما أيقن بالأمر. وقد ضحكت بملأ شدقيها عندما رأت الميرزا من غير ميعاد على عتبة الباب ، إنها لم تكن تقدر حتى في أفزع منامها أن الميرزا قد يثور إلى ذلك الحد .

ولكن متهوا قد توجس ما كان يخفيه المستقبل ، ففر هاربا وهو يمسك بيده أطراف إزاره ، ولم يقف ليشد إزاره إلا بعد أن اجتاز قرية بعد قرية ، وأما الميرزا فقد اندفع على " لاجو " ضربا مبرحا مؤلما كادت أن تلفظ أنفاسها من شدته . لو لم تكن قوية البنية .

وقد طار الخبر من أقصى القرية إلى أقصاها بأن الميرزا قد ألفى زوجه مع متهوا . وتوجه إلى مكان الحادث سكان القرية جماعات و وحدانا ، وقد أخذهم اليأس عندما علموا أن متهوا بطل المسرحية تمكن من الهرب ، وأن " لاجو " زوج الميرزا ملقاة على الأرض مكدودة مهزومة لشدة ما لقيت من الضرب المبرح . وجاءت جدة رامو ، وحملتها إلى بيتها .

ولعل الناس كانوا قد ظنوا أن " لاجو " لابد من أن تتقزز بمجرد تصور الميرزا بعد هذا الضرب المبرح ، ولكن لم تكن ثمة شائبة لكراهية ، فقد حقق الضرب ما لم يحققه الزواج ، وقد توثقت الرابطة . وما أن فزع عنها إلا وقد سألت عن الميرزا ، فقد كان جميع أصيادها السابقين محبين مؤقتين ، فتعرضت عندهم دائما للضرب والتوبيخ والهوان ، ولا تسأل عن المرتب ، بل إنها تتعرض لأنواع الضرب والإهانة ، وحتى بعد أن تهب نفسها لهم كلية ، وكانت معاملة الميرزا معها حسنة دائما ، أما الصيادون الآخرون فقد ضيفوا بها أصدقائهم ، وأعاروهم إياها . ولكن الميرزا احتفظ بها لنفسه دائما ، واعتبرها متاعا له ، بدون أن يشاركه فيها أي شخص آخر .

أشار عليها متهوا بالهرب خلاصًا لحياتها ، ولكنها أبت إلا أن تبقى على ما كانت عليه.

لا يعلم الميرزا كيف يتقي بوجهه من الدنيا ، ولـــم يكــن أمامه طريق ليحافظ على شرف أسرته وكرامة بيته سوى أن يقتلها . أرسل إلى " ميرن ميان " يستدعيه وقال موبخا لـــه ، لماذا أوقعت نفسك في ورطة لأجل تلك الكلبـــــة ، طلقـــها ، وتخلص من تلك الساقطة اطردها ولا تذكرها أبدا .

فطلق الميرزا لاجو في نفس الوقت ، وبعث إليها اثنتيـــن وثلاثين روبية صداقا لزواجها ، وبملابسها وسائر أشياءها ، عن طريق جدة رامو ، ولما سمعت " لاجو " عن الطـــلاق ، شعرت بهدوء واطمئنان ، فكان عقد النكاح نحســا عليـــها ، وكافة المتاعب التي تحملتها ، كانت من أجله .

– " ألا يزال سيدي ساخطا .. سألت جدة رامو إنه يتقـزز حتى بالنظر إلى وجهك ويريد أن تبعدي من هنا وتموتـــي غرقا "

– " ثكلتك أمك ، اذهبي ، أغرقي جدتك "

وبعد أسبوعين من ملازمة الفراش نهضت " لاجو " وهي في أتم صحتها ، وقد بزرت من بين الضرب واللطم أجمـــل من ذي قبل ، وكانت لها جاذبية أكثر من الســـابق، وكلمـــا خرجت لتشتري حاجتها ، كانت الثورة تعم السوق . وأمـــــا الميرزا فكأنه حي ميت ، يتقطع حياءً ، وذات يوم رآها أمـــلم

دكان البقال ، وهي تجادل في أمر ما ، فكان البقال لا يتمالك نفسه ، فانسل الميرزا من المكان معرضا عما يدور .

" أنت مجنون يا صديقي ، لماذا يهمكم ما تعمله هي ، فقد طلقتها أليس كذلك ، سأله " ميرن ميان "

"إنها كانت زوجتي لفترة من الزمن "

" الحقيقة ، أنها لم تكن زوجتك قط "

" إنه غير شرعي من أساسه "

" وكيف ذلك ؟ "

" لم يكن ا: [illegible] شرعياً قط ، فلا أحد يعرف من كان سبب وجودها في الكون ، وأظن أنها امرأة غير شرعية "

أصدر " ميرن ميان " حكمه القاطع .

" فكأن النكاح لم يتم قط ؟ استفسر الميرزا

" ويعني ذلك أنني لم أفقد شيئاً ؟ وأن شرف أسرتي وكرامتها لا تزال كما هي ؟ "

اطمأن الميرزا لذلك وتهلل بشرا ، ولكن ماذا سيكون عن الطلاق ؟ سأل بشيء من الانزعاج .

" عزيزي لم يتم النكاح ولا وقع الطلاق "

" فقد ضاعت الاثنتان وثلاثون روبية " قال الميرزا بلهجة محزونة وانتشر الخبر في القرية فورا ، بأن زواج الميرزا من عروسه لم يُثبت قط ، النكاح والطلاق كلاهما غير شرعي .

ولما سمعت " لاجو " بالخبر جعلت ترقص من شدة الفرح، فقد انكسر الحلم المخيف للزواج والطلاق ، والأمر الذي كان أكثر سرورا لها ، هو أن الميرزا لا يلجأ إلى التستر بوجهه عن أعين الناس ، وكان يقلقها بإخلاص أن الميرزا ، قد فقد من كرامته لأجلها ، ما أحسن أن يكون المرء من غير أب وأم قالت في نفسها ، " لا قدر الله . لو كانت بنت حلال " ارتعدت بمجرد هذه الفكرة الخيالية .

وكانت " لاجو " تشعر بضيق النفس والاختناق في بيت جدة رامو ، تزعجها دائما فكرة البيت ، الميرزا قد لا يكنس البيت ولا ينظفه خوفا من السرقة ، وقد يكون المطبخ مخزن القاذورات والنفايات وذات يوم كان الميرزا يذهب إلى دكانه، وإذا بلاجو ، قد اعترضته في الطريق ، وسألته قائلة : " هل تسمح لي يا سيدي بالعودة إلى العمل ، منذ الغد ؟ "

" وقحة " قال الميرزا ومر بها بسرعة ،

" ولكن سوف أحتاج إلي خادمة ما ، عاجلا أم آجلا ،

فكر الميرزا في نفسه ، فإن لم أجد غيرها ، فقد تكون الكفاية في هذه السافلة "

لم تنتظر " لاجو " نتيجة تأمل الميرزا ، وتفكيره ، بل ونزلت إلى الدار من ناحية السقف ، وانصرفت إلى العمل ، بجد واهتمام بالغين ،

وعندما عاد الميرزا ، ذلك المساء ، إلى البيت ، دهش كأن المغفور لها أمه قد عادت إلى البيت ،فأصبح البيت نظيفا أبيض ، وطاب الجو بعطور وبخور لطيفة ، الجرة كانت مملوءة بالماء البارد وعليها قدح نظيف شفاف .

كان الميرزا يغمر حب الدار قلبه ، وتناول بكل هدوء وسكينة اللحم المشوي ، والخبز السمين وجلست " لاجو " كعادتها ، على الدهليز ، تذب عنه الذباب .

وفي الليل عندما فرشت ستائر الجوت تعرض الميرزا مرة أخرى ، لعراك نفسي شديد ، واختبار ذهني متعب . وظل يتململ على الفراش كالسقيم ، ويقع على مسامعه صوت الخلخال والحلي ، وكان يشعر بتأنيب الضمير ،

والإحساس بالجريمة ، واستيقن أنه لم يعامل " لاجو " معاملة طيبة وكأنه ارتكب جريمة نكراء بعدم تقدير كائن مسـكين ، واستولى عليه إحساس عميق بالندم والخجل ، بدا يكره نفسه.

فجاءة نهض وقطع سلسلة التفكير ، وقام وأسرع إلـى " ربة البيت " والتقطها من على الحصير .

# آدم ودرخاني

خاطر غزنوي*

تقول الأسطورة الشعبية " إن الشخص الذي يستعمل قطعة صغيرة من خشب شجرة على ضريح آدم خان كمضـــراب ، يتعلم العزف على الربابة فوراً " .

هذه الكلمات يؤمن بها كثير من الناس ، وحقـــا يفعلـــون هكذا ، والله أعلم إلى أى مدى هذه الحقيقة ، ولكن من المؤكد أنه يتضح من هذا الأمر أنه كان بين آدم خان والربابة علاقة حب ووله .

وقد نالت قصة آدم خان ودرخانى مكانـــة ســامية بيـــن قصص الحب فى إقليم سرحد ( الحـــدود الشــمالية ) وقـــد ظهرت هذه القصة كذلك فى مدينة سوات موطـــن الجمـــال والنرجس والحب .

ولا نستطيع تحديد الزمان الذي دارت فيه أحـــداث هـــذه الحكاية الشعبية والتاريخ الصحيح لها ، ولكن يعرف من ذكر الملك أكبر مرارا فى هذه القصة أن هذه الأحداث وقعت فـــى

عهد الملك جلال الدين أكبر ، وما يتعلق بهذه القصة مكتوب في كتاب " بختانه شعرا" وفيما يلي ترجمته :

يتضح من بعض أجزاء هذه القصة أن آدم خان ودرخاني كانا يعيشان في عهد الملك المغولي جلال الدين أكبر ، وربما عاشا بعد سنة ٩٥٠ هـ ، ففي هذه القصة ورد اسم الملك أكبر في مواضع عديدة ، وكان محسن خان الحاكم المغولي في ذلك الوقت ، واليا على كابل ، وعلى ما يبدو من الأحداث أن محسن خان قد عين حاكما ومصنفا لعدة كتب بلغة الباشتو وكان موجودا في ذلك الوقت ، الحاكم محسن خان في كتابه " مخزن الإسلام " وقد حكم الملك جلال الدين محمد أكبر من سنة ٩٦٣ هـ حتى سنة ١٠١٤ هـ ولابد أن آدم خان ودرخاني كانا يعيشان حتى سنة ١٠٠٠ هـ ، كما ذكر من قبل بأن هذه الواقعة حدثت بعد عام ٩٥٠ هـ .

وقد ذكر المحقق الإنجليزي الشهير راورتي ومؤرخ آخر هو الفنستون هذه القصة في كتابهما " وقائع كابل " (The Account of Kabul) ، وقد نظم هذه القصة شعرا الشاعر عبد القادر خان ختك ( ١٠٦٢ – ١١١٨ هـ ) ابن خوشحال خان ختك ، وكان شاعرا فحلا ، كما نظم هذه القصة شعرا بلغة الباشتو كل من برهان خان ( ١١٠٠ – ١١٧٣ هـ ) ، وملانعمة الله نوشهري

( ١٨٥٦ - ١٩٣٩م ) وسيد أبو على شاه ، وكتبها نثرا بلغة الباشتو كل من مسعود أحمد خان وشوكت الله خان أكبر .

ويبدأ عهد مسعود بعد سنة ١٠٠٠ هـ ، وقد وقعت أحداث قصة آدم خان ودرخاني فى حياته ، وعندما توفى آدم خان رثاه مسعود بقوله : " واآسفاه !! لقد رحل آدم خان عن الدنيا ، والدنيا بأسرها باكية على فراقه ، واحترقت هذه الأرض ونثرت التراب على رأسي ، ووصل هذا الدخان المنحوس إلى عنان السماء ، والهواء حتى الآن يتأوه بآهات باردة ، ويدور فى الدنيا قلقاً مضطرباً .

وقد قدمت قصة آدم خان ودرخاني شعراً في كتاب " بختانه شعراً " ودونوا أشعاره التي نظمها في مواضع مختلفة، وهذه القصة أي قصة آدم خان ودرخاني قدمها الكاتب سيد أيو علي شاه بهذا الأسلوب .

" توجد في مدينة سوات الجميلة ذات الخضرة والأزهار والحقول الفسيحة والشاسعة قريتان جميلتان هما بازدرة الشمالية وبازدرة الجنوبية ، وقد ولُد آدم خان في بيت الخلن الكبير حسن خان الذي كان من أعيان بازدرة ، وكان من قبيلة " ميتاخيل " بطن من بطون " يوسف زي "

وقد نشأ آدم خان وترعرع فى وادي الزهور والحدائــــق والعيون والشلالات ، وكان هو نفسه أجمل مـــن الزهــور ، شجاع فى غاية الشجاعة ، وذكي فطن وله صوت طـــروب ويعرف العزف على الربابة أيضاً ، وكانت فى أصابعه هــذا القدر من الحرقة والتأثير ومفعمة بالحركة والنشاط .

وعندما كان يحرك أوتار الربابة كان يثـــير فـــى قبـــول السامعين الشجن ، وكان " مـــيرو ، و " بـــالو " صديقيـــن حميمين له ومرافقين له ليل نهار ، وكان مجـــرى حياتـــهم ينحصر فى التنزه والصيد والغناء ، وكان لجمال آدم خــــان تأثير على قلب كل فتاة شابة فى القرية ، وكـــانت الفتيـــات يعتبرن رؤيته من حسن طالعهن.

وكانت درخانى ابنة طاووس خان يوسف زي من قريـــة بازدرة ، وقد ورد فى كتاب " حيـــاة أفغـــانى " اســـم والـــد درخانى هو بير جوكى خان حاجى خيل .

وكانت درخانى فتاة غاية فى الحسن والجمـــال وقـــد ذاع صيت جمالها فى كل المناطق ، ,هى فتاة ذات حياء وكاملـــة فى كل الجوانب ، فكانت تتعلم طبقاً للعادات العلوم القديمـــة ، حيث قرأت القرآن الكريم ، والكتب المعروفة الأخرى فـــى البيت على يد شيخ القرية ، وقد ذاع صيت علمها أيضاً مثـــل جمالها وحسنها ، وكان فى بازدرة رجل يدعى " باياو " قرر

الزواج من درخانى بعد أن رأى حسنها وعلمها ، وذهب إلى بيت درخانى لخطبتها ، ووافق أبوها على هذه الخطبة وتمت الخطبة في غاية الأبهة والعظمة ، وكان " باياوِ" كأنه حصل على الجنة ، وكانت سعادته وسروره فى موضعها ، وكانت الناس تعتبر حظه سعيداً .

وكانت إحدى خالات درخو ( الاسم المخفف لدرخانى ) تعيش فى بازدرة الشمالية ، وقد بدأت الاستعداد لتجهيزات زواج ابنتها " بسكتى" وقد اضطرت درخو أن تشارك فيها لكونها ابنة خالتها .

وقد زادت خفقات قلوب شباب القرية عندما سمعوا خبر مجيىء درخانى وبدأت تفيض فى صدورهم طوفان الأمانى ، واضطرب كل شخص لرؤية درخانى ، ولكن درخو بعدما أتت قبعت فى حجرة مظلمة مع بسكتي .

وفى ليلة الزفاف احتدم الرقص والغناء فى الحجرة ، بينما فتيات القرية وسيداتها مشغولات فى استراق النظر من وراء الجدران على الجانب الآخر ، ولم تقع أنظارهم على وجه درخانى وتحطمت قلوب الشباب ، وذكر أحدهم اسم آدم خان ، وقال إن فى أصابعه تأثير السحر ، وأسرع بعض الشباب وأحضروا آدم خان وصديقيه ميرو وبالو .

وكان الوقت فى ساعة متأخرة من الليل ، فحرك آدم خان أوتار الربابة بمضرابه حركة خفيفة فطـــرأ علـــى الجميـــع صمت مطبق ، وقد قدم المؤلف سيد أبو علي شاه هذا المشهد من قصة آدم خان ودرخاني بأسلوب رائع مؤثر :

عندما بدأ ( آدم خان ) العزف ونظم الشعر ، طار لب كل شخص .

وهكذا عزف علي الربابة فى هذه الحفلة ، حتـــى طـــرأ الوجد على السماء .

وبعد أن غاب عن وعيه واندمج مع ألحان نغماته ، جاءت الإيقاعات مليئة بالحركة والحرقة ، وكان السامعون يـــهيمون فى بحر الدموع .

عندما يداعب بأنامله أوتار الربابة ، كان كأنه يقسم الآلام على العاشقين .

وحينما كان يتغنى بالغزل بمصاحبة الربابة ، يطرأ علـــى السامعين عالماً كعالم الجنون .

لقد كانت ربابة آدم خان مليئة بالحرقة والتأثير إلى هـــذا الحد بحيث نسى الناس فكرة رؤية درخانى لبعض الوقـــت ،

ودفعت أنسام السحر بهذه الألحان المثـــيرة للشـــجن حتـــى أوصلتها إلى حجرة درخانى ، فأثارت فى قلبها الاضطــراب واللوعة ، وجذبتها هذه الأنغام المؤثرة إلى الحائط ، وفجـــأة ارتفعت أنظار آدم خان ووقعت على درخانى وكـــانت هـــذه بداية حبهما .

تم الزواج وانفض العُرس ، وعادت درخانى إلى قريتـــها بعد أن، وقر حُب آدم خان فى قلبها ، وكذلك تأثر قلـــب آدم خان تأثراً عميقاً بجمال درخانى وبدأ يضطرب حزناً وغماً ، ونسى النزهة والصيد ، وبدأ يتحدث عن محبوبته فـــى كـــل وقت مع الربابة ويقول : " الربابة فى حضنى ، وأتحدث مـــع محبوبتى بأحاديث عذبة حلوة " .

وعندما علم حسن خان بحب آدم خان ، اســـتدعاه علـــى الفور ووبخه ، إلا أن، آدم خان نحى بنفسه من هذه الورطـــة بعد أن اختلق الأعذار من هنا وهناك ، لكنه عندما صار ألـــم الحب خارجاً عن نطاق تحمله ، قرر الالتقاء بدرخانى ، وفى النهاية اصطحب صديقيه معه فى إحدى الليالى تحت جنـــح الظلام ووصل إلى بيت درخانى ، ووصل بطريقة ما إلـــى حجرة درخانى بعد أن ألقى بنفسه فـــى المخـــاطر وأيقـــظ درخانى ، برفق وحذر ، فاضطربت فى البداية ، لكن عندمـــا وجدت آدم خان واقفاً أمامها استقر قلبها الذى أضناه الـــهجر لفترة وجيزة .

وقال آدم خان " يا درخانى " ، يا ملكة الحسن ، يا من صيت حسنك ذاع فى كل مكان فى الدنيا ، آدم فى شوق لرؤيتك ، فابعدى خصلات شعرك من على وجهك" .

وكلاهما قضى طوال الليل فى أحاديث الحب والعشق العذبة ، وقد أظهرت درخانى محبتها لآدم خان بقولها : " يا آدم خان ، يا من أنت سيد قبيلة ميتاخيل إحدى قبائل يوسف زى ، إن قلبك ملئ بالدر والجواهر ، وكلامك ينثر منه اللؤلؤ ، فمثلى كمثل الجسد وأنت مثلك كمثل الروح فى هذا الجسد " .

وانبلج الصباح حاملاً معه رسالة الفراق بين المحبين ، وفى الخارج كانت أصوات أغنام والد درخانى قائلة : " يا أغنام والدى أصابك الله بجرح فى نحرك ، فلم يظهر السحر وأنت جعلتى هذا الوقت سحراً ، وافترق أميرى آدم خان عن حضنى " .

وعندما حان وقت وداع آدم خان ، انفجرت درخانى فى البكاء ، حتى احمرت عيناها وقالت هذا الشعر :

يا آدم خان إن هذا الكلام الذى بحت به لك أفكر فيه ولن يحول أحد فى طريق حبنا .

حتى الآن الدنيا لا تعرف لماذا أبكى حتى احمرت عيناى، لماذا لا أبكى وقد بدأ ديك السحر يؤذن فى كل مكان .

وافترقا ، والآن بدأت نيران الحب تـزداد اشـتعالاً فـى قلبيهما ، وقد جعل غم الحب درخانى طريحـة الفـراش ، وبدأت تحترق بنار العشق ، وظن الأقارب والأصدقاء أنـها مريضة ، وبدءوا التفكير فى علاج هذا المرض ، بينما كانت درخانى تقول :

" أيها الناس الظالمون ، ليس بى مس شيطان أو مـلاك ، ومع أننى لا أسمع كلام أحد فإننى لست صماء ، لقد رحـل عنى آدم خان وأنا بدونه صرت عمياء بغير عيون"

وقد أخبرت درخانى أستاذها بأحوال حبها ، والتمست منه أن يأتيها بأخبار آدم خان ، وقد وافق الأستاذ على هذا ، وفى وقت الذهاب أعطته درخانى خاتمها لكى يعطيه لآدم خـان ، وأعطى خان خاتمه للأستاذ عوضاً لها عن خاتمها .

وبعد عدة أيام بدءوا يستعدون لزواج درخانى ، وقد علـم آدم خان بذلك فانهال عليه جبل الحزن ، وتم الـزواج ولـم يستطع أن يمنعه ، وظل آدم خان هنا مضطرباً فـى حيـن سُلمت درخانى " لباياو " مربوطة اليدين والرجلين كـالحيوان الأخرس .

وبدأ اضطراب آدم خان يزداد يوماً بعد يوم ، وأخيراً لم يستطع البقاء على هذه الحالة ، وبعث إلى أبيه بهذه الرسالة عن طريق أحد الأشخاص يقول فيها : " عليكم أن تبحثوا لى عن حل ، وإلا سوف أقتل نفسى " .

وكان حسن خان يعلم جيداً الحالة السيئة لابنه ، وقد روى لصديقه ميرمائى القصة الكاملة ، وكان ميرمائى سيدًا عظيمًا وقويًا ، فاصطحب معه آدم خان وعددًا من الفتيان وذهب إلى قرية " باوياو" وأغاروا على منزله واستولوا على درخانى ، وأخذ آدم خان درخانى على حصانه وعاد إلى القرية وترك درخانى فى بيت ميرمائى لعدة أيام على سبيل الاحتياط حتى تحصل على الطلاق من " باياو" ثم تتزوج من آدم خان ، لكن آدم خان المسكين لم يكن يعرف أن " ميرمائى " سيأخذ رشوة من " باياو " ويسلم له درخانى ، بينما ظل آدم خان يحترق ندماً بعد أن سمع هذا الخبر .

وذات يوم جاء جماعة من النساك من الهند بملابسهم الصفراء للبحث عن عقاقير فى جبال سوات ، فتتكر آدم خان فى لباس النساك وأخذ معه صديقه والتحق بهم ووصل إلى قرية درخانى ، وأقام النساك هناك فى حديقة " بايلو " وذات يوم التقى آدم خان بدرخانى ولكن هذا اللقاء لم يحقق أى شئ سوى نثر الدموع ، وارتاب " باياو " فى أمر النساك وسارع فى إخراجهم من قريته ، عندئذ لم يبق لآدم خان أى شئ

سوى الاحتراق بنار الفراق ، فلم يكن هناك إلا هو وربابتـه والبكاء المتواصل .

وبعد أن رأى أهل القرية حالته السيئة ، أشـاروا علـى حسن خان أن يبحث له عن زواج ينسى بـه حزنـه علـى درخانى ، وبناء على هذا استدعى أبوه صديقه " ميرو " وقال له أنه رأى فى القرية المجاورة فتاة غاية فى الحسن والجمال اسمها " جلناز " فلو تريد أن تنقذ حياة صديقك فخذه معك إلى تلك القرية واجعله ينظر إلى " جلناز " نظرة خاطفـة بـأى وسيلة ثم أجبره على الزواج منها .

كان " ميرو " كذلك لا يحتمل أن يرى آدم خان على هـذه الحالة ، فعمل برأى حسن خان وذهب بآدم خان إلـى تلـك القرية بهدف النزهة ، وهناك رأى آدم خان " جلناز " ولكـن هذا الحب لم يكن عشقاً إلى هذه الدرجة بحيث إن جمـال " جلناز " الآسر لم ينسه ذكرى درخانى ، وازدادت حالـة آدم خان سوءاً ولازم الفراش ، وأخيراً أسلم الروح وانتشر خـبر وفاة آدم خان فى كل مكان ، وحينما علمـت درخـانى لـم تستطع تحمل الصدمة ، وماتت هذه العفيفة الجميلة والتقـت روحها بروح آدم خان ودرخانى ثلاث مرات ، وفى كل مرة كانا يجدان أنهما معاً فى مكان واحد .

وهناك روايتان فيما يتعلق بضريح آدم خان ودرخـانى ، تقول إحداهما أن ضريحهما قائم فى بازدرة إحـدى قـرى

"سوات " ولكن هناك ضريح فى " أكورة " بمنطقة " ترلاندى " على شاطئ نهر " لندا " يعتقد الناس أنه مثواهما الأخير ، على حد قول سكان هذه القرية فإن آدم خان على الرغم من أنه كان من سكان بازدرة ، إلا أن درخانى كانت من هذه القرية .

والرواية الثانية تقول إن حسن خان أبا آدم خان كان حاكماً على إمارة " طورو" وكانت إمارته تشمل " زره " و " ميان " و " ترلاندى " و"مصرى بانده" و"على توتك" وعددًا من القرى الأخرى المحيطة بها . وفى تلك الأيام كانت هذه القرى الصغيرة تابعة لقبيلة يوسف زى بسوات ، ولكن الآن هذه الأماكن اليوم تعد فى منطقة ختك .

وهذا الضريح يفد إليه زوار من كابل وننجهار ومن أماكن بعيدة ، وكان أهل هذه القرية حين يدعون لسقوط المطر أو لحمايتهم من الوباء يجتمعون فى هذا الضريح .

ويقول أديب الباشتو المعروف محمد أجمل ختك : " دخلت ذات مرة إلى فناء هذا الضريح بالحذاء ، فنبهنى رجل ومنعنى وقال حتى لا تنزل بك المصائب ، وهذا المزار مبنى على مصطبة ذات أربعة جُدر من الحجر ، ويُقال أنهما مدفونان فى لحد واحد وتركوا بينهما مسافة كحد فاصل وكعلامة ، وفى الناحية الجنوبية هناك شجرة النبق

الواقفة على الجانب الجنوبى من الضريح ، ويجعلون منـــها مضراباً للعزف على الربابة .

ويأتى إلى هناك الكثير من المتسولين وعازفى الربابـــة ويقيمون شهوراً ، وكثير منهم لا يغادرون هذا المكان حتـــى يتعلموا العزف على الربابة .

# مرزا صاحبان

عابد علي عابد *

جميع القصص المشهورة في البنجاب معظمـــــها يتعلــق بمنطقة مليئة بالأسرار الغامضة يقال لها " بار " ، ويـــروي نهر جناب بعض الأجزاء في منطقة بـــار . ومنــذ ســالف الأزمان وهذه المناطق مشهورة بالحيـــاة القاسـية وشــظف العيش والحر القائظ ، وترتبط هذه الأماكن بقصص وحكايات مثل : هيررانجها ، وسهتي مراد ، وراجه رسالو ، وسوهني مهينوال ، ومرزا صاحبان ، لكن لمـــاذا حـدث ذلــك ؟ إن الإجابة علي هذا السؤال ليست صعبة ، فالحقيقة أن الجنـــس البشري وطريقة إظهار الجنس الجذاب أي الحب ، يعتـــبران أساس الشعور الإنساني ، ويتم تهذيب هذا الشعور وتجميلـــه بالتعليم في المدن ، ويتم الجدال في أمور تافهة ، ويضغـــط علي إظهار هذه النزعة بصراحة ، إن عشق المدن الكبـــيرة مثل سكانها مريض وباهت وضعيف ، وقلما يوجــد الحــب الصريح الواضح فـــي المـــدن بســبب البيئـــة الحضاريـــة والتأثيرات الأخري ، مما لا شك فيـــه أن الحــب المحـــاط بالمشاكل النفسية يوجد أكثر في المدن ، بينما لا توجـــد أي مشكلة أو عقبة في منطقة " بار " فهم يقولون للأبيض أبيض وللأسود أسود ، وليس لأحد اختيار في الحب عندما يحــدث الحب ، وهنا يكون العشق مثل السكان هناك قوياً وصحيحـــا

وحارا وجميلا ، فهناك تشتعل النار في الجذوة بلا لـــهب ، ويتضح أن كل مكان اندلعت فيه نار الحب احترق تمامـــا ، وكما قلت فإن هذه المنطقة ترتبط ارتباطا خاصـــا بنـــهر " جناب " وعلي ضفاف هذا النهر يتغنـــي الفتيـــان والفتيـــات بالأغاني والأناشيد بلا تكلف والتي يبدو منها ألوان مختلفـــة من الحب الشديد لهذه المنطقة ، حيـــث تلتقـــي الصديقـــات ويتغنين في الهواء الطلق ، وعندئذ تتدفـــق النغمـــات مـــن عقولهن .

ومع أن هذه المنطقة كلها معروفـــة بالعشـــق وقصـــص الحب، إلا أن منطقة " جـهنك " والمنـــاطق التـــي حولـــها وسكانها ومنهم قبيلة " سيال " حيث أصبحت هذه القصـــص والحكايات قاصرة عليهم ، فحكايات " هيررانجها " و " مرزا صاحبان " ترتبط بقبيلة " سيال " ولاتوجد هناك أية صعوبـــة لمعرفة أسباب هذا الأمر ، وقد اتفق المؤرخون كلهم وكتبـــوا مرارا أن " سيال " من قبيلة " راجبوت " نســـلا ، وكـــانت المرأة عندهم منذ قديم الزمان متحررة في أمور الـــزواج ، وعندما اتخذت الراجبوت منطقة بار سكنا لـــهم ، اشـــتهرت منطقة " بار " بالمواقع الجغرافية والمناخ المناســـب الـــذي يساعد علي تربية الإنسان .

لقد منحت قصة " مرزا صاحبان " التي نظمها كثير مـــن الشعراء ، للأغاني والأشعار والأزجال حرقة وتأثيرًا غـــير فانٍ ، لأنها قصة غير عادية ، إلا أنها رسخت علاقة الحـــب

بين ميرزا وصاحبان ، فكان عشقا قويا ، جريئـــا ، فـــهذا العشق هو الذي جعل هذه القصة غير عادية .

كان ميرزا شابا قويا جميلا ممشوقا من قبيلة " كــــهرل " القاطنة علي شاطئ نهر " راوي "

ويقولون إن أمه من قبيلة سيسال التي كانت تســكن فـــي "جهنك" وأغلب الظن أنها كانت أخت ماهي سيال المعروفــة أيضا باسم " كهيواخان " أي حاكم كهيوا ، وتقع كهيوا علـــي مسافة اثني عشر ميلا شمال " جهنك " . وتنتقــل الروايـــات ويؤيدها التاريخ الي حد ما أن صاحبان كانت ابنـــة مـــاهي سيال أي حاكم كهيوا نفسه ، وكلاهما أي مرزا وصاحبـــان أدخلا الكتاب ولكن من منا يذكر ما يحدث في الكتـــاب مـــن حكايات الحب والعشق ، فلا أحد يذكر حتي الكتابة والقراءة، حتي ذلك الوقت لم يدخلا في مرحلة الشباب المليئة بالرغبات والفتن ، وأصبحت قصة حبهما ترددها الألسنة ، وصـــارت بعد ذلك زينة القصة وعرف بها الناس وساءت ســـمعتهما ، وقرر شيوخ القبيلة حسب التقاليد الاجتماعية القديمة الفصـــل بينهما وألا يتم زواجهما مهما يحدث من أســـباب ، وصـــار البحث عن صحة هذا الحكم أو عدم صحته بلا جدوي ، فقـــد أصدروا هذا الحكم وحكموا علي نصيبهما كذلـــك ، عندئـــذ صار البقاء في كهيوا بالنسبة لمرزا أمر مستحيلا فرحل إلـــي " دنا آباد " علي غير رغبة منه وكانت موطنا لأجداده ، ومن الصعب أن نقول ماذا حل بقلبه ، فقد أصبحت النار المستعرة

جذوته ، أو ربما صارت هذه النار رمادا بعد أن أحرقت كل شئ وقضت علي الأخضر واليابس ، ومن ناحية أخري أعـد شيوخ القبيلة العدة للزج " بصاحبان " في النـــار المحرقـــة ، وتمت خطبة صاحبان لظاهر خان وكان إقطاعيا ثريا مـــن قبيلة " جندان " ويذكر لنا التاريخ أن قبيلة " جنـــدان " فـــي الغالب هي نفسها التي توجد حتي الآن باسم " جينوت " .

وتذكر الحكاية أن مرزا ظل صامتا بعدمـــا ســـمع خـــبر خطبتها حتي استدعت صاحبان " كمـــون " حـــلاق القريـــة وأبلغته هذه الرسالة : " قل لمرزا إن ميعاد زواج صاحبـــان قد قرب وإجراءات إعداد الحناء قائمة علي قدم وساق ، وإن صاحبان تدعوك أنت كذلك لكي تزين يديك بالحناء !!".

وعندما سمع مرزا هذا استعد جيدا وأعـــد نفســـه للقـــاء صاحبان ونصحه الشيوخ والعجائز وأوضحوا له الصعوبـلت والمخاطر ، وأخافوه ، ثم هددوه ، وذرفت أمـــه الدمـــوع ، وأشار الأصدقاء ونصحوه :

وأخيرا ، جاء ذلك الزمان ، وجاء الناس لينصحونا .

ولم يسمع مرزا الكلام المفروض أن يســـمعه ، ووضـــع السرج علي حصانه السريع كالبرق ، وانطلق كالسهم مـــن قوس القدر واستقر في قلب صاحبان مباشرة ، ووصل إلـــى كهيوا وعلم أن ترتيبات الزواج مستمرة ، فذهب مـــرزا أولاً

إلى منزل خالته " بيبو " وعانقت الخالة ابن الأخت وأفهمته وهدأت من روعه ، ولكن قلب مرزا لم يتأثر ولن يتأثر ، وأخبرها بأن ترتب له لقاء مع صاحبان ولو مرة واحدة ، فاضطرت " بيبو " أن تُحضر له صاحبان وتم هذا اللقاء ، وكان لقاءهما آخر لمسات القدر .

قال مرزا : كيف يحدث هذا فى حياتى ويأخذك أحد منى، فهل عهود حبك كاذبة ؟ وكان الكلام العذب خديعة ؟ وهل كان ذلك الزمان حلماً ؟ وهل كانت المواثيق غير صادقة ؟ .

فما عساه أن يكون رد صاحبان ، واستطاع أن يخمن بسهولة أنها هى نفسها أرسلت فى استدعائه ، فقرر أن يأخذ صاحبان تحت جناح الليل ويذهب إلى داناباد وعمل بتلك المقولة المأثورة " ليكن ما يكون ، فقد ألقينا السفينة فى اليم ".

هؤلاء المساكين لا يعرفون أن الذين يجدفون بسفينة الحب بهذه الطريقة يغرقون ، ولو يعرفون هذه النتيجة فمن منهم يهتم ؟ وما أحسن ما قاله مير :

ما أكثر السابحين فى بحر الحب ، أما الذى يغرق فهو القوى فى الحب .

ويقول الرواة إن مرزا قد غرس نحو ألف وتـد خشـبى على الجدار الخلفى لبيت صاحبان فى تلك الليلة ، كانت ليلـة ليلاء ، ليلة مثيرة للعواطف ، فقد كانوا يقومون بأداء عـادة قديمة مليئة بالأسرار فى بيت صاحبان ألا وهـى " تعبئـة الزيت " ، والصديقات المرفهات تم تقسيمهن فى مجموعـات صغيرة ويغنين الأغانى والأزجال ، والحلاق وزوجته يأتيان ويخرجان ، والفتيان والشيوخ من خارج القرية يربطون على رؤوسهم عمامات ضخمة ويدخنون الشيشة ويحكون قصـص الأزمان الغابرة ، والشباب يبرمون شـواربهم ويحركـون رؤوسهم ويسمعون فى الظاهر ، ولكنهم كانوا يفكرون فـى قلوبهم ، ويقولون : هل حقاً مرزا بلا نخوة أو غيرة إلى هذه الدرجة ، ويسمح بهذا الأمر وأن تتزوج صاحبان ؟ وهل حقاً سيأخذ . طاهر خان صاحبان على الهودج غداً ؟

هنا كانت الاحتفالات مستمرة ، وهناك نزلـت صاحبـان بهدوء وصمت على الاوتاد ، وذهبت مع مـيرزا ، وتقـول الروايات إن خال صاحبان " فيروز " كان أول مـن عـرف بهذه الواقعة وذهب إلى حاكم كهيوا وقال :

" يا كهيو خان لقد صفع مرزا اليوم قبيل سـيال صفعـة قوية على وجهها ، وسب كرامتنا بفاحش السـباب ولطـخ بالطين كرامة القرية ، وهرّب صاحبان " . بعـد أن سـمع أخوة صاحبان وأقاربها الآخرون هذا الكلام اشتعل فيهم نـار الغضب ، ووضعوا السهام فى الجعبة وأخذوا أسلحتهم وشدوا

السروج على ظهور الخيل وخرجوا مستعدين للقتال ، وأقسم كل واحد منهم على ألا يترك مرزا حياً اليوم .

ومن ناحية أخرى ، عُرف عن مرزا أنه كان متأنقاً في العز والجاه الحياة المرفهة محباً للنوم ، فبعد أن رحل وأخذ معه صاحبان وقطعا مسافة من الطريق ، بدأ يقول لصاحبان :

يا صاحبان ، أريد أن أنام .

انزعجت صاحبان للنوم فى ذلك الوقت وخافت أن يكون هذا النوم فألاً لنوم عميق آخر ، فقالت له :

– يا مرزا هذا ليس وقت النوم ، لنصل إلى داناباد ، ولتنم كما تريد ، فالقدر نائم الآن وعلينا أن نسهر .

كان مرزا شاباً مغتراً بشبابه ونفوذه ، فلم يقبل قولها وذهب وتمدد تحت شجرة ، وعلقت صاحبان جعبته على غصن من أغصان الشجر ، وجلست صاحبان بجانبه ووضعت جبهتها على جبينه وغرقت فى تفكير عميق ، كم هو شاب عجيب غير مسئول ، الموت يسرع إليه الخطى فى صورة هؤلاء الناس المتعقبون له وهو نائم ، كانت تهزه وتحركه وتوقظه ، وفى كل مرة يقول لها مرزا " دعينى

للنوم قليلاً ، عينى مليئة بالنوم فلا تقلقينى ، كان على هـذا الحال عندما ارتفع من بعيد غبار العاصفة.

قالت صاحبان : يا مرزا لقد وصل الناس الذين يتعقبوننا وفيهم أخوتى الذين يقطعون الشباب الأقوياء بضربة واحدة من سيوفهم ويمزقون بسهامهم الصدور والقلوب .

قال مرزا : لا تخافى ، دعيهم يقتربوا منا ، وبينما كانوا يتحدثون جاء أمامهم فرس " شمير " بينما أمطرهم المتعاقبون بوابل من السهام فانتبه مرزا ووضع سهاماً فى قوسه فخرج السهم وشق الهواء وأصاب فرس " شمير " ووقع أخو صاحبان على وجهه ، فقال مرزا : أوقعتهم ليس لهم أى طاق لكى يقفوا فى طريقى ، قال هذا وذهب لينام مرة ثانية ، وصرخت صاحبان ، ليس هؤلاء الناس المتعقبون لنا بل هم ملائكة الموت ، وكان هذا الكلام لا يزال على لسان صاحبان عندما انهالت السهام بكثافة ، وأصيب مرزا بسهم قاتل ، وتحت تلك الشجرة وفى ظلها الظليل تعلق نفس مرزا فى صدره وأسلم الروح وأغمض عينيه ونظر بعيون مليئة بالحسرة ناحية صاحبان وقال : لماذا ألقيتى بجعبتى على الغصن ، لم يقتلنى سيال ، بل أنت التى قتلتنى .

قالت صاحبان : أنا لم أقتلك يا مرزا ولم تقتلك السهام ، النوم هو الذى قتلك ، أيها النوم لقد قتلتنا بغفلتك وقتلنا معك الحب .

قال مرزا : حقاً ، وتنفس نفساً عميقاً ناحيـــة صاحبـان وابتسم لآخر مرة قبل الموت .

وتقول الروايات إن السهام انهمرت عليه بعد ذلك بشـدة ، بينما التصقت صاحبان بجسد مرزا وظلت تبكى وتنوح عليه، وقد جعلته السهام كالغربال ووصلت سفينة الحب إلى شاطئ الأبد ومات كلاهما ، ولكن قصتهما باقية شاخصة فى كلمات الأغانى والألحان ، وقد صاغها الشعراء فـى أسـاطيرهم ، وحتى الآن لا يزال سكان منطقة " بار " يتذكرونهما تحـت ظلال أشجارهم .



# مومل رانو

الله بخش عقيلي*

كانت الأصول والقواعد المتبعة أثناء فتوحات السند لفاتح السند العربي الشاب محمد بن القاسم هي أن الحاكم الهندوسي الذي يقبل الطاعة يتركه على المناطق المفتوحة وعليه أن يدفع جزية شرعية بسيطة مطابقة لعدد السكان غير المسلمين في ولايته في مقابل أن يتولى الجيش الإسلامي مسئولية الدفاع عنهم ، وبناء على هذا ظلت كثير من الولايات الهندوسية في أطراف السند على هذه الحالة لقرون عديدة وكان العهد الذي قطعوه على أنفسهم في البداية لم تتعرض له الأسر الحاكمة المسلمة التي جاءت بعدهم .

وبعد فتح السند كان خلفاء دمشق وبغداد في بداية الأمر يعينون حكام السند وبعد ذلك حينما أصبحت الولايات البعيدة في أنحاء السند مستقلة ، قامت حكومة عربية مستقلة لأسرة بهاري .

وفي أواخر القرن الرابع الهجري ، عندما استولى القرامطة الإسماعيلية على السند قام السلطان محمود الغزنوي بتجهيز جيش واستولى على السند وجعلها تحت حكمه ، لكن عندما ابتلى خلفاء السلطان محمود الغزنوي بالحروب الأهلية استولي قوم من الراجبوت المسلمين حديثا على جنوب السند وكانوا يعرفون باسم " سومرة " وقد حدثت واقعة في عهد آخر ملوك الأسرة السومرية سنذكرها الآن حيث إنها نالت قبولاً عظيما في أساطير الحب القديمة في السند من حيث نوعيتها وقد صاغها شعراء اللغة السندية شعراً وجعلوا منها قصة حب جذابة . ففي ذلك العهد الذي نشير إليه كانت هناك ولاية هندوسية صغيرة تقع على الحدود الجنوبية الغربية للسند وعاصمتها مدينة "كاك" وفي الوقت الحاضر يوجد مكان يسمى " كاك في الجنوب الغربي في نهاية مركز " شاه بندر " على الحدود الجنوبية الغربية للسند وهذا المكان يقع على مسافة قليلة من الفرع الأخير لنهر السند وكان يطلق علي حكام هذه الولايات الهندوسية لقب " رانا " وكان ملك ولاية كاك المعروف باسم " رانا نند " من قبيلة " جوجر " المعروفة ولم يكن لهذا الملك أولاد ذكور كان لديه بنتان جميلتان فقط الكبرى تدعى "مومل" والصغرى تسمى " سومل " وهي أسماء سندية خالصة وتستعمل في

معاني الجمال والرقة ونعومة الجسد ، وكانت كلاهما عذراء، وعندما توفى عنهما الملك " رانا نند " اضطرت الفتاة الكبرى " مومل " أن تمسك بزمام الحكم ، وكانت مومل جميلة وذكية استطاعت أن تمسك بزمام الأمور في مملكة أبيها ولكن كان لابد لها من شريك حياة لا يكون زوجها فحسب بل يخفف عنها عبء المسئولية ويساعدها في تيسير شئون المملكة ، وكان من الضروري أن تنظر قبل اختيار زوج لها هل الذي يريد أن يقيم علاقة زوجية معها يريد أن يتزوجها طمعا في جمالها وفي ملكها ؟! إضافة إلى ذلك يكون عاقلاً مهذباً وعالماً وشجاعاً .

ولإنجاح هذا الاختبار جاءت مومل بطريقة غريبة جداً حتى يكون اختيارها اختيارا موفقا ، فشيدت قصرًا في "كاك" وجعلت الجزء الخارجي من القصر زجاجًا والفضاء الذي حوله نظيفًا شفافًا لدرجة أنه يبدو كأن به ماء عميقًا عندما ينعكس عليه الزجاج ويبدو أن القصر كله قائم على بحيرة مياه وللوصول إلى القصر يضطر الإنسان أن يسبح في الماء العميق ، ويتميز عمق الماء القليل الذي يحيط بأركان القصر الأربعة بأنه دائم ولا ينحسر في أي وقت من الأوقات ويشعر الإنسان أن الماء يتدفق باستمرار وكان هناك

فرع كبير للنهر يجري من الناحية الغربيـــة ويســـمى نـــهر " تتى" ويجرى جدول صغير من النهر يسمى نهر " هنرمائي " وبسبب قرب القصر من البحر فإن الماء كان يصعد ويهبط وكان لمد البحر وجزره دوركبير في هـــذه الحيلـــة حيـــث استفادوا من حركة المد والجزر في إقامـــة هـــذه الطريقـــة الخاصة بجريان الماء فكان الناس يعتبرونـــه فـــي عجـــائب السحر ، وإضافة إلى هذا قامت بنصب تماثيل لأسود علـــى الجوانب الأربعة للقصر بحيث تبدو للرائي من بعيد وكأنـــها أسود حقيقية وعلاوة على هذا فإن ما يميز هـــذه الطريقـــة ويضاعف من جمالها أن الأسد الذي يبدو من أحد الجوانـــب جالسًا يبدو من جانب آخر وكأنه يجري ، كما يحدث في هذه الأيام عندما يتم جمع مناظر مختلفة لصورة واحدة في الفيلـم ويحدث فيها حركة مستمرة .

على كل حال فالقصر كان يبدو محاطًا بالماء والأســـود تحوم حوله فكانت خدعة تبدو للناظر سحرًا وهكذا كان فـــي قصر مومل اختباران ، فلو عبر شخص الماء ثم مر من أمام الأسود ووصل إلى قصر مومل فإنه يواجه الاختبار الثـــالث وهو عبارة عن سبع أسرة في صحن القصر كانت منســـوجة

بخيط غير متين يقع الإنسان إذا ما جلس عليها وسرير واحد كان قويًا يستطيع الإنسان أن يجلس عليه وبعد هذه الترتيبات أعلنت مومل أنها سوف تتزوج من الشخص الذي يدخل هذا القصر المسحور ويتجرأ على الجلوس على هذا السرير وهكذا قصد الآملون القصر بعد ما سمعوا عن صيت جمال الملكة وحسنها ، إلا أن بعضهم خاف من الماء ، وبعضهم أصابه الرعب من الأسود ، وبعضهم دخلوا إلى القصر ووقعوا عند جلوسهم على السرير الزائف وهكذا أخفق الجميع وفشلوا ، لقد جعل القصر المسحور كثيرًا من أمراء السند مثل " كجه " و " كاتهياوار " غير موفقين وقد انتابهما القلق والاضطراب .وذات مرة خرج " حمير سومره " حاكم جنوب السند للصيد وكان في صحبته رئيس الوزراء " رانا هندره " ووزير آخر ، وفي الطريق التقى بابن أحد الأمراء الذين فشلوا في دخول هذا القصر المسحور وأخبره بقصته فزاد الشوق والرغبة عند " حمير " فاصطحب الوزيرين وذهبوا ثلاثتهم إلى " كاك " ، حيث ذهب حمير أولا إلى القصر ولكنه خاف من الماء ورجع وذهب بعده الوزيران الصغيران الواحد تلو الآخر لكنهما عادا يجران أذيال الفشل، وفي النهاية ذهب إلى القصر " رانا هندره " رئيس وزراء حكومة "سومرة " وأخو زوجة الملك " حمير " وكان

يصطحب معه رمحه فغرس الرمح في الماء فوجد الماء قليل فعبر منه ، ثم وخز الأسود بالرمح فوجدها تماثيل ثم دخل إلى القصر فوجد سبع أسرة فاستعمل عقله ورأى أنه لابد أن يكون بها سر أيضاً ، فغرس الرمح في جميع الأسرة التي كانت منسوجة من خيط واهن فتهشمت على الفور وعندما اطمئن إلى السرير السليم صعد عليه وجلس وبهذه الطريقة قام بتحقيق جميع شروط مومل فتزوجته مومل ولكن بعد عودته سجنه " حمير " زوج أخته بسبب الغيرة والحسد في العاصمة .

ومنذ ذلك الوقت أحب " رانا هندره " و " مومل " كل منهما الآخر، وكان حمير يريد أن يفرق بينهما بسجن " رانا " إلا أن عاطفة الحب أرشدت " رانا هندره " على حيلة فكان يهرب من قيده كل ليلة ويركب ناقته ويتوجه إلى " كاك " عند مومل ويعود إلى سجنه مرة أخرى قبل الصباح حتى لا يعلم " حمير " وتظل هذه اللقاءات السرية مع مومل قائمة ، ويقال في المثل الشعبي : " عندما يلتقي قلبان يصبح الزمن عدواً لهما ". هنا كانت قيود حمير على " رانا هندره " وهناك في "كاك" كانت مؤامرة " سومل " أخت " مومل " حيث ارتدت ملابس الرجال ذات ليلة ونامت عند أختها مومل ، وحسب العادة جاء " رانا هندره " إلى قصر مومل فظن من

بعيد أن شخصًا غريبًا نائمًا مع مومل فقفل عـــائدًا وأصبــح يسيء الظن دائمًا بمومل وهكذا لم تستطع قيـــود الملـــك أن تبعده عن محبوبته بينما نجح الشك وسوء الظن في إبعــــاده عنها ، وترك " هندره " المحطم القلـــب الـــوزارة واعـــتزل الشئون الدنيوية واعتكف في قريته " دت " وعندمـــا علمـــت مومل بهذه المؤامرة انزعجت كثـــيراً وقـــررت أن تقطـــع علاقتها بسومل وتركت حكومة " كاك " وذهبت إلى قريـــة " هندره " وبنت بيتاً بالقرب من قرية هندره وعاشـــت فيـــه ، وأحياناً كان هندره يخرج من قصـــــره فتخـــبره بـــالأحداث الصحيحة وتجد الفرصة لإزالة سوء الظن عنــــده ، إلا أن قلب " هندره "كان قد تحطم لدرجة أنه ترك الخـــروج مـــن القصر وترك اللقاءات مع الناس وقد حاولت مومل بكل مـــا استطاعت من قوة أن تثنيه عن ذلك ولكنها فشـــلت وأخـــيرًا ماتت من الحزن ، وعندما علم " رانا هندره " بذلك اســـترد وعيه وأخذ يبحث عنها في كل مكان لكنــــها ذهبـــت بعيـــدا وتركته للأبد !! فاحترق في نار عشقها وأصبح رمادًا وانطفأ مصباح حياته بسبب هذا الحزن . وهذه هي القصـــــة التـــي نظمها شاه عبد اللطيف و"سجل سرمست" وشعراء آخـــرون وصاغوها بشكل يثير الوجد عند السامعين.



# عمر ماروي

سيد علي ملتاني*

يحكى أنه منذ قرون – قبل قيام باكستان – كـــان يحكـــم مدينة " عمر كوت " ملكاً اسمه " عمر " وكان هـــذا المليـــك ينتمي إلى قبيلة سومره التي كانت تنتسب لفرقة القرامطـــة ، ولم يكن حاكماً للسند بأسرها فحسب ، بل يعد زعيماً دينيـــا أيضاً ، كان في كل الصفات التي تجعل منه ملكاً عظيمـــاً ، وكانت طبيعته مليئة بالهمة والشجاعة ولازمه الفتح والظفـــر دائماً ، وحيثما يذهب يعود موفقـــاً ناجحـــاً وكـــان العـــدل والإنصاف بحيث إذا طرق باب بلاطه شـــخص مظلـــوم لا يرجع شاكياً وفي المثل الشعبي : " الخالي من العيـــب هـــي ذات الله فقط " لقد كان في شاه عمر آلاف الصفات الطيبة إلا أن حادثة وقعت في حياته جعلتها ملطخة بالألم .

ويروي الرواه تلك الحادثة فيقولون أنه ذات مـــرة كـــان جالساً في بلاطه ينصح أمراءه ووزراءه بالعدل والإنصـــاف وكان يقول أن أي حائط لا يستطيع أن يبقى قائمًا دون حجـر

وطين وكذلك لا تستطيع أي دولة أن تقوم لفترة طويلة دون العدل والإنصاف وأكد في النهاية على وزارئه بكلمات قوية أن يحترزوا من الظلم والجور وهي صفات تعد قبيحة في نظر الخالق وهي كالسم القاتل للطبقة التي تدعى أولي الأمر، وبينما كان مشغولاً في الوعظ والنصح إذا بشاب غريب واقف بباب قصره ويريد أن يسمح له بلقاء الملك منفردًا فأوقف الملك البلاط واعتبره مظلومًا حتى يستطيع أن يسمع قصته باطمئنان .

وفي ذلك الزمان كانت هناك قرية تدعى " ملير " تقع في صحراء " تهار " وكان يسكنها راعي غنم اسمه " بلوى " قد منحه الله ابنة جميلة السيرة والصورة اسمها " ماروي " ولم يكن لها مثيل في الحسن والجمال ، وكانت " ماروي " صغيرة السن حينما خطبت لابن أخيه الأكبر " كهيت" الذي لم يكن له مثيل في الحسن والجمال والرجولة ،وكان كهيت وماروي يحبان بعضهما البعض منذ مرحلة الطفولة في حين كان هناك شخص لا يستحسن هذا الحب ، وكان ذلك الشخص هو " بهوك " خادم "بلوى " والذي كان يعيش بمنزل بلوى منذ طفولته يرعى له الغنم والماعز وكان يحب ماروي حباً جماً وظن في بداية الأمر أنه استطاع أن يجعل ماروي

تهتم به وتميل إليه ولكنه فشل في ذلك فاحترق بنار الحســـد والغيرة وذهب إلى " عمر كوت " لكي ينتقم لهزيمته ويفــرق بين ماروي وكهيت للأبد . وهكذا كان هو ذلك الشخص الذي وصل إلى باب القصر الملكي وأراد لقاء الملك منفرداً وكــان " بهوك " العاشق الفاشل لماروي .

وعندما سمح الملك عمر لبهوك بالحضور على انفراد خر على قدميه وقال : أيها الملك : أنا لم أحضر هنا مــن أجــل التسول أو التظلم ولكن جئت لأسمعك خبرًا ساراً وهو أنه في قرية تدعى " ملير " تقع في الصحراء على بعد بضعة أميــال تسكن فيها فتاة تدعى ماروي جميلـــة ولا نظــير لجمالـــها وحسنها فهي كاملة من كـــل عيــب ولا تشــوبها شـــائبة ، فالنرجس يخجل من عينيها السوداوين الناعســتين ووجهـــها الجميل يجعل القمر بلا قيمة أمامه ، وتنثر اللؤلـــؤ عندمـــا تبتسم، وتنثر الزهور عندما تتكلم ، حتى الحور عندما يرون خدودها الوردية وسواعدها المرمرية يفتنون بـــها ، ومــن المستحيل أن يراها شخص ويفكر في شيء آخر ، أيها الملك هذا كل شيء عنها ولكنها ابنة راعي غنم وإذا لم يقع نظــرك الكريم عليها ستظل طول العمر بنت راعي غنم ، فلا يطيــب

لها عيش ولا ملبسًا ، ولكن إذا وصلت إلى حرمك فأنا واثق بأن حياتها ستصبح جميلة وستزيد من جمال حرمك .

وعندما وصل الملك عمر بالقرب من قرية ماروي حدث بالصدفة أن خرجت ماروي مع صديقتها لسحب الماء من البئر ، وعندما رأت ماروي ناقتين قادمتين نحو البئر خافت وانتابها الهلع وقالت لصديقتها بفزع علينا أن نعود من حيث أتينا ولكن صديقتها كانت شجاعة إلى حد ما وقالت لها ضاحكة : يا جبانة إنهما يريدان السفر إلى مكان ما وأكثر ما يفعلانه أن يطلبا منا الماء فلا داعي للخوف ، فتقدمت بشجاعة وقامت بسحب الماء بعد أن طمأنتها وملأت من الماء .

عندما وصل راكبا الناقة إلى البئر همس " بهوك " في أذن الملك عمر وقال له أن هذه هي ماروي ، ولما وقع نظر عمر شاه عليها وجدها أجمل مما تخيله ، فأوقف الناقتين وذهب عندها من أجل طلب الماء ، وبينما كانت ماروي تقدم له الماء أجلسها بهوك على ناقة الملك عمر وتوجه كلاهما إلى مدينة " عمر كوت " .

وساءت حالة ماروي من كثرة البكاء ، وحاول الملك عمر أن يقنعها عدة مرات وأغدق عليها بالذهب والجواهر لكنها لم تتوقف عن البكاء ولم تجف دموع ماروي وعندما تتذكر والدها وأمها وخطيبها الحبيب تتدفق شلالات الدموع من عينيها واضطر الملك إلى استعمال التهديد معها بعدما رأى أن اللين والحب غير مجد ، وقال لها : أليس والداك وزوجك المأمول رعاة غنم فقراء ليس عندهم مأكل ولا ملبس وأريد أن أجعل منك ملكة ، وأجعلك مليكتي المدللة فقولي : هل أنت لا تريدين هذا ؟

فأجابت ماروي : هذا غير مقبول على الإطلاق أيها الملك فقد وافق والدي ووالدتي على خطبتي لشخص وصرت له والآن الموت هو الذي يمكن أن يفرق بيننا .

أيها الملك ارحمني وأرجعني إلى أهلي إنني أومن بأن لديك نعما ومالا وفيرًا ولكن نحن القرويين لا نهتم بالمال والثروة ونفضل المسكن البسيط والمأكل العادي ونعتز بأكواخنا الحقيرة التي تظهر القدرة بجمالها الكامن .

وفي تلك الأثناء عرف والد ماروي ووالدتها من صديقة ماروي أن الملك " عمر كوت " خطفها ، ولهذا لم يحاولا تحريرها بعد أن تخيلوا مستقبل ماروي العظيم ، لكن كهيت خطيب ماروي لم يفقد الهمة والعزيمة فوصل إلى عمر كوت متنكرًا في ملابس الفقراء .

وذات يوم وصل كهيت أمام القصر ليتسول حيث كانت ماروي سجينة فيه فوقع نظر ماروي عليه من حجرتها العليا فنظر كل منهما للآخر وبدأا يفكران في طريقة تبادل الرسائل والخطابات .

وعندما جاء الملك عمر لزيارة ماروي وعدته بأنه إذا لم يحضر والدها ووالدتها لتحريرها خلال عام ستصير ملكا له، فسر قلب الملك عمر من وعد ماروي وخفف عنها كثيرًا من القيود التي كانت مفروضة عليها .

وكان في نواحي " عمر كوت " خانقاه كبيرة يقطنها الفقراء وبعدما عرف كهيت مكان ماروي أقام في هذه الخانقاة ، وكانت ماروي قد اتخذت من خادمتها محرماً لأسرارها فكانت تذهب كل يوم إلى الخانقاة وتخبر كهيت

بجميع خطط ماروي ، ولما انقضت فترة طويلة على المراسلة بينهما قرا خطة لتنفيذها في مساء يوم محدد حيث تذهب ماروي إلى الخانقاة بهدف الزيارة وهناك يعد كهيت ناقة سريعة وفي أول فرصة يخطف ماروي ويتوجه بها إلى حيث يريد .

وعندما حان الموعد المحدد ذهبت ماروي بمرافقة كثير من الوصيفات وقدمن كثيرًا من النذور وبدأت تدعو فكان كهيت في انتظارها يتحين الفرصة وفي أول فرصة أركبها على الناقة وخرجا واختفيا عن الأنظار وسط صراخ الوصيفات اللائي لم يساعدهن أحد .

وهكذا وصلت ماروي إلى منزلها كما جاءت وحاول الملك عمر كثيرا أن يستردها ولكنهم أخفوها حتى لا تقع يده عليها والقصة الكاملة بهذا القدر ولكن الشعراء وكتاب القصة أضافوا إليها الكثير والكثير .



# الإهـــــانــــــة

سعادت حسن مانتو[1] *

---

[1] ولد سعادت حسن مانتو في سامبرالا بالبنجـــاب ( الــهند ) ١٩١٢ ومات في لاهور ( باكستان ) سنة ١٩٥٥ . خلال هذا العمر القصـــير كتب مانتو أكثر من مائتي قصة قصيرة ، فضلا عن عشرات المقـالات والمسرحيات ، كما كتب عددا من سيناريوهات الأفلام السينمائية . لكن شهرته ارتكزت أساسا على القصة القصيرة إذ يعد واحدا من أهم كتابها في العالم .

نشأ مانتو في أسرة كشميرية متوسطة من أمريتسار ، ولــم يكــن لديه أية حماسة لمتابعة الدراسة الرسمية ، إذ أمضى سنتين في الجامعة دون أن يستطيع النجاح فتخلى نهائيا عن الدراسة . ومن الغريـــب أن (الأوردو ) كانت سبب خيبته ، لكنه بعد سنوات معدودات غدا واحـــدا من أعظم الكتاب في تلك اللغة .

تأثر مانتو بالحركة الثورية ضد الاستعمار البريطاني في الـــهند ، وكتب عن أولئك البؤساء في قاع المدينــــة الرازحيــن تحــت القــهر والمرض والشقاء .

كان في الســابعة مــن عمــره ، حيــن ارتكــب المســتعمرون البريطانيون مجزرة جليان والاباغ ، وكان في بومباي سنة ١٩٤٧ حين حدثت المجازر بين السيخ والهندوس والمسلمين . وقد رفض مــانتو أن يقف مع طرف دون طرف آخر ، كان ضد الجريمة والتعصب الأعمى والتقسيم .. مثلما كان ضد الاستعمار البريطاني' علة كل مصيبة مــن الهند إلى إفريقيا مرورا بالوطن العربي . وكانت قصصه مليئة بذلــك

بعد عناء يوم مرهق ، تمددت على السرير واستسلمت للنوم حالاً.كان المشرف الصحي الذي تدعوه ( السيد ) قد غادرها منذ لحظات مخمورا ، بعد أن كاد يخلع عظامها .

كان بوده لو يبقى معها طوال الليل لولا أن زوجته كانت مولعة به أيضا . النقود التي كسبتها من المشرف الصحي لقاء جسدها دستها في عبها تحت صدريتها الملطخة باللعاب. أحيانا كانت النقود الفضية تصدر في عبها خشخشة مع كل تنهد ونفس من صدرها ، لكن تلك الخشخشة سرعان ما تتلاشى في دقات قلبها .

ويبدو أن فضة النقود كانت تذوب وتتسرب في دم قلبها ، كان صدرها دافئا من الداخل . بعض ذلك الدفء من تأثير نصف زجاجة البراندي التي أحضرها المشرف الصحي معه ، وبعضه الآخر من "البويرا" التي شرباها ممزوجة بالماء بعد أن نفدت الصودا .

---

الهم الوطني والإنساني .. وكانت حياة البؤساء وكفاحهم اليومي موضوع إبداعه واهتمامه . لكن الموت اختطفه وهو في الثالثة والأربعين ، دون أن يعلم كيف ولماذا انقسمت الهند إلى شطرين .. إنه مسلم وروحه وطنه الهند فهل يقسم الروح ؟!

كانت تستلقي على سرير ضخم مـــن خشـب الســاج ، وذراعاها العاريتان حتى الكتفين ممدوتان كعودين مقوســين لطيارة ورقية حسرت رطوبة الندى عنـــهما ذلـك الكســاء الورقي الرقيق .

كانت الحجرة صغيرة ، وقد بعثرت الفوضى أشـــياءها , تحت السرير ثلاث أو أربع قطع من الفرش البالية ..ينـــام عليها كلب أجرب ويكشر في نومه إزاء أشياء غير معروفة. كان جلده مشوها بالبقع التي سلخها الجرب . ولو نظرت إليه من بعيد لبدا لك كممسحة مطوية على الأرض .

في الجانب الآخر كانت أدوات التجميل : أحمـر الوجـه والشفاه ، وملاقط معدنية لشعرها متنـــاثرة علـى منضـدة صغيرة .

وعلى مقربة منها ببغاء يغالب النعاس في قفص بمشجب، وهو يخفي عنقه في ريشه ، كان القفص محشوا بشرائح مـن شجيرة الجوافة وقشور من البرتقال المـــهتريء مـن شـدة نضوجه ، وثمة سرب من الناموس يحـوم فـوق الشـرائح النتنة .

وكان إلى جانب السرير كرسي من الخيزران ملطخ الظهر ، إلى يمينه وضعت منضدة أنيقة الصنع . وكانت قطعة القماش السوداء المنشورة عليها مهترئة ، وقد علقت على الجدران أربع صور لأشخاص مختلفين .

في زاوية الحجرة اليسرى ، وعلى مسافة قليلة من تلك الصور ، تربعت صورة ملونة لجانيش[1] وقد أثقلت بالورود الطازجة والذابلة . ويبدو أن الصورة قد انتزعت من لفة قماش قبل ان يحتويها ذلك الإطار . وبجوار الصورة ، وعلى الرف الملوث ذاته وضع فنجان من الزيت لتغذية السراج . وبسبب نقص الهواء ، كان اللهب يقف منتصبا كعلامة السعد الحمراء على الجبين .

باركت نقود الاستفتاحة التي تلقتها من زبونها الأول بلمسة من تمثال جانيش ثم مسحت بها جبينها قبل أن تدسها في عبها . كان صدرها قويا وبوسعه أن يحمي أي مبلغ من المال تحت صدريتها . وكانت تخبيء بعض المال في حفرة أعدتها تحت قائمة السرير ، كلما جاء مادهو في إجازه من

---

[1] جانيش أحد الآلهة وهو إله الحظ السعيد وابن الإله شيفا ويرمز إليه برأس فيل وجسم انسان ( المترجم ) .

بونا . كان القواد رام لال قد علم سوغاندهي أن تخفي المال عن مادهو بهذه الطريقة . فقد قال لها ، حين علم أن مادهو نام مع سوغاندهي عشية وصوله من بونا[1] : " متى كنت تترددين إلى مثل هذا اللعين ؟ يالها من قصة حب غريبة ! هذا التافه يستمتع بك ولا يدفع فلسا واحدا .. وفضلا عن استمتاعه يحصد المال منك لقد مضى علي عشر سنين وأنا في هذه المهنة ، وأنا أعرف نقاط ضعفكن يا بنات " .

رام لال ،القواد الذي كان يعقد الصفقات لكل أنواع الفتيات ، بدءا من عشر روبيات حتى مائة روبية في شتى أنحاء بومباي ، قال لسوغاندهي : " أيتها البائسة ، لا تتلفي أموالك .

إن عاشق أمك هذا سوف يسلبك الثياب التي تستر جسدك! هيئي حفرة صغيرة تحت إحدى قوائم سريرك وأخفي فيها نقودك كلها ، وقولي له : أحلف بحياتك يا عزيزي مادهو إنني لم أحوش فلسا واحدا طوال اليوم ، اطلب لي من أحدهم تحت أن يرسل إلي كوبا من الشاي وقطعة من البسكويت

---

[1] بونا مصيف فى جنوب غرب الهند وقد أقامه البرتغاليون عندما كانوا يحتلون الهند ويعد من أجمل مصايف الهند ( **المترجم** ) .

اللذيذ ، إنني أموت من الجوع ،هل تفـــهمني ؟ هــذا وقــت عصيب يا حبيبي ، حزب المؤتمـــر المشــئوم قــد حظــر المشروبات الروحية ، والأسعار في هبوط، لكن الإنسان يدبر نفسه دائما . أقسم لك أن مجرد منظر الزجاجة وهي فارغــة في غرفتك أثناء الليل ، فضلا عن رائحة الشراب ، يرغمني أن استبدل جنسي معك ! "

كانت سوغاندهى تحب صدرها أكثر من سائر أعضـــاء جسمها الأخرى . وقد قالت لها جامنا يومــا " شـــدي علـــى هاتين الكرتين من الأسفل حتى تكون صلابتهما كافية حيـــن تلبسين حمالة الثديين . "

ردت سوغاندهي ضاحكة : " أنت تظنين الجميع مثلك يــا جامنا ، يبتذلك الرجال لقاء عشر روبيات .. وتتصوريــن أن هذا ما يحدث لكل واحدة .. ليس هناك وغد يجرؤ على لمس الأعضاء الحساسة .

ياه ، عليَّ أن أخبرك بما جرى البارحة : فـــي الســاعة الثانية بعد منتصف الليل ، أحضـــر رام لال مخلوقــا مــن البنجاب وقد اتفق معه على ثلاثين روبية لقضاء الليلة . وقبل

أن نمضي إلى السرير ، أطفأت المصباح . فبدا مذعورا .. لقد تلاشى في الظلام كل تألقه .. كان خائفا . قلت له : " عجل ، لم هذا التأخر ؟ إنها الثالثة تقريبا . قال : " اتركي الضوء .. الضوء .. " قلت : " ماذا تعني الضوء قال : "أشعلي المصباح " .

حين سمعت صوته المرتعد ، لم أتمالك نفسي من الضحك ، وأجبته : " لن أشعل المصباح " ثم قرصت فخده الصلب ، فهب وضغط على مفتاح الكهرباء فغطيت نفسي بالشرشف حالا وقلت : " ألا تشعر بالخجل ؟ " عاد إلى السرير فنهضت وأطفأت النور .. ثارت أعصابه من جديد .. أقسم لك انها كانت ليلة مبهجة : تارة ظلام وتارة نور ، ظلام ، نور ثم جاءت قرقعة الترام فرفع سرواله واندفع خارجا .. اللعين لابد أنه ربح تلك الثلاثين روبية في القمار حتى تخلى عنها دون الحصول على شيء .. جامنا ، أنت بلا خبرة إطلاقا ، إنني أعرف الكثير من الحيل لتدبير هذا النوع " .

كانت سوغاندهي فعلا تعرف العديد من هذه الحيل التي أخبرت بها واحدة أو اثنتين من صديقاتها . وفي العادة ،

كانت تحكي هذه الحيل لهن جميعا : " إذا كان الرجل لطيفا قليل الكلام ، فمن الممكن أن تزعجيه تماما . ثرثري معه كثيرا ، ضايقيه ، دغدغيه ، استلقي معه .. وإن كانت له لحية ، مشطيها بأصابعك وانتفي منها بضع شعيراتها .. وإن كان له بطن كبيرة اربتي عليها .. لا تتركي له وقتا كافيا ليعيد تفكيره وسوف يمضي سعيدا . دون أن يمسك بسوء .. الرجال الهادئون خطرون جدا .. إنهم يحطمون عظامك إذا أمكنهم ذلك " .

لم تكن سوغاندهي ذكية كما تتظاهر بذلك . وليس لها كثير من الزبائن . كانت فتاة عاطفية جدا .إن جميع الحيل التي تدور في رأسها سرعان ما تختفي في بطنها الذي اكتسى بعدد من الترهلات بعد أن ولدت طفلا . وحين لمحت تلك الترهلات أول مرة ، ظنت أن الكلب الأجرب قد قضمها بمخالبه .

فكلما مرت به بغيّ متكاسلة ، كان كلبها المدلل يحفر الأرض ويترك فيها آثاراً مشابهة ليغطي بذلك خجله .

كانت سوغاندهي من النوع التأملي الذي يعيش مع ما يجول في رأسه ، ولكنها سرعان ما تذوب وتنتشر في بقية أنحاء الجسم حالما يتحدث أحدهم إليها بمودة أو يتفوه بكلمة رقيقة . كانت تعد الجماع بين الرجل والمرأة عملية سخيفة ، لكن أعضاء جسدها كانت مقتنعة به تماما . إن هذه الأعضاء تتوق للاسترخاء بعد رجة عنيفة .. تدفعها للنوم أو لذلك النوع من النوم الذي يأتي بعد إنهاك تام ..

كم هو مريح ! وكم هي لطيفة تلك النشوة التي تتبع خلخلة الأعضاء ! تارة تحس أنك هناك ، أحيانا تحس أنك لست هناك ، وما بين الوجود والعدم تحس أنك معلق في الهواء : فوقك هواء ، وتحتك هواء ، وإلى يمينك هواء ، وإلى يسارك هواء .. هواء ، ولا شيء غير الهواء .. وإنه لممتع أن تحس بالاختناق في ذلك الهواء .

في طفولتها كانت تلعب لعبة الاختباء , وقد اختبأت مرة في صندوق أمها الكبير ، لكن تناقص الهواء والخوف من العثور عليها زادا في سرعة خفقان قلبها .. وكان ذلك مثيرا لها .

كانت سوغاندهي تتمنى لو تعيش حياتـــها مختبئـــة فـــي صندوق مشابه ، بحيث يظل الباحثون عنها يفتشون خــــارج الصندوق .

كان عليهم أن يبحثوا عنها أحيانا ، وكان عليها أن تبحـث عنهم كذلك .إن حياتها خلال السنوات الخمس الماضيــة لـــم تكن إلا لعبة من الاختباء والتفتيش ..أحيانا كانت تجد شخصا ما .. وأحيانا كان شخص ما يجدها . وعلى هــــذا المنـــوال سارت حياتها برتابة مضجرة . كانت سعيدة كما ينبغي لــــها ان تكون كذلك . لقد اعتاد سريرها الخشـــــبي العريـــض إن يستقبل رجلا في كل ليلة . وكانت سوغاندهي تعرف الكثـــير من الحيل التي تتدبر بها أمور الرجال. وبالرغم من قراراتها المتكررة أنها لن تستسلم لرغبات الرجال الطائشة وأنها سترد عليهم بخشونة ، فإن فيضا من عواطفها يمكـــن أن يجرفـــها بعيدا حتى تبدو وكأنها مجرد امرأة مستاءة لا أكثر .

حين يقول لها زبونها الجديـــد أو القديـــم : " أحبـــك يـــا سوغاندهي " ، وهي تعرف جيدا أنها أكذوبة ، فإنها تغــــدو ناعمة لينة كالشمع ، إنها تشعر وكأنها معشوقة فعلا . يالــــها من كلمة حلوة ! لكم تود أن تدلك بها أعضاءها كلها حتــــى

تدخل مسامها .. أو تدخل هي فيها وتحكم الغطـاء فوقـها . وحين تشعر بعاطفة الحب الجارفة ، كانت تريد أن تحتضن الرجل النائم معها ثم تربت عليه وتهدهده حتى يستغرق في النوم .

كانت تتمتع بطاقة هائلة من الحب ، وهي قادرة على أن تحب أي رجل يزورها قدرتها على أن تعيش حبها إلى مداه.

كانت شغوفة إلى هذا الحد بأولئك الرجال الذين علقت صورهم على الجدار المقابل . كان لديها شعور دائم بأنها طيبة ، لكنها لم تكن تدرك لماذا يفتقر الرجال للطيبة ؟ وعندما كانت تحدق في المرآة ، لا تملك إلا أن تقول: " سوغاندهي " لم لا يعاملك الزمن معاملة لائقة يا سوغاندهي! "

كانت تلك الفترة ، وبعبارة أخرى أيام تلك السنوات الخمس ولياليها كانت منوطة بكل عرق من كيانها ، ومع أنها لم تكن محظوظة خلال تلك الفترة ، فقد تمنت أن تستمر أيامها على المنوال ذاته .

كانت بلا طموح إلى أي شيء يمكنها من تحويش المال .
وكانت مستعدة لبيع نفسها لقاء عشر روبيات ، يقتطع منها روبيتان ونصف الروبية عمولة للقواد رام لال ، والسبع روبيات والنصف الباقية كانت كافية لسد حاجاتها . وحين جاء مادهو من بونا ليسلب سوغاندهي ، على حد تعبير رام لال القواد ، فقد كان عليها أن تدفع له فدية تتراوح ما بين عشر وخمس عشرة روبية . كانت متعلقة به إلى حد ما .
ولقد أصاب رام لال حين قال أن في مادهو شيئا ما فتن سوغاندهي . حين التقت بمادهو أول مرة قال لها : " ألا تشعرين بالخجل حين تعقدين الصفقة ؟! أتعرفين ما الذي تساومينني عليه ؟ .. وهل تعرفين لماذا جئت إليك ؟ .. عشر روبيات ، كما تقولين يطرح منها روبيتان ونصف حصة القواد ، وسبع روبيات ونصف لك ، أليس كذلك ؟ . ولقاء هذه الروبيات السبع والنصف ، أنت تعدين أن تمنحيني شيئا لا تستطيعين منحه ، وأنا جئت من أجل شيء لا أستطيع الحصول عليه .إنني أريد امرأة ! ، ولكن هل تتوقين لرجل في هذه الساعة ؟ .إن أية امرأة يمكن أن تكون جذابة لي ، ولكن هل تحبينني ؟ أية علاقة تربطني بك ؟ لاشيء ، عشر روبيات لا أكثر ، بل من هذه العشر ستطير روبيتان ونصف عمولة للقواد ، والباقي سيصرف هنا وهناك .. وهذا ما

يخشخش بيني وبينك . وأنت تسمعين خشخشتها كما أسمعها . لكنك تفكرين في شيء آخر ، وأنا كذلك . لماذا لا تفهمين أن أحدنا يريد الآخر ؟ أنا عرّيف في شرطة بونا وسوف أزورك مرة في الشهر .. تخلي عن هذه المهنة .. وسأعتني بك .. كم أجرة هذا الجحر ؟ " .

لقد أثرت بلاغة مادهو في سوغاندهي حتى خيل إليها في لحظة ما أنها زوجة عريف في الشرطة . وبعدئذ، قام مادهو بترتيب الأشياء المبعثرة في الحجرة ومزق الصور العارية الملصقة على واجهة سريرها دون استئذان .. " سوغاندهي ، لن أسمح لك باقتناء مثل هذه الصور .. وإبريق الماء هذا ، انظري كم هو قذر .. وهذه الخرق .. وهذه القطع البالية من الملابس .. كم هي نتنة ! ارميها بعيدا .. وأية فوضى صنعت بشعرك . و . " وبعد ثلاث ساعات أو أربع كان مادهو وسوغاندهي صديقين حميمين . لقد أحست بأنها تعرف الشرطي منذ عهد بعيد . وقبل تلك اللحظة لم يشعرها أحد بوجود الخرق النتنة ، والخرق القذرة ، والصور العارية في الحجرة . ولم يجعلها أحد تشعر من قبل أن لها مسكنا يمكن أن يكون بيت أسرة . لقد اعتاد الرجال أن يزوروها ويغادروها دون أن يشعروا بقذارة

سريرها . ولم يقل أحد لسوغاندهي : " انظري ، أنفك مصاب بالرشح وسأحضر لك دواء " . لكم كان مادهو لطيفا ! كل ما قاله كان صادقا وعمليا . لقد تحدث مادهو إلى سوغاندهي بأمانة فتعلقت به وهكذا اتحدا معا .

راح مادهو يزورها مرة في الشهر قادما من بونا ، وحين يغادرها كان يقول دائما : " إذا تورطت في البغاء بعد اليوم فلن أكون لي أية صلة بك . وإذا دعوت أي مخلوق فسأجرك وألقي بك خارج البيت . انظري سوف أرسل إليك حوالة مالية من بونا لتواجهي بها مصاريفك. نعم ، كم هي أجرة هذا الجحر ؟ " .

لا مادهو أرسل فلسا واحدا ولا سوغاندهي تخلت عن مهنتها ، كلاهما كان يدرك كيف تجري الأمور. فلم تسأل سوغاندهي مادهو مرة : " لماذا تتبجح ؟ أنت لم ترسل ولو فلسا واحدا قط " . ومادهو لم يسأل سوغاندهي أبدا من أين تحصلين على كل هذا المال وأنا لم أرسل إليك شيئا ؟ " كلاهما كان كاذبا ، وكلاهما استمر بالنفاق . لكن سوغاندهي كانت سعيدة كواحدة لا تملك أن تتزين بالذهب فكانت راضية بالحلي التقليدية . وفي هذه الساعة ، كانت سوغاندهي ، من

شدة تعبها ، قد استغرقت في النوم . وقد نسيت أن تطفئ المصباح المعلق فوق رأسها فكان ضوءه الوهاج الحاد ينعكس على عينيها المغلقتين ، لكنها كانت تغط في نوم عميق .

ثمة طرقة على الباب ، من يأتي في الساعة الثانية ؟ كانت أذنا سوغاندهي الحالمتان تحسان بالطرق المستعجل ، ثم جاءت طرقة عنيفة فأجفلتها وجعلتها تنهض .. إن اختلاط نوعين من الخمر وبقايا ألياف السمك بين أسنانها فرزت لعابا كريه الرائحة فكان مرا للغاية . مسحت اللعاب بطرف قميصها وفركت عينيها . كانت وحيدة في فراشها . مددت رأسها متدلية لتنظر تحت السرير حيث كان كلبها المسترخي على قطع الفرش البالية يكشر في نومه إزاء أشياء غير معروفة . وكان الببغاء نائما وقد دفن رأسه في ريشه .

تكرر الطرق من جديد ، فنهضت سوغاندهي مغادرة سريرها كانت تعاني من صداع شديد . شربت الماء من الإبريق ومضمضت أسنانها . وتجرعت كمية أخرى ومضمضت أسنانها . ثم فتحت الباب مواربا وهي تقول : " رام لال ؟ " أجاب رام لال منزعجا وقد تعب من الطوق : "

ماذا جرى لك ؟ منذ ساعة وأنا أدق على الباب أين كنت ؟
" ثم قال بلطف : " هل عندك أحد؟"

" لا " أجابت سوغاندهي ، فرفع رام لال صوته صائحاً " لماذا لم تفتحي الباب ؟ لابد من وضع حد لذلك . أي نوم هذا الذي تستمتعين به! إذا كان على أن أهدر كل هذا الوقت في المساومة من أجل فتاة فلن أستطيع إدارة عملي ، بدلي ثيابك والبسي ذلك الساري المزين بالورود، اجرى بعض اللمسات على وجهك واتبعيني .إن سيدا مرموقا ينتظرك في سيارته هناك، عجلي وكوني جاهزة في الحال . " .

جلست سوغاندهي على الكرسي ذي الذراع تمشط شعرها أمام المرآة . ثم تناولت سوغاندهي قارورة البلسم المعطر من على المنضدة وقالت : " أشعر بأن حالتي ليست جيدة اليوم يا رام لال . " .

أعاد رام لال المشط إلى المنضدة ، ثم التفت إليها قائلا : " كان عليك أن تخبريني بذلك باكرا . " راحت سوغاندهي تدلك صدغيها و جبينها بالبلسم ، ثم حاولت أن تزيل سوء التفاهم مع رام لال قائلة : " ليس هذا لأنك .. أشعر بأن

حالتي ليست على مايرام ، لقد شربت أكثر من .. " أحـــس رام لال بإغراء الشراب فسألها : " هل بقى شيء؟ بـودي أن أتذوقه أيضا . " وضعت سوغاندهي الزجاجة على المنضـدة قائلة: " لو بقى فيها شيء لما أصابني هذا الصـداع اللعيـن . اسمع يا رام لال ، ذلك الرجل الجالس فـي السـيارة ، أحضره إلى هنا . "

أجاب رام لال : " لا يستطيع المجيء إنه سيد من الذوات .. كان خائفًا أن يقف بسيارته عند ناصية الشارع .. هيـا ، البسي وامشي حتى انعطافه الشارع .. سيكون كل شيء على ما يرام " .

كانت صفقة تستحق سـبعمائة وخمسـين روبيـة . إن سوغاندهي لن تقبل بها ثمنا لهذا الصداع الأليـم ، ولكنـها بحاجة ماسة للمال . إن امرأة من مدراس تقيـم فـي نـزل مجاور قد قتل زوجها في حادث مرور وعليها أن تعود إلـى مدينتها بصحبة ابنتها اليافعة . كانت بائسة إلـى درجـة لا تستطيع أن تدفع أجرة السفر . وقد حاولت سوغاندهي أمـس

أن تواسيها قائلة : " لا تنزعجي يا أختي ، إن صديقي على وشك الحضور من بونا وسأدبر لك بعض المال . " إن مادهو سيأتي من بونا ولكن كان على سوغاندهي وحدها أن تدبر المال . ولذلك هبت مسرعة فالتقطت وشاحها وارتدت ساريها المزين بالورود ومسحت خديها بالأحمر ، ثم ملأت كوبا آخر من ماء الإبريق البارد ومضت برفقة رام لال .

كان الشارع هادئا تماما ، وقد بدا أكبر مما عليه الأسواق في مدن المقاطعات . وكانت مصابيح الكيروسين تفيض بضوء أوسع انتشارا من ذي قبل ، مع أنهم جعلوا زجاجها ، بسبب الحرب ، ذا لون غائم. وفي ذلك الغبش ، كان من الممكن أن ترى السيارة عند نهاية الشارع.

تصورت سوغاندهي أن الجو كان ثقيلا بسبب صداعها ، بينما كانت ترنو إلى خيال سيارة في الضوء الخافت ، متوجسة من الصمت الغامض في الساعات الأخيرة من الليل. وكانت تحس بشيء من المرارة في الهواء وكأنها صدمت برائحة البراندي والبويرا .

مشى رام لال أمامها حتى اقترب من السيارة وقال شـــيئا ما للرجل داخلها ، وعندئذ وصلت سوغاندهي . تنحـــى رام لال جانبا وقال : " أرجو أن تأخذ نظرة ها قد جاءت ، إنـــها فتاة رائعة ، حديثة في هذه المهنة . " وبعدئـــذ توجـــه إلـــى سوغاندهي قائلا :

" تقدمي يا سوغاندهي " بضع خطوات وتوقفت قرب باب السيارة ، وهي تلف طرف الساري على إصبعـــها . أشـــعل السيد مصباحا يدويا أمام وجه ســـوغاندهي فبـــهر عينيـــها الناعستين ، لكن ذلك لم يدم طويلا . ثم سمعت تكة المصباح فاختفى الضوء وزمجر السيد " أف ، لا ! " فجـــأة أديـــرت السيارة وانطلقت مبتعدة . لقد غادرتها السيارة قبل أن تقـــوى سوغاندهي على التفكير في أي شيء . كان ضوء المصبـــاح ما يزال يتموج في عينيها، فلم تستطع أن ترى وجه الســـيد جيدا . ماذا حدث ؟ وتلك " أف ، لا " مـــاذا تعنـــي ؟ كـــان صداها مازال يتردد في أذنيها . ماذا ؟ ماذا ؟ ثـــم ســـمعت صوت القواد رام لال : " ألم تعجبيه ؟ لا بأس ، أنا ذاهب

لقد أضعت ساعتين بلا جدوى . " وحين ســـمعت رام لال انتفضت يداها بعنف . أين كانت تلك السيارة ؟ وأين كان ذلك السيد ؟ .. وتلك الــ " أف ، لا " تعنى أنه لم يســـتلطفها

..ابن الـــ .. " رغبتها في أن تشتم توقفت علـــــى أطـــراف لسانها . ومن تستطيع أن تشتم ؟ الســـيارة اختفـــت . كـــان ضوءها الخلفي الأحمر يغرق في ظلام السوق وســـوغاندهي تحس أن " أف ، لا " كأنها جمر متوهج يخـــترق صدرهـــا أحست وكأنها تزعق " يا سيد ، يا أفندي ! توقف بســـيارتك ولو لحظة . لكنه كان قد مضى بعيدا ."

توقفت في السوق الخاوية . الساري المزين بالورد ، الذي اعتادت أن تلبسه في المناسبات الخاصة كان يرفـــرف مـــع نسيم الهزيع الأخير من الليل ، ولم تكن ســـوغاندهي تحـــب اصطفاق قماشه الحريري . ودت لو تمزق الســـــاري إلـــى خرق، صائحة " أف ، لا " .

وحين تفكر أنها قد زينت وجهها لتنال الإعجاب ، راحـــت تصبب عرقا . ثم أخذت تعزي نفسها لتدفع عنـــــها شـــعور الارتباك : " أنا لم أعتن بهندامي من أجل ذلك الرجل ، هـــذه هي عادتي ، إنها عادة كل شخص لكن الساعة الثانية بعـــد انتصاف الليل ، القواد رام لال ، وهذا السوق وتلك الســـيارة وذلك المصباح " كانت تفكر وذرات الضـــــوء تتحـــرك

حولها في الهواء إلى أقصى حدود تخيلها ، وكانت تحس أن ضربات محرك السيارة في كل هبة ريح .

البلسم الذي دلكت به جبينها توارى في زينتها ودخل في مسامها بفعل العرق فأحست سوغاندهي أنه جبين شخص آخر . هبة ريح لامست جبينها المندي كان صداعها ما يزال على حاله ، لكن ثقل أفكارها زاد من سعة انتشار ذلك الصداع . حاولت سوغاندهي مرارا أن تحرر نفسها من تلك الأفكار . لكنها لم تفلح . لقد أرادت وجع الرأس كما أرادت الوجع في الساقين ، والوجع في البطن ، والوجع في الذراعين . ذلك الوجع الذي تنسى به كل شيء إلا الوجع في هذه الدوامة من الأفكار ، حدث شيء ما لقلبها . أكان وجعا ؟ لقد انقبض قلبها لحظة ثم انبسط .ما الذي طرأ ؟ يا للعنة ! إنها تلك الـ " أف ، لا " ذاتها هي التي كانت تقبض القلب وتبسطه .

مشت خطوة نحو بيتها لكنها توقفت وفكرت : " رام لال القواد قال أنه لم يحب وجهي ، لا لم يتكلم عن الوجه .. كل ماقاله أنه لم يستلطفني . " وجهي لم يرق له ، لا أكثر . ليكن، أنا كذلك لا أحب بعض وجوه الرجال .. ذلك الذي

زارني في الليلة الماطرة كان وجهه قبيحا . هل اغتظت وعبست ؟ لم أشعر بالحقد حين تمدد في السرير لينام معي ، ولكن، ألم أمسك نفسي من التقيوء ؟ لا بأس يا سوغاندهي لكنك لم ترفضيه !

لكن الأفندي صاحب السيارة بصق على . " أف ، لا " ماذا تعني؟ من أين أحضرت لي ذلك الرجل يا رام لال ؟ أنت تتباهى بهذه الفتاة .. هذه المرأة تستحق عشر روبيات ! البغل لم يكن بمثل هذا السوء ! كانت سوغاندهي مستغرقة في أفكارها عندما انتابتها موجة حارة من أخمص قدميها حتى قمة رأسها . كانت تغضب من نفسها حينا ، وأحيانا تشتم رام لال الذي أزعجها في الثانية بعد منتصف الليل . لكنها سامحته فجأة ولم تفكر إلا في ذلك الأفندي . وهذه الفكرة دفعت عينيها وأذنيها وذراعيها وساقيها وكيانها كله إلى التلفت والبحث عنه في كل مكان .. كانت تستحوذ عليها رغبة طاغية بأن يتكرر الحادث ذاته مرة واحدة فقط وعندئذ ستتقدم من السيارة ببطء ، يد من السيارة ستسلط الضوء على وجهها وستسمع صوت " أف ، لا " وهي " سوغاندهي ستنشب أظفارها في وجهه بجنون ستهاجمه كقطة متوحشة وستغرز أظفارها الطويلة في وجهه ، ستجره

من شعره خارج السيارة وستكلمه بشراسة حتـــى تتعـــب .. وعندئذ يمكن أن تبكي ، إن شدة الغضب والعجــــز أثــــارت سوغاندهي إلى درجة أن قطرات كبيرة من الدمع تلألأت في عينيها . سألت سوغاندهي عينيها : " لم البكاء ؟ أي ســــوء أصابكما ؟ " خفق الســـؤال فـــي عينيـــها وردت الأهـــداب بارتعاشة فحدقت سوغاندهي في الجهة التي انعطـــف فيـــها السيد .

" من أين جاء ذلك الصوت المرتد ؟ " أجفلت ســـوغاندهي وتطلعت هنا وهناك . آخ ، إنه قلبها ! لقد ظننت أنه محــــرك السيارة .

" إن لقلبي إيقاعا سليما ، فلماذا يتباطأ ويرتعد ؟ إنه يشــبه أسطوانة مشروخة ، تتوقف في نقطة معينة تحـــــت الإبـــرة وتعيد المقطع الغنائي مرارا وتكرارا ! " .

كانت السماء ملأى بالنجوم . تطلعت إليـــها ســـوغاندهي وقالت : "كم هي جميلة ! " أرادت أن تحول تفكيرهــــا فـــي اتجاه آخر : " جميلة " . ولكنها سرعان مــــا ســـرحت مـــع

خواطرها : " النجوم جميلة ، ولكن أنت خرقاء جدا ! هل نسيت أن وجهك منبوذ ؟ "

لم تكن سوغاندهي بشعة . إن صورها التي طالعتها في المرآة خلال السنوات الخمس الماضية ، عادت فظهرت أمام عينيها واحدة واحدة . لاشك أنها تفتقد السحر الذي كانت تتمتع به قبل خمس سنوات، يوم كانت حرة من هذه المضايقات كلها وهي تعيش في كنف والديها. لكن مرور السنين لم يقلب حسنها إلى بشاعة . كانت امرأة من النوع الذي يبحث عنه الرجال . وفي نظر سوغاندهي ذاتها ، كانت لها جميع المزايا التي يتمناها الرجل في المرأة لقضاء بضع ليال .

كانت بنيتها الجسمية متناسقة . وفي بعض الأحيان ، كانت تتأمل جسمها أثناء الاستحمام ولا تتمالك نفسها من الإعجاب به ،وكانت تتمتع بمزاج طيب ، فخلال السنين القليلة الماضية نادرا ما زارها رجل ولم يستمتع معها . كانت طيبة القلب ، عذبة المعاشرة ، وفي عيد الميلاد ، كانت تعيش في عول ؟ بيتها وزارها أحد الفتيان . وفي اليوم التالي حين تناول سترته من المشجب اكتشف أن محفظة

نقوده مفقودة . لقد اختلسها خادم سوغاندهي . أحس الفتى بهول المصيبة ، لأنه جاء من حيدر أباد ليقضي إجازته ، وليس معه فلس واحد للرجوع. فأشفقت عليه سوغاندهي وأعادت إليه الروبيات العشر .أي عيب في؟ طرحت سوغاندهي هذا السؤال على جميع الأشياء حولها : مصباح الكيروسين المغبش ، العمود الحديدي ، أحجار الرصيف المربعة .. وحصى الطريق الوعر. لقد نظرت إلى هذه الأشياء واحدة فواحدة ، ثم تطلعت إلى السماء التي كانت تنحني فوقها ، لكن سوغاندهي لم تتلق أي جواب !

كان الجواب في داخلها . كانت تعرف أنها ليست شريرة، بل إنها طيبة بالتأكيد . ولكنها تريد شخصا ما يثبت ذلك . شخص ما شخص ما شخص يلمس كتفها وهو يقول " سوغاندهي ، من يقول إنك سيئة ؟ إن من يقول عنك سيئة هو نفسه سيئ .. لم يكن ثمة من حاجة لقول " لا " كان يكفي أحدهم أن يقول : أنت لطيفة جدا يا سوغاندهي.

وراحت تفكر من جديد في السبب الذي يجعلها تتمنى أن تحظى من أحدهم بإطراء . لم يكن لديها مثل هذا الدافع من قبل. لم لاحظت الأشياء الميتة من حولها في هذا اليوم

وأرادت أن تفرض عليها إحساسها بأنها طيبة ؟ لم تستطع أن تعرف لماذا كان لكل عرق في جسدها استجابة الأم ؟ لماذا كانت تريد أن تضم في حضنها كل شيء في العالم مثلما تفعل الأم ؟ ولم تعرف لماذا كانت تريد أن تلتصق بالعمود الحديدي ذي المصباح وتمسح به خديها لتمتص رطوبته .

بعد حين ، شعرت أن مصباح الكيروسين الاعشى ، والعمود الحديدي ، ولحجار الرصيف المربعة ، وكل شيء من تلك الأشياء التي كانت قريبة منها في سكون الليل ، كان يتطلع إليها بحنان . حتى السماء المنحنية فوقها ، والتي كانت تشبه قطعة قماش سميكة مغبرة وملأى بالثقوب ،شعرت بأنها كانت تفهمها ، وكانت هي أيضا تفهم تلك النجوم المتلألئة . ولكن ، ما طبيعة ذلك التردد المضطرب في داخلها ؟ .. لماذا كان في داخلها إحساس الطقس المحتقن قبيل هطول المطر ؟ كانت سوغاندهي تريد من مسام بدنها كلها أن تتفتح لتفسح الطريق لكل ما كان يغلي في داخلها . ولكن، كيف يمكن تحقيق ذلك؟

كانت سوغاندهي تقف في طرف الشارع ، على مقربة من صندوق البريد . لسان الصندوق الحديدي الأحمر ، وهو

يتدلى في الفوهة المفتوحة ، تمتمم شيئا فتحركت عينا سوغاندهي نحو الجهة التي اختفت فيها السيارة ، لاشيء هناك .. كان لديها رغبة طاغية بأن ترى السيارة مرة ثانية ..مرة واحدة فقط !.. ولكن ، دعونا منها ومن سيرتها ، لماذا ينبغي على أن أحطم نفسي ؟ خير لي أن أعود إلى البيت وأنعم بنومة هادئة . ما الداعي لخوض هذا الجدال ؟ إنه مشاحنة دون جدوى .

عودي يا سوغاندهي إلى بيتك ، أو اشربي كوبا من الماء البارد ، ودلكي وجهك بقليل من البلسم العطري ، ثم نامي وانعمي بنومة مريحة وسيكون كل شيء على ما يرام . وليذهب الأفندي وسيارته .. إلى جهنم !.

شعرت سوغاندهي بانتعاش وكأنها قد خرجت من حوض الماء بعد الاستحمام ، كما شعرت أن حالتها الذهنية رائقة وهي الحالة التي ينعم بها المرء عادة بعد أداء الصلاة . ولقد تعثرت أكثر من مرة وهي تمشي عائدة إلى بيتها لأن أفكارها كانت بلا ثقل . لكن الحادث تجدد في قلبها مثل ألم مباغت راح ينتشر في كل خلية من خلايا جسمها ، فتثاقلت خطواتها. كانت تعاني من إحساس شديد بأنها لم تستدرج

من بيتها إلى السوق إلا لكي يهينها ذلك الرجل الـذي سـلط الضوء على وجهها . وفجأة شـعرت أن أحدهـم يتحسـس أضلاعها ليعرف ما يكتنز به جسدها من لحم وما يكسوه من صوف .. ذلك الأفندي الله يجعل .. أرادت سـوغاندهي أن تصب عليه لعناتها ، ثم أدركت أنها بلا جدوى . لـن تنعـم بالرضا إلا إذا أحضر ولعنت كل خلية من خلاياه . ولابد لها في حضوره أن تتلفظ بكلمات ستجعله لا يعرف طعم الراحـة طوال حياته .

كانت ستنزع ثيابها لتقف أمامه وتقول :هيا .. خذ بغيتـك مني . هذا ما جئت من أجله . خذ مني بقدر مـا دفعـت ، ولكنك لن تستطيع أن تساوم على كياني وما أكنه في داخلي، وحتى أبوك لا يستطيع ذلك .

كان هناك سلسلة من الطرق الجديدة في رأس سوغاندهي لكي تشفي غليل انتقامها . آه لو تسـتطيع أن تقـابل ذلـك الأفندي مرة أخرى ! فلو أتيح لها أن تواجهه فسوف تفعـل كذا ، وستفعل كيت وكيت . سوف تنتقم منه بهذه الطريقـة ، لا بل بتلك . ولكن ، حين اقتنعت أن من المستحيل لقاء ذلـك

الأفندي مرة أخرى ، فقد كان عزاء لسوغاندهي أن قذفته بشتيمة غير مؤذية لا أكثر ، ولكنها ستلتصق بأنفه إلى الأبد.

وفي هذه الحالة من الاضطراب صعدت سوغاندهي إلى حجرتها . أخرجت المفتاح من صدريتها لتفتح القفل ، لكن يدها دارت في الهواء إذ لم يكن هناك قفل . دفعت سوغاندهي الباب فأصر صريرا وتحرك. هناك من سحب الرتاج من الداخل فانفتح الباب ودخلت سوغاندهي .

ضحك مادهو من بين شاربيه ثم أغلق الباب وقال لسوغاندهي يبدو أنك امتثلت لنصيحتي . المشوار الصباحي مفيد للصحة . إذا ثابرت على هذه الرياضة الصباحية بانتظام، فسوف يطرح عنك الخمول وسيزول صداعك الذي تشكين منه كثيرا من الأحيان . لاشك أنك مشيت إلى حدائق فكتوريا ، أليس كذلك ؟ لم ترد سوغاندهي عليه ولا كان مادهو راغبا بأي جواب . في الواقع ، حين كان مادهو يتكلم لم تكن سوغاندهي مضطرة للمشاركة . وعندما يكون هناك ما يستدعي الحديث فقد كانت تتكلم عنه قليلا . جلس مادهو على الكرسي الذي كان ظهره ملطخا ببقعة كبيرة من الزيت الذي اعتاد أن يدهن به شعره. وضع ساقا على ساق

وراح يفتل شاربيه ، جلست سوغاندهي على السرير وقالت : كنت اليوم في انتظارك .

أحس مادهو بارتباك شديد : في انتظاري ؟ . كيف عرفت أنني سأقوم بزيارتك اليوم ؟.

انفرجت قليلا شفتا سوغاندهي المضمومتان عن ابتسامة شاحبة : البارحة رأيتك في المنام . صحوت فلم أجد أحدا ، لذلك رأيت من الأفضل أن أتمشى قليلا في الهواء الطلق .. فقال مادهو بمرح : وعندئذ وصلت ، أوه يا للناس الكبار وأفكارهم الناضجة ! يقول أحدهم بذكاء : الحب يجلب الحب، متى حلمت ؟

أجابت سوغاندهي : حوالي الساعة الرابعة . نهض مادهو عن الكرسي وجلس بجانب سوغاندهي على السرير . وأنا رأيتك في المنام في الساعة الثانية تماما وأنت ترتدين الساري المزين بالورد وتقفين قربي ، هذا الساري ذاته ، وفي يدك ... ماذا كان في يدك ؟ نعم ، كان في يدك صرة كبيرة من النقود وضعتها في يدي وقلت

لماذا تنزعج يا مادهو ؟ .. خذ الصرة .. مالك ومالي .. واحد لا فرق .. سوغاندهي ، أقسم لك .. لقد مضيت واشتريت التذكرة لآتي إلى هنا .. كيف أخبرك بالمشكلة التي أواجهها ؟ .. إنني متورط بقضية دون أي ذنب لو كان معي عشرون روبية لاستطعت التخلص من المفتش بتقديمها رشوة له ،ألست متعبة؟ تمددي لأفرك لك قدميك .

تمددت سوغاندهي واضعة ذراعيها تحت رأسها كوسادة وخاطبت مادهو بنبرة لم تكن لها : من هو ذلك اللعين الذي أقام ضدك دعوى يا مادهو ؟ إن كنت خائفا من الحبس ، دعني أعرف ، من حسن التدبير أن تعطي المال للبوليس إن كنت متورطا .. على الإنسان أن يشكر طالعه ليظل طليقا .. يكفي ، لم أعد متعبة ... لا تتبجح وتسرد على الحادثة كاملة.. إن قلبي بدأ يدق بعنف منذ سمعت بأن هناك دعوى ضدك ..

ابتسم مادهو كالسكران . لقد ظن أن الفرصة مواتية للحديث فقال فجأة : سأعود في قطار الظهيرة .. إذا لم أعط المفتش خمسين أو مائة روبية قبيل المساء ، عندئذ .. لا حاجة أن أعطيه الخمسين ستكون كافية.

"خمسين ! " تمتمت سوغاندهي وتحركت باتزان بالغ نحو الصور الأربع المعلقة على الجدار . كانت صورة مادهو الثالثة من اليسار ، قد جلس على كرسي ويداه على فخذيه وخلفه ستارة مزينة بالورود ، وهو يمسك زهرة بيده ، ثمة كتابان ضخمان على منضدة صغيرة بجانبه . كان مادهو واعيا بشدة أنه أمام آلة التصوير ، لذلك بدا كيانه كله يبرز خارج نفسه ! وكان يتطلع إلى الآلة وعيناه جاحظتان وكأن اتخاذ ذلك الوضع للتصوير كان مؤلما جدا له .

قهقهت سوغاندهي .. كانت ضحكتها حادة الطرف إلى درجة أن مادهو أحس بوخزة ، فنهض عن السرير واقترب من سوغاندهي متسائلا : صورة من التي أثارت كل هذا الضحك ؟ أشارت سوغاندهي إلى الصورة الأولى من اليسار، وهي مشرف البلدية الصحي تلك .. صورة مشرف البلدية .. تأمل قليلا وجهه القبيح .. يقول أنه رآني وقعت في حبه .. أف ، ياله من وجه كريه قالت ذلك وانتزعت الإطار بقوة شديدة إلى درجة أن المسمار خرج من الجدار ساحبا معه الملاط المحيط به . كان مادهو ما يزال ذاهلا حين قذفت سوغاندهي بالإطار خارج النافذة فهوى من الطابق الثاني وكان لارتطام الزجاج المهشم بالأرض صوت

مسموع . قالت سوغاندهي : عندما يراني الكنـــاس ســيقوم بالتقاط هذه النفايات وسيأخذ سيدي الأمير معه أيضا .

تبسم مادهو بصعوبة ثم تضاحك ، انتزعت ســـوغاندهي صورة صاحب العمامة بيد ومدت اليد الأخرى إلى صــــورة مادهو . انكمش مادهو داخل نفسه وكأن يدها اندفعت نحـــوه خلال جزء من الثانية .

ضحكت ضحكة خافتـــة وقـــالت : أف ، لا ثـــم رمـــت بالإطارين معا من النافذة . ترامى إلـــى ســـمعهما صـــوت ارتطام الزجاج بالأرض أحس مادهو بأن شيئا تحطـــم فـــي داخله . تضاحك بعناء شديد ولم يقل إلا : أحسنت صنعا ، لم أكن أحب تلك الصور .. تقدمت سوغاندهي على مهل مـــن مادهو وقالت ألا تحب تلك الصور ؟ .. ولكن ، هـــل مـــن شيء في داخلك يمكن أن يحب ؟ هذه الأنف الكبير .. وهـــذه الجبهة كثيفة الشعر .. وهذان المنخران المنتفخان .. وهاتـــان الأذنان المفتولتان .. وهذه الرائحة من فمك .. وهذه القـــذارة المنبعثة من جسمك ؟ .. أنت لا تحب صورتك ، أوه .. لا ! .. كيف تستطيع أن تحبها ؟ .. كانت تخفي عيوبك .. كـــانت .. والأيام تقول كلمتها : إن من يخفي عيوبه لابد أن يكـــون

سيئا . تابع مادهو تراجعه حتى اصطدم ظهره بالجدار ، ثـم قال لسوغاندهي بصوت لا يخلو من إصرار : اسـمعي يـا سوغاندهي، يبدو أنك عدت لممارسة تلك المهنة ثانية .. وأنا أنذرتك للمرة الأخيرة ..

التقطت سوغاندهي جملته لتكملها بالنبرة ذاتها : إذا عدت لممارسة تلك المهنة ثانية .. فلن تقوم بيننا أية صداقـة . إذا دعوت أي مخلوق إلى هنا مرة أخرى .. فسـوف أجـرك وألقي بك خارج البيت .. وسأرسل إليك مصـروف البيـت حالما أصل إلى بونا ، نعم ، كم أجرة هذا الجحـر ؟ وقـف مادهو حائرا .

تابعت سوغاندهي :ها أنا أخبرك : أجرة الجحر خمـس عشرة روبية في الشهر ، وعشر روبيات لي .. وكما تعلـم فإن القواد يأخذ روبيتين ونصف ، وكل ما يبقى سبع روبيات ونصف ، أليس كذلك ؟

وهذه الروبيات السبع والنصف قد وعدتك بها ولكنـي لا أستطيع وأنت ترغب في الحصول على شـيء لا تسـتطيع الحصول عليه .. فأية علاقة تربط بيننا ؟ لا شيء ! لا شيء

إلا تلك الروبيات التي تخشخش بيني وبينك ولذلك قررنـــا أن يكون أحدنا للآخر . أولا ، كان بيني وبينك تلك الروبيات العشر ، الآن خمسون روبية .. أنت تسمع خشخشتها وأنـــا كذلك . أية فوضى صنعت بشعرك ؟.

قالت سوغاندهي ذلك وقذفت قبعة مادهو بإصبعها ، لـــم يرق ذلك لمادهو فصاح بمرارة : سوغاندهي! .

التقطت سوغاندهي منديلا من جيب مادهو ، تشممته ثـــم ألقت به على الأرض : هذه الخرق ، هذه القطع البالية مـــن القماش . كم رائحتها كريهة ...ارمها بعيد !!..

صاح مادهو (( سوغاندهي !)) فردت سوغاندهي بحدة :

آه يا روح سوغاندهي ! لماذا جئت إلى هنا ؟ هل تعيـــش أمك هنا لتعطيك خمسين روبية ؟ وهل أنت من الوسامة حتى أقع في حبك ؟ .

يالك من كلب حقير ! تريد أن ترعبني ؟ هـــل أنـــا مـــن أتباعك ؟ ومن تكون ؟ لص أو مختلس جيوب ! ما الذي جاء

بك إلى بيتي في مثل هـــذه الســـاعة ؟ أتريـــد أن أســـتدعي البوليس؟ أنت متورط بقضية في بونا ، فهل تريد أخرى؟.

أحس مادهو بالخوف ولم يتمالك نفسه أن يسألها بصـــوت خانع : ماذا جرى لك ؟ ردت سوغاندهي صارخة من أنـــت بحق الجحيم حتى تســـألني ؟ اخـــرج وإلا .. ! بـــدأ كلبـــها الأجرب ينبح ، بعد أن كان نائما علىالقطعة البالية المهترئـــة في مواجهة مادهو ، فضحكت سوغاندهي . استحوذ الخـــوف على مادهو فانحنى ليلتقط قبعتـــــه ، لكنـــه ســـمع صـــوت سوغاندهي مرعدا : إياك أن تلمسها ، دعها في مكانها هناك انقشع إلى بونا وأنا سأرسلها إليك بـــالأجرة . ثـــم راحـــت تضحك بصخب وجلست على كرسي الخيزران .

أرغم كلبها الأجرب بنباحه المتواصل مادهو على مغادرة الحجرة . وبعد أن طارده وهو يهبط الدرج ، عـــاد الكلـــب ملوحا بذيله الأجرد فاقترب من ســـوغاندهي وراح يصفـــق أذنيه بجوار قدميها فتوجست منه نذير شؤم ، وأحست بدهشة رهيبة تحيق بها ، وحشة لم تكابد مثلها من قبل . كانت تحس أن كل شيء كان خاويا تماما كالقطار الذي أنزل المســـافرين في كل المحطات ثم توقف وحيدا تحت المظلة الحديدية . هذا

الشعور المفاجئ بالفراغ داخل سوغاندهي كان موجعا لـــــها جدا .

لقد حاولت طويلا أن تملأ ذلك الفراغ ولكن دون جدوى . امتلأت رأسها تلقائيا بالكثير من الأفكار ، لكنه كان كالمنخل. فكلما ملأت رأسها ألفته فارغا في اللحظة التالية . ســـرحت مع خواطرها لمدة طويلـــة وهـــي جالســـة علـــى كرســـي الخيزران، لكنها لم تستطع أن ترسو في أي مكـــان يريـــح قلبها.. فالتقطت كلبها الأجرب واحتضنته ومضت لتنام فـــي سريرها الخشبي العريض .

# وجـــــاء العيـــــد[1] ..

بريم تشاند*

اليوم .. أول أيام عيد الفطر المبارك .. ياله مـــن يــوم جميل .. الأشجار السامقة تظل المكان بأوراقها الخضـــراء الوارفة .. الحقول تبدو في أروع صـــورة لـــها .. الســماء يشوبها لون يميل إلى الأحمر الداكن .. الشمس تبدو رقيقـــة هادئة .. وكأن الدنيا كلها تحتفل بالعيد .. القرية بأكملها تعـج بالنشاط والحيوية .. الجميع يستعدون للذهاب إلـــى ساحة صلاة العيد .. هناك من يكتشف أن قميصـــه يحتــاج إلـــى أزرار. فيهرع إلى جاره ليستعير إبرة وخيطا .. وهنا آخـــر يجد حذاءه جامدا .. فيجري إلى محل الأحذية ليستعين بلبيسة " الأحذية " الأبقار يجب إطعامها قبل أن يخرجوا . فـــاليوم سوف يكون قد انتصف عند عودتهم من ساحة الصلاة .. إن عليهم أن يقطعوا ثلاثة أميال أو ما يزيد حتى يصلـــوا إلـــى

---

(١)قامت الأستاذة مآثر المرصفى مدير تحرير مجلة الشرق بترجمـــة هذه القصة عن اللغة الانجليزية ونشرتها فى مجلة صوت الشرق (المترجم)

الساحة ليقابلوا مئات الأصدقاء والمعارف والجيران ويتبادلوا التهنئة بالعيد .. الأطفال هم أسعد الجميع صحيح أن بعضهم لم يصم يوما واحدا إلا حتى العصر .. والبعض لم يصم على الإطلاق ولكن الرحلة إلى ساحة الاحتفال بالعيد هي نصيبهم من الفرحة ، فالصوم للبالغين .. أما العيد فللصغار.. إنهم لا يكفون عن التفكير في العيد منذ أول يوم رمضان .. واليوم جاء العيد حقا .. كل ما يهمهم الآن أن يذهبوا للاحتفال .. غير عابئين بالمشاكل المنزلية ..فلا يعنيهم إذا كان بالمنزل لبن وشعرية لعمل حلوى السيواى التي يأكلونها في العيد أم لا .. إن كل ما يهمهم هو أن يأكلوها .. جيوبهم تمتلئ بنقود العيدية .. لا يتوقفون عن إخراج العملات من جيوبهم وعدها .. ثم إعادتها مرة أخرى إلى جيوبهم .. محمود يعد ثروته .. واحد .. اثنين .. عشرة.. اثنتى عشرة .. إنه يمتلك اثنتى عشرة بيسة[1] أما محسن فيمتلك .. واحد .. اثنين ... ثلاثة .. ثمانية .... تسعة ... خمس عشرة بيسة ... إنهم سيشترون العالم بهذه الثروة الهائلة لعب .. وحلوى .. وطبول .. وكرات .. وأشياء أخرى كثيرة ..

---

[1] البيسات جمع بيسة وهى وحدة نقدية هندية تعادل قرشاً (المترجم).

وأسعد كل هؤلاء الأطفال هو حميد .. الصبي البالغ من العمر أربع أو خمس سنوات .. نحيف .. ذو وجه بريء .. مات أبوه العام الماضي بعد أن أصيب بالكوليرا .. وأخذت أمه تضعف وتشحب يوما بعد الآخر حتى ماتت هي الأخرى.. لم يتمكن أحد من معرفة ما أصابها .. وحتى لو كانوا قد عرفوا . فماذا كانوا سيفعلون ؟ ... لقد كانت تعاني في صمت .. وعندما وهنت قدرتها على الاحتمال . تركت العالم في هدوء .. والآن يعيش حميد مع جدته العجوز أمينة في سعادة لم يعرفها من قبل .. إن والده قد رحل ليجلب له ثروة .. وسوف يعود محملاً بالحقائب المملوءة بالمال .. أما أمه فقد رحلت إلى جوار ربها لتجيء له بأشياء حلوة كثيرة..! لهذا يعيش حميد سعيداً .. الأمل شيء جميل .. وخاصة لدى الأطفال .. وخيالهم الواسع يمكن أن يحول حبة القمح إلى جبل شاهق .. حميد ليس لديه حذاء .. ورداءه بال وباهت ... فقد فقدت الخيوط التي تزخرفه باللون الذهبي وأصبحت سوداء اللون .. ولكنه مع كل ذلك لا يزال سعيداً.. فعندما يعود أبوه محملاً بحقائب المال . وتعود أمه بالهدايا الكثيرة .. عندئذ سيكون لديه كل شيء .. ولا يعرف كيف سيستطيع محسن ومحمود ونور وسامي أن يتباهوا بذلك القدر الذي يملكونه من المال !! .. جلست أمينة البائسة تبكي

في غرفتها .. فاليوم عيد .. ولا توجد بمنزلها حبة قمـــح .. لو كان عبيد لا يزال على قيد الحياة ، هل كان العيد ســـيمر عليها هكذا ؟ !

غرقت أمينة في اليأس والظلام .. لا أحد في هذا المـنزل يشعر بالعيد إلا حميد..إنه لا يدرك معني الموت .. والحـزن .. بل تملؤه الفرحة والأمل .. دخل حميد غرفـــة جدتـــه .. وقال لها " لا تخافي يا جدتي .. سأكون أول من يعــود .. لا تقلقي ! " .

شعرت أمينة بقلبها ينفطر حزنا .. إن كل أطفال القريـــة سيرحلون بصحبة آبائهم .. وحميد ليس لديه سوي جدتـــه .. كيف يمكن أن تتركه يذهب بمفرده ؟ أليس من الممكـــن أن يتوه وسط ذلك الزحام .. إنه لا يزال صغيرا .. كيف سيقدر علي أن يقطع كل تلـــك الأميـــال .هـــل ســـتتحمل قدمـــاه الصغيرتان؟ إنه حتى ليس لديه حذاء .. إنـــــها تســـتطيع أن تحمله لبعض الوقت .. ولكن لو ذهبت معه ، من سيبقى ليعد حلوى السيواي .. لو كان لديها بعض المال لذهبت لشـــــراء كل ما تحتاجه لإعداد الحلوى وصنعتها على الفور ثم ذهبـت مع حميد.. ولكنها تحتاج إلى ساعات طويلة حتى تجمع كـل

ما تريده .. إن عليها أن تستعير من هذا وتشحذ مــن ذاك .. لقد صنعت ذاك اليوم ثوباً لفهيمة وأعطتها ثماني أنات مقـابل ذلك .. ومنذ ذلك اليوم وهي تدخر الثماني أنات ليوم العيد .. ولكن بائعة اللبن أصرت بالأمس على أن تأخذ كل ما تديـــن به أمينة من نقود .. وحميد لا يمكن أن يستغني عن اللبـن .. لذلك لم يبق معها الآن سوى أنتين .. ثلاث بيسات في جيـب حميد .. وخمس بيسات في كيسها .. هذا كل ما تحتكم عليـه .. ومن المؤكد أن زوجة الحلاق وزوجة الكنــــاس وبائعــة الأساور سوف يأتين إليها اليوم ليهنئوها بـــالعيد .. وســوف يرغبون بالطبع في بعض من حلوى السيواي .. وبالطبع لـن تتفهم أي منهن الأمر إذا قدمت لها قدرا ضئيلاً من الحلوى..

بدأت الحشود تتجمع في القرية استعدادا للانطـــلاق إلـــى ساحة الاحتفال .. حميد أيضاً ذهب مع الأطفال الآخريـــن .. كانوا ينطلقون جميعاً في بعض الأحيان ، ويتوقفـــون فـــي أحيان أخرى لينتظروا من تأخر منهم تحت الأشجار

لماذا يسيرون بكل هذا البطء ؟.. إن حميد يعـــدو وكـــأن قدميه قد تحولتا إلى جناحين .. إنه لا يشعر بأي تعب ..لقـــد وصلوا الآن إلى مشارف المدينة .. على جانبي الطريـــق ،

تصطف حدائق الأثرياء ، تحيط بها الأسوار العالية من كل ناحية .. وبداخلها تبدو أشجار المانجو عامرة بالثمار الطازجة ..بين الحين والآخر يقف مجموعة من الأطفال أمامها يقذف أحدهم ثمار المانجو بحجر صغير .. فيخرج الحارس مسرعا يكيل لهم السباب والإهانات .. فينطلقون فارين .. وهم يضحكون ويقهقهون ..

واصل الجميع السير .. كل المتاجر مفتوحة .. وكلها تعلق الزينات اليوم .. من ذا الذي يستطيع أن يأكل كل هذه الكميات من الحلوى ؟ .. إن كل متجر منها يحتوي على آلاف الأطنان من الحلوى .. يقولون إن الجان يحضرون ويشترون كل هذه الحلوى في الليل .. قال محسن: "إن أبي يقول إن رجلا يحضر في منتصف الليل إلى كل متجر ويشتري كل ما فيه .. ويدفع مقابل ذلك نقودا حقيقية مثل العملات التي معنا تماما !."

وجد حميد صعوبة في تصديق ذلك ..فسأله "ومن أين يأتي الجان بمثل هذه العملات .. ؟" أجابه محسن الجان لا تنقصهم الأموال .. ففي مقدورهم أن يزوروا أي خزانة .. فحتى الأبواب الحديدية ليست عائقا بالنسبة لهم .. إنهم

يملكون أيضاً جواهر وألماس .. ولـــو أنـــهم مســـرورون ، فيمكن أن يعطوك ملء حقائب من الجواهر .. وهم يكونـــون معك في لحظة .. وفي اللحظة التالية يكونون في كلكتا .. "

تساءل حميد ثانية هؤلاء الجان لابد أن يكونوا مخلوقـــات ضخمة ؟"

أجابه محسن بأن كلا منهم يطاول عنق السماء .. ولكـــن عندما يريد يتحول إلى كائن أصغر من أن تراه .

سأله حميد كيف يمكن أن نسرهم ؟ لو علمني أحد السـبيل إلى ذلك فسوف أفعل ذلك ؟.. أجابه محسن إنني لا أعـــرف السبيل إلى ذلك .. ولكن السيد شودري يسخر الكثـــير مـــن الجان .. وعندما يكون هناك حادث سرقة ، فإنه يسـتطيع أن يكشف اسم السارق .. ذلك اليوم عندما ســـرق اللصـــوص جارنا جومراتي .. ظل يبحث في كل مكان .. ولما فشل في العثور عليهم ذهب إلى شودري صاحب .. فأحضر الجـــان وعرف منهم كل شيء..

الآن فقط عرف حميد لماذا يمتلك شودري صاحب كـــل هذه الثروة .. ولماذا ينال كل هذا الاحترام من الجميع ..

واصل الجميع سيرهم .. وصلوا إلى نقطـــة الشـــرطة . جميع رجال الشرطة يصطفون هنا .. في الليل يكون علـــى هؤلاء المساكين أن يقوموا بدوريـــات ليليـــة ، وإلا ســتقع حوادث سرقة في المدينة .. هذا ما يفهمه حميـــد .. ولكـــن محسن ناقض ذلك .. " إنهم هؤلاء رجال الشرطة يقومـــون بدوريات ليلية ! إنك تعلم الكثير ! إنـــهم هـــم الذيـــن وراء حوادث السرقة .. وهم الذين يحمون كل أنـــذال ولصـــوص المدينة .. فعندما يحل الليل يعطـــون الإشـــارة للصـــوص ليشرعوا في السرقة ويذهبون هـــم إلـــى أمـــاكن أخـــرى ، ويصيحون بأعلى أصواتهم "من هناك ؟..من هناك " هكـــذا يصبحون أثرياء .. إن عمي ، يعمل رجل شرطة في أحـــد أقسام الشرطة ..ويتقاضى مرتبا شهريا يبلغ عشرين روبية.. ولكنه يرسل إلى أسرته خمسين روبية شهرياً .. أقسم بالله .. وعندما سألته ذات مرة من أين يحصل على كل هذه النقود ، ضحك وقال " إننا نحصل عليها بركة الله يا بني .. ولو أننـــا نريد لكان في إمكاننا أن نحصل على آلاف الروبيات يوميا.. ولكننا لا نأخذ إلا القدر الذي يجعلنا نحيا حياة كريمة ، وفـــي الوقت نفسه لا يكلفنا فقدان وظائفنا " .

سأله حميد ولو أنهم وراء السرقات .. أليس من الممكـــن أن يقبض عليهم.. شعر محسن بالشفقة نحو حميـــد لجهلـــه البين.. ومن الذي سيقبض عليهم أيها الساذج ..إنـــهم هــم الذين يقبضون على الناس .. ولكن الله يُنزل بهم عقابـــه .. فكل ما يكسبونه حراما يضيع هباء .. فمنذ فترة قصيرة شب حريق هائل في منزل عمي .. أتى على كل شيء في المنزل .. حتى أنهم ظلوا ينامون في العراء لأيام طويلة .. أقسم بالله .. في العراء .. حتى اقترض عمي من مكان ما مائة روبيـة ليشتري بها ما يحتاجون .

سأله حميد : المائة روبية أليست أكثر من الخمســين ؟.. ضحك محسن وقال : المائة روبية تختلف تماما عن الخمسين .. فالخمسون روبية يمكن أن تضعها في حقيبة أمــا المائــة فربما لا يكفيها حقيبتان..!!.

وأخيرا .. وصل الجميع إلى ساحة الاحتفال .. أشـــجار التمر هندي تظلل المكان ..الأرض مفروشة بسجاد الصلاة.. المصلون يقفون في صفوف متساوية ، الصف وراء الآخــر إلى أبعد ما يمكن أن يمتد إليه البصر .. وعندما يفد مصلون جدد يصنعون صفا جديدا .. وهكــذا .. لا اعتبــارات هنــا

لأصحاب المناصب العليا .. أو الثراء .. الوقوف في الصف الأمامي ليس معناه السمو في المكانة أو الغنى ... الجميع سواء في الإسلام .. الوافدون من القرى أيضا .. يتوضأون وينضمون لصفوف المصلين .. منظر مهيب ؟؟ ما أروع النظام الذي يلتزمون به وهم يصلون .. آلاف الرؤوس تنحني في خشوع .. ثم تُرفع مرة أخرى .. الجميع يركعون معا .. ويسجدون معا .. يكادون في دقتهم والتزاماتهم يبدون مثل آلاف المصابيح الكهربائية التي تضيء ما إن تضغط على الزر .. وتنطفئ ما إن تضغط عليه مرة أخرى .. ياله من منظر خاشع .. رائع .. يملأ القلب بالإيمان والفخر والفرحة ..كل هذه الجموع الغفيرة بدت وكأنها اجتمعت على روح واحدة من الأخوة ..

انتهت صلاة العيد .. وتفرق الجميع .. راحو يتعانقون ويهنئون أحدهم الآخر .. وجاء وقت الشراء .. بدأ الهجوم على متاجر اللعب والحلوى .. والأراجيح والألعاب .. هرع محمود ومحسن ونور وسامي نحو الحصان الخشبي .. ركب كل منهم دورة واحدة مقابل بيسة واحدة .. وقف حميد بعيدا يرقبهم .. فهو لا يملك سوى ثلاث بيسات ..

نزلوا جميعاً من الأراجيح .. وجاء دور شراء اللعب .. عدد هائل من المتاجر .. ماذا ينفقون ؟ اللعبة الواحدة ثمنها بيستان .. وحميد لا يمتلك سوى ثلاث بيسات .. لو اشترى لعبة واحدة لن يبقى معه سوى بيسة واحدة .. إنه لا يستطيع أن يشتري هذه اللعب الغالية .. ثم إنها في النهاية ليست سوى فخار مطلي بالألوان .. فلو وقعت من يديه ستتحطم .. ولو سقط عليها بعض الماء سيزول لونها .. ماذا سيفيده ، إذاً، لو اشتراها .. إنها عديمة الفائدة .. هكذا قال لنفسه .. ولكن روحه كانت تتوق للعب بها .. أو حتى ضمها بين يديه لدقائق معدودة .. اشترى كل من أصدقائه لعبة مختلفة .. وراح كل منهم يتباهى بلعبته .. ولما أخبرهم حميد أنها عديمة الفائدة ويمكن أن تتحطم في أية لحظة .. ضحكوا على تعليقه طويلا ..

انتقل الجميع إلى متاجر الحلوى .. واشتروا جميعا ما يريدون منها .. إلا حميد .. فهو لا يملك سوى ثلاث بيسات .. أخذ أصدقائه يغيظونه بما اشتروه من حلوى .. أخبرهم حميد بأن أكل الحلوى ليس صحيا .. وأن الحلوى تسبب أمراضا كثيرة .. هكذا يقول الكتاب •

بعد متاجر الحلوى .. يوجد العديد مـن متـاجر الأدوات المنزلية .. لا يقف أمامها الكثيرون يوم العيد .. لاشيء فيـها يجذب الأطفال .. لذلك مروا جميعاً من أمامها مرور الكـرام إلا حميد وقف ينظر إلى ما يحتويه المتجر .. وقـع نظـره على ملقطة خشبية تذكر أن جدته لا تمتلك واحدة .. وعندمـا تخبز ، دائما تحرق يديها .. تخيل الفرحة التـي يمكـن أن يرسمها على وجهها عندما ترى الملقطة الخشبية .. نظر إلى الثلاث بيسات التي يملكها .. ماذا يفعـل .. هـل يشـترى لعبة؟.. وماذا لو وقعت منه وتحطمـت ؟ .. هـل يشـتري حلوى ؟ .. إنها تتسبب في تسوس الأسنان وظهور الحبـوب على الوجه .. أما لو اشترى الملقطة .. مـن .. المؤكـد أن جدته ستغرقه بدعواتها .. ودعوات الكبار حتما تصل إلـى السماء أسرع من دعوات الصغار .. اشترى حميد الملقطـة الخشبية .. وبالطبع لم يسلم من تعليقات أصدقائه الساخرة .. بحلول الظهيرة .. عاد الجميع إلى القرية .. ذهب كل طفـل يحكي لرفاقه عما فعل في ساحة الاحتفال .. دخل حميد إلـى جدته .. احتضنته في شوق .. سألته .. ماذا اشـتريت يـا حميد؟ عندما رأت الملقطة الخشبية ثارت ثائرتـها .. هـذا الصبي الأحمق .. لم يأكل أو يشرب أي شيء طوال النـهار .. لم يشتر أي لعبة .. وبماذا عاد من سـاحة الاحتفـال ..

ملقطة خشبية .. نظر إليها حميد وفي عينيه نظرة ذنب .. قال لها جدتي .. إن أصابعك تحترق كلما تخبزين .. وذلك يحزنني كثيرًا .. لهذا اشتريت لك هذه الملقطة الخشبية ..

تحول حنق الجدة إلى شفقة .. هذا الصبي المسكين حرم نفسه من كل شيء من أجل جدته .. لابد أنه تعذب كثيرًا حتى يمنع نفسه عن كل ما يمكن أن يمتع صبيا مثله حتى يسعد جدته ..

في هذه اللحظة تحولت الجدة أمينة إلى الطفلة أمينة .. والطفل حميد إلى الرجل المسئول البالغ .. ضمته بين ذراعيها .. وأغرقته بدعواتها .. ودموعها راحت تنهار عليه.. ولكن حميد لم يفهم سبب هذه الدموع ..

# غداً سيكون يومًا آخر ...

أوشاجون*

كانت الأمطار قد هطلت بغزارة قبل بضعة أيام وغلف غطاء سميك من الحرارة الرطبة دلهي . جرّت " تاريني " الستار وقاية من الهواء الساخن ، وردت من المعبد المجلور أصوات الأجراس و تراتيل الصلوات كان اليوم يوم مولد لورد كرشنا يوم مولد إله الرقص والغناء.

إنها فيما كانت تستمع إلى تراتيل سلّوكس استعادت إلى ذاكرتها حلمها المؤخر . كانت قد شاهدت لورد كرشنا في حنطور يجره اثنان من الفيلة وهي تجري وسط الرمال إلى حين أن وصلت إلى غابة . فنزل من الحنطور وتاجه مزخرف بريش الطاووس وهز النسيم البارد أطراف ثوبه الحريري الأصفر اللون المزخرف بالذهب .

عندما عزف على مزماره أحاطت به مجموعة من الوصيفات ورقصت بفرح من حوله . كانت عيونه مليئة

بالشقاوة بينما أخذ بيدهن ورقص مع كل واحدة منهن بحماس متساو .

كانت خطواته رقيقة لدرجة أن قدميه نادرا ما لمستا الأرض . سرعان ما شكلت التنورات التي كانت تهتز بسرعة والتي كانت ترتديها الوصيفات حلقة دائرية من حوله أشبه بقوس قزح . لكنها استيقظت فجأة من نومها بعد ذلك .

يكمن في قلب كل رجل كرشنا مشاغب وفي قلب كل امرأة هناك " رادا " التي خدعت زوجها ، ان الاختلاف الوحيد هو أن الناس يعترفون بذلك والبعض الآخر مثلي يحاولون السيطرة على تلك المشاعر للمداعبة والمغازلة .

فكرت " تاريني " في نفسها وقالت يرغب معظم الناس في التضلع خلسة في هذه العواطف المحرمة وعندما يتضلعون فيها يدركون على الفور أن البعض قد أسرف ويتورطون في مشاكل أخرى .

الكثير من النساء يعايشون وهماً أنهن الوحيدات اللواتي يحببن أزواجهن لأن نفسهن لا تسمح لهن بتقبل الحقيقة . نفس الوهم محبب لدى الأزواج . ماذا سيكون رد فعلهم حين

يواجهون الحقيقة المريرة أنه يتم خداعهم وكل ذلك يعتمد على درجة أنانيتهم وميزاتهم ومذهبهم وتربيتهم ومكانتهم الاجتماعية " . إنها خلعت ملابسها وتوجهت إلى الحمام . إنها فتحت الماء على جسدها وسمحت له ليقوم بتلصيق شعرها إلى جسدها المبتل . بعد الحمام شعرت بنشاط . إنها كانت ترغب في معاملة كل يوم جديد كيوم مفاجأة الذي يعد بتقديم خبرة مختلفة لها . ماذا إذا فشل اليوم بوفاء وعده و تركها بائسة؟!هناك دوما يوم آخر جديد . إنها تتطلع إليه يوم جديد بوعد جديد . إنها تذكرت كرشنا المبتسم الراقص وهو يغازلها وينظر إليها . تساءلت في نفسها هل يحاول ذلك الحلم أن يبشر بشيء عن حياتها الحالية ؟

تراكمت في ذهنها ذكريات مختلفة وأنه تركها لأجل فتاة أخرى وأنها طلبت الطلاق منه لأسباب هجرته لها وأنها قالت في نفسها من العجيب أنني لم أخنه أبدا عندما كنا متزوجين . ربما ليس من طبيعتي أن آخذ بالثأر . آه ليس له الآن أي سلطة عليّ وأنا لن أسمح لذكرياته أن تخيم على مزاجي البشوش .

فرحت من نفسها لأنها تمكنت من السيطرة علـــى ذاتـــها والتحقت بعمل يناسبها . غضب والديها من قرارها للعمـــل كأمين ثقافي لدى منظمة دولية في دلهي . إلا أنها كانت حتى الآن تحب عملها وأجرها وهكذا قررت عـــدم العـــودة إلـــى بومباي .

ارتدت " تاريني " ملابسها ببطء وتعجبت مـــن شـــعرها الحريري ورشاقتها ولون بشرتها . إنها كانت دومـــا تفـــرح وهي تستمع إلى الناس وهم يمدحـــون جمالـــها وســـحرها وجاذبيتها .

كانت تبدو أنيقة جدا وهي جالسة في غرفة الطعام وكانت تستمع إلى النشرة الإخبارية الصباحية من إذاعة عموم الـــهند لكنها لم تكن تصغى إليها وهي تشرب فنجان القهوة الســـاخن دون أن تتذوقه وكانت تفكر في الرسالة كالتالي " عزيزتـــي تاريني بعد كل هذه السنوات زرت بومباي واتصلت بوالديـك وسمعت النبأ المؤسف . إنك اتخذت قرارًا حكيما يا تـــاريني أنت شابة وحرة لتقرري مستقبلك . أنا أرغب في لقـــاءك . سأكون في نيودلهي لبضعة أيام . لأن ٢٩ هو يوم عطلة يوم ميلاد كرشنا أنا أرغب في لقاءك ذلك اليوم . هل تتذكريـــن

لقاءنا الأول في المعبد في يوم عيد ميلاد كرشنا بعد ذلك اليوم الخاص حدث الكثير .. صديقك إلى الأبد أرفند .

على الرغم من أنها تعجبت من الرسالة إلا أنها أدركت أن أرفند لم ينسها . شهدت على ذلك بطاقته التي بعث إليها في أعياد ميلادها.إلا أنها لم تتوقع أنه يرغب في لقاءها . لأنها تاهت في ماضي حياتها .

إنها نادرا ما فكرت في أرفند . بل إنها انتقلت إلى عالم مختلف حيث كانت تحاول فيه القيام بعدة أشياء فورًا .

كان عليها تنظيم حفلات ثقافية بالتعاون مع المجلس الهندي للروابط الثقافية أو السفارات المعنية ولقاء الباحثين والمندوبين من منظمات ثقافية من الخارج وأيضا مع زعماء الدين وخبراء الآثار والمستشرقين والأخصائيين في الدراسات الهندية . إن عملها كان حافزًا فكريًا وإن ولعها الشديد بالشئون الثقافية مكنها من إقامة علاقات صداقة مع أشخاص من بلدان بعيدة . أتي بها ولعها إلى مقربة من أناس لهم خلفيات وثقافات مختلفة . لقد تعجبت وأدركت أنه خلال سنوات قامت بتنظيم عدة برامج ثقافية دولية وندوات

.

ومحاضرات اشتركت فيها شخصيات من بلـــدان مختلفـــة . دون شك كانت تلك صداقة مناسبة ونجحت دوما في التغلب عليها .

كانت تنتقد نفسها وكانت دوما تبحث عن طرق لتحســـن عملها . لماذا كان على أرفند أن يطرق باب حياتـــها الآن ؟ ماذا كان يبحث عنه ؟ إنها افترضت أن صديقك إلى الأبـــد أرفند يعني أنه لا زال يحبها في صمت . وأنها كـــانت قـــد رفضت مقترحه وكان ذلك شيئا ماضيّا ربما هذه المرة قـــد تقبل عرضه . لقد وافق والدها على أرفند . فلم يقدرا علـــى فهم سبب رفضها له . في ذلك الحين كـــانت منبـــهرة مـــن وسامة فرندر وكانت قد أخبرت والدها أن "أرفنـــد" يحـــب المال . إلا أن والديها شعرا أن سببها غير كـــافٍ لـــترفض أرفند . بعد زواجها من فرندر أدركت أنه خائن . ثار فـــي داخلها غضب شديد حين اكتشفت أنه يحصل علـــى فتيـــات ساقطات باستمرار .

هنا وجدت نفسها تفكر في أرفند مرة أخرى صحيـــح أن أرفند كان ذكيا وقاسيا وطموحا ولكنه جاد في العمل أيضـــاً.

إن الزواج منه سيقدم لها حياة زوجية سهلة سعيدة خالية من أي شك أو حسد .

عند الساعة الحادية عشرة كانت قد أكملت عملها الصباحي . بعد وجبة الغداء أعدت " تاريني " ساندوتشات من الجبن مع الخيار ووضعتها في الثلاجة مع زجاجة مشروبات غازية بعد ذلك غاصت في نوم عميق .

استيقظت في حوالي الساعة الخامسة والنصف مساء وهي تأمل أن أرفند لا يصل حتى الساعة السادسة والنصف بعد الاستحمام ارتدت سارى من الشيفون الأزرق. كان ذلك اللون هو المفضل لهما ؟ إنه كان قد أهداها ساري من نفس اللون في عيد ميلادها الثامن عشر.

جلس أرفند في غرفة الاستقبال محاطا من أثاث وزخرفات كان يعلم أنها محببة لها . إنه تذكر في نفسه " أنها كطالبة جامعية كانت ترغب دوما في جمع تعليقات زخرفية على الحائط وكذلك التحف وما شابه ذلك ، أشعل بعد التردد سيجارة وبدأ يدخن . لدى سماع جرس الباب يدق في الساعة السادسة هرعت " تاريني " لترحب به . كان بإمكانه أن

يحصل فقط على لمحة من الســــاري الأزرق ذى التطريــز الذهبي على جوانبه .

كانت قد قالت له سأحضر إليك بعد لحظة واحدة وعــادت بعدها إلى الغرفة المجاورة لتكمل وضع المكياج .

فكر وهو يدخن السيجارة أنها أجمل بكثير من " ســـــيتا " اللون الأزرق هو اللون المفضل لها . أنا معجــــب بـــاللون الأصفر الذهبي والياقوت الأزرق لأن تلك الألـــوان تناســـب سيتا .

نظر من حوله لم يكن هناك أي شيء يعود إلى الماضي . وكان قد احتفظ بعناية بنموذج مصغر لتاج محل حيث وجــد لذلك النموذج مكانا خاصاً في مكتبته .وقفت " تاريني " عنـــد باب غرفة النوم ونظرت إليه. ثم رفعت خصلة من شـــعرها ووضعتها خلف رأسها . نظر إليها أرفند وتعجـــب لشــبابها وسحر عيونها . جلست أمامه هادئة رقيقة يشع منها الجمال.

قالت : أنا دائمًا أحب الاسترخاء والراحة يوم العطلات .

وأخبرها أن والديها أخبراه عن فرندر إنهما لازالا غــير قادرين على فهم لماذا تصرف كما فعل وكذلك أنا !إنك ذكيـة وجميلة . كان يجب عليه أن يدرك حسن حظه حيث وجــدك رفيقة لحياته .

أنا أعتقد أن فرندر يؤمن بالمثل الذي يقول " الزمن يجعل الحب يمر (Time makes love pass)[1] . كنت أشعر دومـــا بالغيرة إزاء قصص غرامه . كان يجب عليّ السماح لـــه أن يقضي أوقاته حسب رغبته دون أن أتعارك من أجل حبـــه . أنا سعيدة أن الأمر قد انتهى الآن . وردت كلماتها متقطعة .

وقف ثم جاء وجلس إلى جوارها واقترب منها . بعـــد أن شم عطرها وأدرك جمال جسمها المقـــوس ولمـــس كتفـــها ليطمئنها وهنا التقت نظراتهما.

إن السنوات عاملتك بلطف " يا أرفند " وابتعـــدت عنـــه تدريجيا لأن وجوده قريبا منها أثارها . ابتسم وهو مندهـــش للتشابه الكبير بينها وبين "تاريني" بطلة أحلامه الماضيـــة . تذكر اليوم الذي تقدم فيه لطلب يدها وكانت قد نظرت إليـــه

[1] هكذا في الأصل ( المترجم )

بتعبير غامض على وجهها ، كانت تخشى أن تعـاهده بـأي ارتباط عاطفي . حضر إلى حياتها في لحظة خاطئة . كـانت عند ذلك الوقت فتاة مرحة لها تطلعات عالية أرادت دوما أن تشرب من فنجان الأوهام المثيرة . إنها في قلبه فكـر أنـها حتى الآن هي أكثر النساء المغريات اللائى يعرفهن وامتـلأ بولع وبرغبة قوية ليمتلكها . لقد كان هناك صمت متوتـر . ضاقت جفون أرفند في محاولة لإخفاء تعبـير نظراتـه . مضت اللحظة واستعاد حالته الطبيعية. رد قائلا تمكنت إلـى حد ما من الحفاظ على سلامة جسمي . لقد كـان علـى أن أناضل بشدة حتى أصل إلى هذا المنصب التنفيذى المرموق .

ضحكت وقالت " حسناً معظم الناس يكافحون للوصـول إلى مناصب عالية "

قال وهو يمد بيده لتناول عصير الليمون " أنـا معجـب بغرفتك للاستقبال ، لا شيء من الماضي . كم أود أن أكـون مثل ذلك لازلت أحتفظ بصورتك معي . لقـد كنـت حبـي الأول، لن أنسى ذلك أبدا . الماضي لا يموت أبدا. إنه جزء منا . علينا أن نتقبل تلك الحقيقة " .

قالت له آه " ذكرى لجنوني . مزيدًا من عصير الليمـــون وأمسكت بالكوب .

" نعم إن الليمون أنعشني كثيرا "

أتذكرين أكواب القهوة الساخنة التي قدمتيها عندما كنـــت تخسرين الرهان . ضحكت وقالت عندما كنـــت أفـــوز فـــي الرهان كان عليك أن تأخذني إلى السينما " .

" تاريني عودي إلى بومباي لأجل والديك ولأجل نفسك . إنك تجدينني هناك . إن دلهي أيام الكلية أصبحت شيئا ماضيًا ." تردد وهو يحاول الابتعاد : أنا أرغب في ذلك أيضاً يـــا تاريني " أخيراً سأخطو خطوة كبيرة سأتزوج فـــي الشـــهر القادم . أنا أعلم أنك أنت وسيتا ستصبحان صديقتين، إنها من بانجلور سأنتقل حالا إلى بومباي وسيكون مـــن حظـــي أن تكوني هناك . اعديني أنك ستحضرين إلى بومباي .

قالت في كلمات جارفة لكن صوتها كان مسيطراً " يالـــها من أنباء سارة . أنا فرحة كثيرًا لأجلك . كم أود الرجوع إلى بومباي لكن لا أقدر على ذلك . " كانت غاضبة مـــن كـــل شيء. لقد كان يوم أوهام ووعود كاذبـــة . ققـــزت موجـــة

الغضب إلى حنجرتها وخنقت الكلمات التي أرادت أن تتفوه بها . كلمات ربما كانت تطعنه وتتركه جريحا . هدأت موجة الضجر فجأة مثلما ظهرت وابتسمت برقة .

إنها فكرت " غدا سيكون يوما مختلفا . "

" لا أبالي بما تقولين أو تفعلين تاريني إنك دوما ستكونين "رادا" بالنسبة لي . "

" أنا لا أريد علاقة في حياتي مثل علاقة كرشنا ورادا".

- " ربما يتغير اعتقادك . بعض من أقرباء سيتا الذين يعيشون في دلهي دعوني إلى حفل عشاء . "

- اذهب عليك أن تنساني . وتنسى علاقتنا . "

- " لا أبدا . "

خرجت معه للبوابة .

قالت " الوداع ".

- " الوداعِ ، تذكرِي أنك وعدتني الرجوع إلى بومباي .
ضحكت وقالت " هل وعدت بذلك " ؟

جلس في السيارة التي كانت تنتظره . ابتعـــدت الســـيارة وكان يبتسم ولوح بيده . لكنها لم تجيب لأن غدًا سيكون يومًا آخر .



# العقار المسجل

فقير موهان سيتا باتى*

أصدرت الزوجة أحكاما صارمة منعت الزوج من الخروج من البيت حتى فى النهار ، دع عنك أوقات المساء " إن القراءة والكتابة أو أى عمل آخر يعجبك إنما البيت هو المكان المناسب لمزاولته ولا ينبغى أن أعثر عليك فى أى مكان آخر " .

ولكن بعد أن تضرع المسكين راكعا ، رق قلب " ولوشانا " قليلاً ، وسمحت له بنزهة قصيرة فى الشارع الواقع أمام البيت ولكنه ، على كل حال كان ممنوعًا بتاتًا من أن يتجول بمنأى عن الأنظار ، ولو بالصدفة . " فلو أقدمت عليه ، إذن ينزل عليك العقاب الصارم . هل تسمع ؟ ومن خلال ثقب الباب أقوم بمراقبتك " .

وذات صبح مبكر ، رأى " شاندراماني" من بعيد وهو فى نزهته ، ولدًا يومئ إليه خلسة فأغمض عينيه وحكمهما "

لماذا؟ ليس هذا الولد إلا " يهادرك " " واهتز ببالغ الطـــرب والحبور . أومأ إلى الولد بالاقتراب منه ، وتحـــرك بنفســه متثاقلا فى اتجاهه ، وهو ينظر بنظرة عابرة إلى بابــه مَــن فوق كتف الولد ، مد يده اليسرى خلفه حذرًا ، وعينه صوب بيته ، فدس الولد ورقة فيها ، واستدار إلى الخلـــف ، ولاذ بالفرار .

أمسك " شاندرا ماني " الورقة فى كفه المطبقة بإحكـــام ، ورجع على أدراجه إلى بيته ولمح بيته متأكدًا أن زوجتـــه لا تراقبه . ثم قرأ الورقة بعجلة وجعلها جذاذا ، وألقاهــا فـــى مهب الريح .

وبعد قليل دخل البيت ونادى زوجه بصوت عذب " هـــل تسمعين ، يا حبيبتي ؟ تعالى هنا للحظة من فضلك " .

ردت عليه زوجته بصوت أجش : " حبيبتي ، حبيبتي ما أعذب الكلمات ماذا قد فعلت حتى أستحقها يبدو هذا يومًـــا سعيدًا لى . ماذا تنوى أن تقول لي ، بأية حال؟ "

"منذ الايام الأربعة الماضية ، يصيب الـــدوار رأســـي ، وتألمنى بطني ،وأحس بالوجع وبوخز الإبر في جسمي كله . إنني لفي عذاب " .

" ما هذا ؟ حيلة أخرى ؟ أنت الذي جلبت هذه المصيبـــة على نفسك. تذكر كمية المَخدرات والخمـــر وجميـــع تلـــك الأشياء الكريهة التي التهمتها.انظر مـــا فعلـــت بـــك هـــذه المسكرات . فقد اشتريت أمراض الدنيا كلها.سنحت لك ثلاث فرص للعمل ، ولكنك لم تستغل واحدة منها . وقـــد بـــددت ثروات طائلة حتى لم يعد الناس يحسنون بك الظن . إنـــي لا أعبأ بأنك خسرت فرص العمل ، ولا أكترث بـــأنك بـــددت الأموال ، فقد حدث ما كان قدر أن يحدث . كل ما أتمنـــى أن تعود إليك صحتك . قمت بمراقبتك لأربعة شهور ، وبما أنك كنت ابتعدت عن الخمور فقد بدت علامات التحســـن علـــى صحتك ، ولكن الأن تتحرق شوقا للرجـــوع إلـــى ســـيرتك الأولى " .

هيا يا حبيبتي إنه ليس ذاك . إنني لاقيت " مادها فاشاريا " قبل ثوان .

إن المنّجم الطاعن فى السن قد رسم مواقع نجومي فالعقرب والسرطان فى مواقع غير سارة ، والزحل معاد لى بصورة أكيدة ، وهذه هي النجوم التى جلبت لي كل هذه النوائب . قومي ببعض الأعمال الدينية التي تستعطف هؤلاء".

" ماذا اقترح المنّجم ؟ "

" عليَّ أن أشد الرحال إلى معابد " شيفا " بأجمعها الواقعة في " بهوبانيشوار" و " خانداجيري" و "أودياجيري" في زيارة تستغرق ثلاثة أيام ، وأن أحمل معي بعض المبالغ لأدفع إلى الكهنة لقاء صبهم مائة لا بل ألف جرة من المياه على اللورد " شيفا ". وبذا ترضى النجوم ، وتنتهي البلايا عن بكرة أبيها، وتزول عني الأمراض بسرعة ، ولا أجد الخمر أو أي شيء آخر يغويننى أبدًا " .

خطر الشك ببال زوجته ، فسألته " هل المنّجم جاء هنا ، لا أحد قال لي ذلك ."

" أوه لا ، لا . لم يجيء المنجم هنا بنفسه ، ولكن جاء ابنه " .

" ولكنه لم يرزق ولداً ! "

" أوه . لا ، لا . إن خادمه جاء بهذا النبأ " .

تفرست " سولوشانا" وجه زوجها ، وعلمت أنه كذوب لايصدق . إن كل ما يوده هو أن يتعاطى الخمور مع أصدقائه لثلاثة أيام ، ويزور بيوت الدعارة الواقعة في " تيلنجا بازار" لم تترك شيئًا من أجل إصلاحه إلا وفعلته فإذا غفلت عن مراقبته للمحة يعود إلى عاداته السيئة القديمة ، فقالت في صوت يدل على عزمها " : لن تذهب إلى أي مكان. ولن تبرح الدار على الإطلاق "

" لعلك على حق ، ما أكثر ثلاثة أيام يقضيها المرء بعيدًا عن أهله. أظن من الأفضل أن أقوم بزيارة قصيرة لمعبد اللورد " ذاباليشوار ". أخرج الآن وأرجع فى المساء ".

" لا ، لا تذهب إلى أي مكان " .

" أعطني بعض الروبيات سأذهب أتعبد في معابد " شيفا " كلها في مدينة كوتاك " .

" حسناً ! قل للخادم " ماكرا" أن يستأجر عربـــة . نحــن نذهب معا إلى المعابد " .

انصرف " شاندراماني" ، وتنفس الصعداء . فكر مليا فــي القضية ، وفي ثوان خطرت له فكرة ثاقبة حملتـــه علـــى أن يهنئ نفسه بصوت عالٍ. قال لزوجته : " هل تسمعين ! إنني لست معافى ، فلو ذهبت أزور أماكن كثيرة ربما يعـــاودني المرض . إن المنّجم قد نصحني أيضاً بأنه ، تخلصـــا مــن الأمراض ، لا أحتاج للذهاب إلى أي مكان . إنه يمكننـــي أن أعبد الإله شيفا " في البيت " .

" أي نوع من العبادة ؟ "

" قال لي المنجم أن أستلقي علي الأرض علـــي وجـــهي مسجى ببطانية كبيرة لمدة ١٥ ساعة كاملة ، منذ الآن حتـــي الساعة التاسعة مساء . وأن أقوم بالتأمل فـــى آلهـــة العـــالم جميعا، ولا أفكر فى أى شئ آخر " .

" هل هذا يرضي النجوم ؟ "

" نعم . قال لي المنجم أن هذا العمل سـوف يسترضي النجوم بصورة أكيدة . وهناك شئ آخر أيضا أخبرني بـه " . علي أن أخصص عشر روبيات للآلهـة ، وأن أضـع هـذا المبلغ تحت رأسي حين أشرع فى التأمل وبعد شهر ، حينمـا أعود سليما ، سوف نقدم القرابين للإله بهذا المبلغ ، ونطعـم البراهمة وأتباع الإله " فيشنو " .

" ألا تأكل اليوم شيئا ؟ "

" استغفر الله ! هل يمس الإنسان الطعام وهو يتأمل فـى الآلهة ؟ إنني أصوم طوال النهار ، ولا أتناول ولو قطرة من الماء " .

تنفست زوجته الصعداء ، وقالت : " كما تود . اذهـب و اشرع فى تأملك " .

" وهناك شئ آخر أيضا " قال " شاندراماني " : لا يمكـن أن يتم التأمل فى هذا البيت . إنه يحتاج إلي محيط مناسـب . السمك واللحم يطبخان دائما فى هذا البيـت ، وقـد لوثـت رائحتهما المكان . وإني لا أدعو اليوم إله عاديا ، إنما أتوجه بدعواتي إلى اللورد " شيفا " و " الإلهة " " بارفـاتي " . إن

حجرة الانتظار الصغيرة فى الجناح الخارجي للدار بمنأى عن التلوث ، كما أنها مكان هادئ أيضا . ولكن تذكري ، إذا وصل ظل امرأة إلى تلك الحجرة ، أو سمع صوت امرأة هنا فسيبوء تأملي بالفشل الذريع ، ويفسد كل شئ إني أحذرك : ينبغي ألا تقترب امرأة من ذلك الجناح " .

توجهت " سولوشانا " إلى الجناح الداخلي للدار ، وكانت كئيبة جدا لمأزق زوجها .

دنا منها الطباخ البرهمي وسألها : " أي الوجبات أعدها اليوم ؟"

أجابت : " إن مولاك صائم . فكيف يهنأ لي الطعام؟ لا طبخ اليوم".

غادر الطباخ المكان وهو يبتسم فى نفسه . ما أغرب هذه المرأة ، سيدتى ، قالت له نفسه. فحينما تتوعك صحة رب البيت قليلا تتعهد بأمره ليل نهار ، وتنسي طعامها وشرابها . ولكن حينما تغضب تهجم عليه بأي شئ وجدته أمامها ، عصا مكنسة أو شيء آخر ، وتشتمه أبشع الشتائم وأشنعها . وبالرغم من ذلك كله هى إنسانة طيبة ، ابنة رجل ثري ،

وزوج لابن رجل موسر . وقد وهبت قلبا واسعا ، إلا أنـــها سريعة الغضب ولسانها حاد كموسى الحلاق .

استدعى " شاندراماني " الخادم " مــاكرا " إلــى الجنــاح الخارجي ، وأخذ يتحدث معه بطريقة حلوة وبأسلوب سريّ : " اسمع ، يا ماكرا ! أطلب منك أن تفعل لي شيئا . ألا تفعل؟ اذهب واستلق في غرفة الانتظار مسجى ببطانيــة . ســوف أرجع في المساء .ابق هناك حتى ذلــك الوقــت ولا تغــادر المكان على الإطلاق ".

" لا ، يا سيدي " أجاب ماكرا : " لا يمكن أن أقوم بــهذا ، إن السيدة تغضب ، وتوبخني " .

" أيها الوغد ، النذل ، الشيطان ! أنت تجرؤ على مخالفــة أمري ؟ سوف أضربك ضربا موجعا " . وهدأ ، وأضـــاف يقول : " لا ، يا ماكرا ! كنت أمازحك لا غير . أنصت لي . كنت تريد زيارة عمك في " كيندرا بازار " ، أما كنت تريد ؟ يمكنك أن تغادر في الصباح، إنني أعطيك إجازة لأربعة أيام. وخذ هذه الروبيات الأربع فتمتع بها . واشتري لك قميصًـــا غدا .

لم يحتج " ماكرا " إلى مزيد من الإغراء . فقد غطى نفسه ببطانية ، واستلقى في حجرة الانتظار .

كانت " سولوشانا " كئيبة النفس فبعد أن اغتسلت أعدت سريرا في غرفة النوم ، وجلست عليه تدعو جميع الآلهة والإلاهات التي يمكنها أن تتخيلهم . ونذرت ألف قربان للورد " دهاباليشوار" . وهتفت قائلة : " يا أيتها الأم " كوتاك شاندي " ! يا أيتها الإلاهة كالي من كاليجالي ! امنحي الصحة لزوجي . إننى أقدم إليك ساريين ( ردائين ) أسودين ، وأذبح لك خروفين أسودين".

استمرت الدعوات وانقضت تسع ساعات . أخذت " سولوشانا " تفكر فيما يتناوله زوجها بعد الفراغ من التأمل . الأرز مستحيل تماما .إنه لا يأكل إلا الفواكه . ولذا أعدت وجبة تتضمن الموز والجبن واللبن .

أطلت إلى الخارج ، ورأت الظلال الممتدة ، فشعرت أن النهار يوشك أن ينتهي وضوء الشمس قد رجع إلى السطوح. وبما أنه لم تكن لديها أعمال تقوم بها فصارت تمشي مضطربة قلقة حول الدار.

لما دنا المساء ، اقتربت من غرفة الانتظار بحذر . فعـــاد إلى ذاكرتها تحذير زوجها ألا يصل ظل امرأة إلى الغرفـــة . نظرت إلى قدميها . لا ، إنه لم يصل ظلها إلـــى الغرفـــة . وأغلقت فمها بمؤخر ساريها لكي لا تنفلت كلمة من شـــفتيها ودفعت الباب فانفتح شيئا .

كان الظلام على الغرفة . وكان زوجها حينئذ مستلقيا فـــي التأمل ." واحسرتاه ! كم تكون مصيبته ؟ يا الله !اشفه مـــن أمراضه ، وكره إليه جميع المسكرات .

يا أيتها الإلاهة كالي ! إني أنذر أن أذبح خروفـــاً أســـود وديكا أسود على مذبحك " . ومست الأرض بناصيتها مبتهلة متضرعة مرات عديدة .

ودفعت الباب دفعا ، ودخلت الغرفة ، فوقع قدها مباشـــرة على وجه زوجها . فعضت لسانها بسرعة ، وارتـــدت إلـــى الوراء . " واحسرتاه ! أي ذنب ارتكبته ! وانفجرت الدمـــوع من عينيها . وأخذت تدعو بيدين متضرعتين طالبـــة عفـــو الزوج والآلهة . ثم مشت ببالغ الحذر والاحتراس في الغرفة،

ومست قدمي زوجها بناصيتها ثلاث مرات . وحينما فعلـــت ذلك بدا أن البطانية ترجف بشدة .

" واحسرتاه ! واحسرتاه ! تمتمت في نفسها . " إنه ينضح عرقاً " . ونشفت بمؤخر ساريها قدميه وظهره . ولكن إذا بها أمام مفاجأة حينما دنت من وجهه ، شارب زوجها . بحثــت عنه مرتين أو ثلاث . لم يكن الشارب تماما فـــي مكانـــه . فازداد شكها ، وفتحت الباب على مصراعيـــه ، وطرحــت البطانية جانبا. وما شاهدته جعلها تثب إلى الوراء ، وتصيــح في غضب : " أيها الخسيس الكريه ، يا ماكرا " لماذا تنـــام هنا؟"

ماذا يمكن أن ينطق به " ماكرا " فقد قام بجانب الجــــدار بيدين مطوقتين ، وهو يرتجف كأنه لص تم القبض عليه ؟

أنهك الصياح والصراخ قوى " سولوشانا " في وقت غـير طويل . ففكرت في نفسها أن هذا الصياح لا يجدي شـــيئا . لابد أن أصل إلى كنه القضية ولذا من الضروري أن أكسـب ود " ماكرا " . فقالت متوددة : " يا ماكرو ! كنـــت تريـد زيارة عمك ، أما كنت ؟ ارحل غدًا . خذ هـــذه الروبيــات

الأربع لمصاريفك لشراء الحلوى وغداً أهبك طاقم مـــئزر " مانيا باندي " ، فتخلعهما على جسمك . لاتتبس ببنت شـــفة ، واذهب واجلس بهدوء في ناحية المطبخ " .

كان " ماكرا " يتوقع أن سيدته تضربه ضربا موجعـــــا . ولكن ما هذا ؟ فقد منح أربع روبيات ، ثم وعد طاقماً مـــــن المئزر ، فطار على جناح السرور .

إن الروبيات الأربع التي كان أعطاه سيده إياها كان قـــد وضعها في ثنية مئزره . أخرج تلك الروبيـــات ، وأضـــاف إليها ما ظفر به الآن . وعد العملات النقدية مرتين أو ثـلاث ثم دس روبياته الثمان في ثنية مئزره بحيطة كاملة وذهـب ، واختفى في ناحية من المطبخ . وحلت " سولوشانا " محله في حجرة الانتظار .

وفي الهزيع الأول من الليل ، جاء " شاندرماني " بـــهدوء وقد بلغ منه السكر كل مبلغ . كانت قدماه غير مســـتقرتين ، وكلامه غير واضح. ودفع الباب فانفتح على مصراعيـــــه ، ورأى " ماكرا " مستلقيا على الأرض ففرح غاية الســرور ، وشرع يرقص ويغني :

" يا ولد ! ما أطيبه من لهو هنيئ ! تناول المسكر والأفيون ! قم يا ماكرو، يا أخي ! أحسنت يا ماكرو ! زميلي م ك روم . قم . قم . الآن من يخاف أخا الزوجة أو أخت الزوجة ؟ أوه ! ما أحسن المتعة التي حظيت بها اليوم ! كيف لي أن أصوغها فى الكلمات ؟ إن سيدتك ليست أفضل من وصيفة . فقد أوثقتني بحبل منذ شهرين طويلين . " وحلقومي كان قد جف . لكن فى يوم واحد قد ذقت اللذات كلها التي كنت حرمتها منذ شهرين . هل أخبرك عنها ؟ عن تلك الغانية ؟ إننا لم نلتق اليوم فحسب ، بل بدأت علاقاتنا قبل ثلاث سنوات ، حينما جاءت لترقص فى بيت " جوبال بابو " . أوه ! كم كانت فاتنة ! هل تدري اسمها ؟ اسمع ، إن اسم سيدتك " سولوشانا " ، " سولو " ينبت فى البرك ، و " شونا " يستخدم فى صنع الكعك . أوه ! أي اسم مبتذل حقير هذا . ولكن اسم عشيقتي " عثمان تارا " . إن خلقها دمث كما أن اسمها حلو . انظر يا ماكرو ! كم هي فطينة ومراعية

لشعور الآخرين – إنها لا تنسي أصدقاءها القدامــي . فقد أرسلت فى طلبي حالما حلت فى مدينــة كوتــاك بالأمس . حينما نظرت إليها هــذا المســاء داخلنــي الشعور أني وجدت خزينتي الضائعة . وهي أيضـــا غامرها السرور و انفجرت ضحكا وسرورا .

وبدأت مأدبة " الغانجا " والمسكرات حالما استقرت علي فراشها . فقد كان كل شئ أعد مسبقا " براعــم الغانجا المدقوقة ونارجيلة الأفيون والخمــور فتحنــا زجاجات الخمر . ولم تكن الخمر الحقيرة " أسكا " بل كانت معتقة مستوردة من الطراز الأول . لو ارتشفت كوبا واحدا من ذلك الخمر لعلمت أي نوع كان . نحن معا أفرغنا الزجاجة فى وقت غــير طويــل . وقــد شربناها قحة لم تشعشع بقطرة من الماء . إن ســيدتك تعد كل يوم وجبات من " بوري " و " ســـادابهاجي " و" كهير". ما أكرهها من أكلة هذه ! وهي لا تصلــح إلا للقطط. أما " عثمــان تــارا " فقــد اســتضافتني بالحمص المقلي المملح والسمك المشوي . وهذه هــي

الوجبات التي تصلح للخمر فأكلت بنهم ملأ بطنـــي . تذكر كيف احتلت علي سيدتك ، و ظفرت منها بعشر روبيات ؟ وهل يذهب امرؤ صفر اليدين إلى أمـــاكن الملذات هذه؟ إن " عثمان تارا " صرفت وجهها عنـــي حينما وضعت عشر روبيات بين يديها . لست مغفـــلا مثل سيدتك . إنني امرؤ ذكي ، كما تعلم أحسســت أن " عثمان تارا " اعتبرتها مبلغا بخسا بعيدًا عن القبول. وكيف يمكن لها أن تقبلـــها ، وهـــي تكســب مئـــات الروبيات كل يوم ؟ فوعدتها أني سوف آتيها بالمائـــة روبية غدا . ضحكت وقالت : " وهل أحفل بالمـــال ؟ إنما هو أنت الذي أريده " . حقا ، وهل تكترث حقـــا بالمال ؟ إن كل ما تبغي هو السرور واللذة ، المـــال لديها حبة خردل ، فهي تملك منه الكثير. ولكنني أفـــي بوعدى ، وأعطيها المائة روبية .

إن وعد الشريف وعاج الفيل كلاهما غـــير قـــابل للكسر وهل تعلم من أين أحصل علي المائة روبيـــة ؟ إن سيدتك قد ادخرت مبالغ ريع العقار مغلقـــة فـــى

صندوق . سوف أفتحه بقضيب من الحديد ، وأسـرق منه مبلغا كبيرا . وقد سرقت منه فعــلا مرتيــن أو ثلاث . ولا يخطر هذا علي بال سيدتك ولا بال أبيـها وجدها . هناك أموال طائلة فى ذلك الصندوق . ليتني ظفرت بها كلها ، فأستطيع أن أغرق جزءا كبيرا مـن مدينة " كوتاك " فى فيضان من السكر واللــذة . كـم أتمني أن تتجرع سيدتك كأسا من الخمر فتسـتطيع أن تشاركني عالم اللذة هذا . إن " عثمان تارا " هي التي تعرف هذا العالم . أما سيدتك فهي دمية من الخشب . إن الخليط الفاكهي الشهي الذي ابتلعتــه اليـوم مـع المشروبات لم يكن حتى ليذوقه أبو سيدتك في حياتـه

وثبت " سولوشانا " علي ركبتيها ، وطرحـــت البطانيــة جانبا. وقالت غاضبة " ماذا قلت ؟ ماذا نطقت به ، يا أيــها السكير؟ أكلتك الغرابيل ! أين كنت طوال النهار ، يـا أيــها الوغد . ثم من هي عثمان تارا ؟ "

تجمد " شاندراماني " خوفا . وقال متلعثما : " لا، لا . لم أذهب الي أي مكان . قبل لحظات ذهبت إلى الخارج للبول . أقسم ويدي علي رأسك " .

انفجرت زوجته تقول : " يا أيها الكاذب ، هل تمس رأسي، هل تتمنى أن أموت ؟ "

كانت مكنسة مطروحة علي الأرض ، التقطتها ، وأخذت تضربه بها وقعت الضربات علي رأسه وظهره ويديه _ علي كل عضو من أعضائه .

لم يطق " شاندراماني " الألم ، فحاول الفرار ، ولكنه تعثر ووقع علي الأرض ، وأمطرته بالضربات المتتالية .

ولما أنهكت قوي " سولوشانا " ذهبت إلى الجناح الداخلي، وسقطت فجأة علي الأرض ، وأخذت تبكي وتدعو بعجز وإلحاح : " يا الله ! اغفر لي . إني أضرب سيدي ، زوجي . ارتكبت ذنبا رهيبا . اغفر لي ، واهد زوجي إلى الصراط السوي " .

مضي الليل . خرجت " سولوشانا " من الجناح الداخلـــي ، ووجدت أن زوجها لا يزال متمددا علي الأرض حيث كانـــا يتناولان الطعام . إن تأثير الخمر كان قد زال عنه ، ونســـيم الصباح العليل أسلمه إلى نوم عميق ، فكان يسمع له شخير . ولاحظت أن المكنسة قد تركت أثار التورم علي جسمه كله ، وكان الدم قد تجمع فى بعض الجروح . " مـــاذا فعلـــت ؟ : صاحت و قلبها يتفطر ألما . " إني أضرب سيدي ، ومـــولاي بمكنسة ! أي حظ نحس سيصيبني ؟ " ودعت الآلهـــة مـــرة أخري ، وطلبت منهم العفو والغفران وفاضت الدموع علـــي خديها . وجاءت بزيت السمسم فى كوب وأخذت تدلك بلطف مواضع الورم فى جسمه كله .

استيقظ " شاندراماني " متأخرا فى الصباح . فتح عينيـــة فرأي زوجته جالسة بجانبه ، فدخله الذعر . من يدري أنـــها تضربه بالمكنسة مرة أخرى ؟ كان قد استيقظ تماما ، ولكنـــه بقى متمددا مغمض العينين ، وهو يتظاهر بالنوم . ثم اختلس النظر إلى وجهها . فلاحظ أنه لم يكن عليه أثر للغضـــب . كانت عيناها تطفحان بالدموع ، وهي تدلك الزيـــت بلطـــف على رجليه .

علمت " سولوشانا " أن زوجها قد استيقظ مـــن النـــوم ، فأمرت بجلب أربع جرات مـــن المـــاء ، وســـاعدته علـــى الجلوس، وجعلته يغتسل جيدًا . كانت الخمر قد تركت فيـــه شعورًا محرقا ، ولكن الماء البارد قد خفف ألمه الآن . ومـــا فتئ جالسًا مغمض العينين كتمثال من الحجـــر. فســـاعدته زوجته على تغيير ملابسه . والطباخ أعد المائدة وســـاعدته زوجته على تناول الطعام ، ثم أضجعته بلطف على الفراش. وهي نفسها لم تكن أكلت شيئا من الأمس . وكانت تواصـــل البكاء ، وتطلب من الآلهة العفو لذنبها.

لم يتبادل الزوجان أي كلمة طوال النهار . والخدم أيضـــا التزموا بالسكوت .كانا يستحييان من أن ينظر أحدهما فـــي وجه الآخر. فقد كان الشعور بالذنب يعذبهما . فكان يتمنيـــان أن يصلحا ذات بينهما . أقسم " شاندراماني " أنه منذ الآن لن ينظر إلى جميع المسكرات إلا بنظرة مثيرة للاشمئزاز .

مضت ستة أشهر .لاحظ الجيران والأقرباء والأصدقاء أن دار "شاندرا ماني " هادئة في هذه الأيام بصورة غير عادية . فلم يتشاجر هو وزوجته كما كانا يتشـــاجران كـــل صبـــاح ومساء. بل كانا يجلســـان . ويتجاذبـــان أطـــراف الحديـــث

مسرورين ، ويطالعان الكتب . فكانا يقرءان المجلات مثـلى " اتكال " و " ساهيتا " و " موكور " وديبيكا " .

كان " شاندرا ماني " قد استعار في الماضي مبالغ هائلـــة لقاء سندات إذنية . والآن كان قد تم أداء نصف قروضـــــه , ولم يكن يتحرك من بيته ، وحتى حين كانت زوجته تكرهـــه على الخروج ، أو حين توجه إليـــه دعـــوات المســـرحيات وحفلات الرقص . وبين حين وآخر كانا يركبان في العربـــة ويزوران المدينة .

كان أهالي المدينة يثيرهم التعجب من مجريات الأمـــور : ماذا حدث! فقد تذكروا أن أبا " شاندرا ماني " الإقطـــاعي " شيام بتانايك " كان قد عين مدرسين خصوصيـــن لابنــه . وكان " شاندرا ماني " طالبًا منتظمًا في المدرسة . ولكن ماذا تمخض عنه كل هذا ؟ التقى بعشرة من أصحـــاب الســـوء ، وصار سكيرًا .

كان ذهنه دائما ممتلئا بالأفكار الفاحشة ، وكان يختلف إلى أماكن الفحشاء . ويصاحب المعربدين وذوي الخلق الذميـم . أشار بعض الناصحين على أبيه أن الزواج قد يغير حاله إلى

الأحسن ، فعقد الإقطاعي قران ابنه على البنت الوحيدة لـــ " رام كرشنا موهاني " " سولوشانا " الجميلة الكيسة . ولكـــن حتى بعد الزواج لم يعدل ابنه عن طريقته ، واستمر يســـرق المال من البيت ويبدده . ولم يكن يحفل بتوقيع سندات إذنيـــة لمبالغ أكثر بقليل مما كان يستعيره فعلاً .

ولم تهمه داره وإقطاعيته شيئا. أحس الإقطاعي الطـــاعن في السن أن ابنه الضائع وبحالته هذه ، سوف يبدد ممتلكاته ، فأوصى بها لزوجة ابنه السيدة " سولوشانا ديفـــي " ولكـــن وصية أبيه ونصيحة زوجته لـــم يؤثـــرا أيمـــا تـــأثير فـــي شاندراماني ". تعجب أهالي المدينة : أي شيء حدث جعلـــه شخصا سويا لا حظ " جوبي بابو " ظريف المدينة " ملاحظة بارعة فقال " قد حدث هذا لأن زوجتـــه قـــد صبـــت عليـــه ضربات موجعة بالمكنسة في تلك الليلة قبل ستة أشهر .

وأن علاج المكنسة يمكن أن يشفي من الامـــراض مثـــل الإدمان والفسوق " فضحك " شيام غانا بوبو " وقال " كيـــف أن هذا العلاج لم يوصف فى علم الطب الهندي أو الأجنبي .

أجاب : "جوني بابو":

ألا تفهم ؟ إن هذا من ابتكار السيدة نفسها إنـــــه عقارهـــا المسجل ".

# الريـــف

ام . موكونداان*

وصل " نانو ناير " ماشيا على قدميه ومتوكئا على عصاه إلى بيت " جنجا دهاران " للقائه عندما بلغه أنه يريد السـفر إلى الخارج ، ونظرًا إلى طريقة مشيه شكك النـاس الذيـن رأوه فيما إذا كانت العصا ترشده أو أنه بنفسه يرشد العصا . كانت السن المتقدمة قد غلبت عليه فجأة وهو في الواقع لـم يكن يبلغ من السن ما يحتاج فيه إلى الاستناد إلى العصـا . ويقول الناس عامة أن ابنته " بريما " هي التي قـد جعلتـه طاعنا في السن إلى هذا الحد قبل موعده .

أ ما " جنجا دهاران " فكان يحس في داخله بأن " نـاير " سوف يأتي لزيارته ولذا لم تتملكه الحيرة حينمـا رآه قادمـا إلىبيته . فخرج إلى فناء الدار ، وأمسك بيده لمساعدته وأخذه إلى الرواق وجعله يجلس على الكرسي .

أدار "نانو ناير "ناظريه يمينًا ويسارًا وأصبح يشعر فجـــأة بثقل العصا ذات المقبض الملتوى والذي كان سندا لــــه منـــذ وقت طويل وأدرك " جنجا دهاران " هذا الأمر فــــأخذ منــــه العصا ووضعها على منضدة وجلس عليها.

" من أين جئت يا نانونابر ؟ "

" من البيت : "

" أوه ... في الشمس ... كـــان يمكننـــي أن آتيـــك لـــو أخبرتني على الهاتف ؟ " لم يدرك " جنجا دهاران " حماقتـــه إلا بعد أن تفوه بهذه الكلمَات حيث لم يكن هناك جهاز للهاتف في بيت " نانو ناير " أو في إحدى البيوت المجاورة .

ونادرا ما كان يوجد في هذا الحي بيت يكون فيه جـــــهاز للهاتف وإن أقرب بيت يذهب نانو ناير إليه بسهولة لمكالمـــة هاتفية بيت " جنجا دهاران " نفسه . ويعني هذا أنه إذا كـــان " ناير " يريد اتصالاً هاتفيا معه فكان عليه أن يأتي إلى بيته .

كانت لاثا – زوجة " جنجا دهـــاران " – داخـــل البيـــت وعندما شعرت بقدوم زائر ارتدت عباءة واختلست النظر من النافذة وسألت :

" هل تريد أن تشرب كأسا من الهورليكس . "

" من فضلك أعطني شيئا من ماء الأرز مع القليـــل مـــن الملح "

" إننا لم نعصر بعد الأرز المغلي "

" إذن لا أحتاج لشيء "

كان " نانو نايز " عطشان بشدة بسبب المشي تحت أشـــعة الشمس ولكن العطش في حلقه لم يكن مشكلة بالنسبة له على الاطلاق فكان ذهنه مضطربا بعطش أكبر. ورغـــم كونـــه جالسا على الكرســـي شـــعر مرتيـــن بالاحتيـــاج لاســـتناده إلىالعصا.

حاول " نايز " أن يقول شيئا فنظف حنجرته مرتين ولكـن لم تخرج كلمة من فمه . وعندما رأى " جنجا دهاران " هـــذا الاختناق الذي كان فيه نانو نايز لم يطب له هذا المنظـــــر ، فوقف من مقعده وسار في الرواق بخطى سريعة لعدة مرات.

" هل جئت بالعنوان ؟ "

" نعم "

أخرج نانو ناير من جيبه قطعة ورق بالية متجعدة . نظر جنجا دهاران فيها مرة وتساءل ما إذا كان العنـــوان ورقـــم الهاتف صحيحين بلهجة تنم عن الشك " لو نفترض أن هـــذا العنوان صحيح فكيف يمكنني الوصول إلى " ألبى " في ذلـــك البلد الاجنبي ؟ " ولكنه لم يظهر هذه الهواجس التي كـــانت تختلج في ذهنه بل قام بمواساته قائلا : " سوف أبذل كل مـــا باستطاعتي من جهد " .

حياه نانو ناير " بيديه وانحنى نحو الأمام كأنه يريـــــد أن يلمس قدم جنجا دهاران احتراما وعرفانا بالجميل .

وعند المغادرة احتاج لمساعدة " جنجا دهاران " للنـــهوض من الكرسي .

وعندما رأى جنجا أن نانو يترنح ويستند إلى العصا تنفس الصعداء. ولم يغب نانو عن عينيه إلا بعد وقت طويل حيـــث ظل يمشي في الطريق مع التوقف عدة مرات للتقليـــل مـــن تعبه.

مازال شكل نانو ناير مرتسما غير متلاش في ذهن جنجا.

كانت أسرة نانو ناير أسرة سعيدة تعتمد في عيشها على مرتب ابنته " بريما " التي كانت معلمة في إحدى رياض الأطفال إلى جانب دخل قليل يحصل عليه من المحاصيل الزراعية . ولكن كل شيء انتهى في لمح البصر وذلك بسبب " ألبى ."

كان ذلك بعد الظهر في ٣ أكتوبر ١٩٨٨ م عندما نزل " ألبى " أولا على شاطيء نهرالقرية من سفينة صغيرة مع أطفال المدرسة ، وفي الرياح الآتية من جهة النهر كان شعره الذهبي مائلا نحو اليمين وعينيه الشفافتين مثل البلور ، كان ينظر حوله نظرة الحيرة والمرح حيث كانت حقول الأرز بمياهها الفائضة والمترامية الأطراف والأكواخ ذات سقوف مصنوعة من القش تتيح له مشاهد نادرة وغريبة . دخل حقول الأرز مع أطفال المدرسة وبدأ يمشي ، وإن كان المشي عبر الممرات الوحلة الزلقة مع الحفاظ على التوازن لم يكن أمرا سهلاً بالنسبة له . ضحك الأطفال عندما رأوه يتحرك نحو الأمام بصعوبة وهم كانوا يعبرون نفس الطريق حاملين على ظهورهم حقائب مثقلة بالكتب المدرسية كأنهم كانوا يريدون إظهار براعتهم وتفوقهم أمام ذلك الأجنبي.

وهو أيضا كان يحمل على ظهره حقيبة ألصقت بها بطاقــات شركات الخطوط الجوية .

بدأ يعدو مع الأطفال الثرثارين وكان الجميع يعتقــد أنــه سيسقط حتما في مياه الحقول أو على الطرق الزلقة ، ولكنــه لم يسقط وبدا كأنه تعلم العدو على تلك الطرق فــي بضــع دقائق .

عندما عبر الأطفال حقول الأرز تركوه واحــدا واحــدا وسرعان ما أصبح " ألبي" وحيدا . مشي علي امتداد الريــف وتلوح الدهشة والحيرة من عينيه الزرقاوين . وعندما اقترب الليل اشتري موزا وزجاجة من الصودا من دكان قريب . أما تفكيره فى كونه فى أرض أجنبية وأن الليل قد أسدل بدون أن يكون له مكان للاستراحة فلم يقلقه إطلاقا . وبعد قطع مسافة قليلة أخري ذهب إلى دار المطالعة الريفيــة وجلــس فــى الرواق. كان الشارع خاليا إلا من سيارة أو عربة كانت تمــر به علي فترات طويلة.

أخرج حقيبة النوم من حقيبته الكبيرة التي علــي ظــهره وبسطها علي الأرض ثم دلك المرهــم المضــاد للبعــوض

والحشرات الأخرى على جسده واضطجع سويا . وكانت أضواء السيارات التي تمر بين الحين والحين تخبو لتوها . وعندما نزل المطر بعد نصف الليل تقريبا تيقظ وفتح حقيبة النوم ودخل فيها وعاد إلى النوم .

وفى الأيام التي تتابعت شهد الناس تلك الحقيبة فى أملكن مختلفة من أروقة الحوانيت وتحت الأشجار والمروج.

" ينتمي الي عائلة كريمة بدون شك . انظر إلي ما هناك، من أناقة وجمال علي وجهة " قال نانو نابر".

" ألم يأت إلي ريفنا من عبر البحار . كيف يمكننا إذن أن ندعه لكي ينام فى الشوارع بهذا الشكل ؟ " تساءل المعلم " تشاثو"

" إن مخزني خال ، دعه ينام فيه أثناء الليل " قال نانونابر"

فى ذلك المساء جاء نانو والمعلم " تشاثو" "بالبي" إلي المخزن فأكل الأرز المسلوق وشوربة الزبادي التي قدمتها له والدة " بريما " تلك الليلة وتلذذ بها كثيرا . لم يكن بالبيت الكهرباء ورأت " بريما " ذلك الرجل وهو يجلس ويقرأ فى كتاب حتي منتصف الليل فى ضوء مصباح . جلس مندهشا

ينظر إلي " بريما " التي أرخــــت شــعرها وأســدلته بعــد الاستحمام فى الصباح ووضعت زهرة عليه وتوجهت نحــو المدرسة وفى يدها مظلة جميلة .

" أى حماقة ارتكبت أنت يا نانو ناير ؟ كان عليك علـــي الأقل أن تفكر فى أمر ابنتك الشابة التي قــد دخلــت ســن الزواج. ولا شك أنه يبدو مثل المسيح ولكنني مع ذلك أقــول أنه لا يمكن أن نثق بأحد من هؤلاء الناس . وربمـــا يكــون متورطا فى تجارة المخدرات . ومن يعرف الحقيقة ؟ " قـــال أتشو موثالالي " بلهجة غاضبة .

عندما سمع ذلك قال تشاثو المعلــم الــذي كــان رئيــس المجلس القروي أيضا " عزيزي موثالالي " هل قريتنا هـــذه ستهلك لو يعيش أجنبي معنا ؟ هل تعرف كم بلدا فى العالم قد سمح لأخوتنا من المواطنين بالاستقرار علي ترابه؟

كم بلدا من تلك البلدان أصيب بالهلاك والدمار ؟ هل تريد أن يطرد هذا الشاب الأبيض اللون من هذا الريف ؟ تصــور ماذا سيحدث لأخوتنا فى تلك البلدان لو يطالبون بـــالخروج منها .

بإمكاننا أن نذهب الي أي بلد فى العالم ... سنغافوره أو دبي أو أمريكا أو الي أي مكان أخر وعندما يأتي رجل أبيض اللون إلى قريتنا فإننا لا نسمح له بالإقامة لدينا ! علينا أن نعي بالتغيرات التي تحدث علي الساحة العالمية . قد غيرت العلوم والتكنولوجيا حياتنا وجعلتها مختلفة تماما عما كانت عليه فيما قبل . وبعد مضي وقت قليل سوف لا يكون هناك أي فارق بين هندي وأمريكي وسوف تغيب الحدود التي تفصل بين بلد واخر وسيتحول العالم كله الي بلد واحد ... الأرض ... وسيكون هناك دين واحد ... بين الناس " .

" لعن الله ذلك " " قال أنشو موثا لالي " ليس عندي وقت للاستماع إلى وعظك ، علي أن أصل إلى قرية " فادا كلرا " قبل مجيىء الليل " .

أدار وجهه الي " نانونايز " واستمر فى الكلام " لا بد أن تطرد ذلك الولد من المخزن فى أقرب وقت ممكن وإلا فسوف تندم " .

سوى أنشو موثا لالي لباسه وأحدث صريرا بحذائه وخرج من المكان مسرعا .

" ماذا يجب أن أفعل أيها المعلم ؟ إن رأسي يدور "

" لاتفعل شيئا الآن . بعد بضعة أيام سيتخذ الولد الأبيض طريقه للعودة وحتي ذلك الوقت دعه ينام فى المخزن .هل يسبب مشكلة لأحد منا ؟

" إنه رجل حليم "

" علينا أن نختلط مع الأجانب يا " نانونابر " . إن رجالا مثل أتشو موثا لالي يظنون أن العالم لا يمتد وراء نهر القرية . إن نظرتنا تجاه العالم يجب أن تتغير .

وكما نذهب الي البلدان الأجنبية دع الأجانب يأتوا إلى بلدنا أيضا "

سأدع الولد الأبيض يقيم فى مخزني طالما يشاء الإقامة فيه " صرح نانو نابر ".

ألبي لم يكن أبدا مشكلة لأي واحد من سكان القرية . كان ينام حتي الظهر ويحتاج لكأس من القهوة السوداء عندما يستيقظ من النوم . وفى البداية كان يقدمها له نانونابر نفسه ثم تولت والدة بريما هذه الوظيفة .

وبعد تناول القهوة كان يذهب الي النــــهر ويغيـــب حتـــي المساء وهو يلبس دائما سروالا باليا وقميصا متجعدا ، ولــــم يكن يحلق لحيته كل يوم بصورة منتظمة ومع ذلــــك كــــان يظهر كأنه ابن إله . أما الوجبات الغذائية فلم تكن مشكلة لـــه حيث يكتفي بتناول الموز والصودا . وحيثما يذهب كان يعود إلى الريف قبل الليل ثم يقرأ حتي الفجر فى ضوء المصباح . وعادة كان يقرأ القصص البوليسية والروايات الغرامية وكتب الرحلات . كان عدد الكتب التي يطرحها جانبا يزداد يومـــــا بعد يوم .

وذات يوم ذهبت " بريما " الي المعبد للعبـــــادة ودهشــــت عندما رأت هناك ألبي الذي كان يتظاهر بأنه قد دخل فنــــاء المعبد عن غير قصد .

لاقي " نانونابر " توبيخا قاسيا من " أتشوموثولالي " عنما التقيا في الطريق .كل واحد يلومه وقد بدأ الجميع فى نشــــر إشاعات مخزية ، وإذا كان هناك أحد يؤيده فهو المعلم تشاثو دون سواه.

" هل الله أيضا ينتمي الي طائفة أو دين ؟ " سأل المعلـــــم "تشاثو موثالالي " . إن الله لن يغضب علي دخول ولد أبيض الي المعبد وأن الآلهة لا يملكون عقولا صغيرة مثل عقولنا ."

"هناك معابد للـــــهندوس ومســـاجد للمســلمين وكنـــائس للمسيحين .. هذ هي القاعدة العامة ."

" وماذا لمن لا ينتمون إلى هذه الفئات ، أين يمكنـــــهم أن يقوموا بالعبادة ؟"

" لا حاجة لهم للعبادة وأنا لا أريد أن أستمع إلى خطبتكـم حيث يجب أن أصل إلى السوق قبل الظلام ."

مشي موثالالي وهو يهز عقبه تألما من مرض البواســـير الذي يعاني منه .

كان نانونايز مشوش الفكر وإن كان احترامه لالبي الـــذي لم يكن يزعج أحدا لم يتضاءل شيئا ، ولكن الناس ما زالـــوا يضايقونه وأصبح نانونايز يخجل منهم حتي أنه امتنع عــــن الخروج من البيت وكان أنتشو موثالالي يكشر فـــــى وجهــه كخنزير ذي ناب عندما يلقاه فى الطريق .

مضي بعض الوقت علي هـــذه الحالـــة . أثنـــاء موســـم الاحتفال أصبح فناء المعبد مليئا بالأنوار وحشود من النـــاس الذين جاءوا هناك للعبادة وأصبحت الأزقـــة مليئـــة بـــروث الأفيال . كانت المشاعل تومض طول الليـــل ورقصـــات " كاثاكلي " تنظم الحضور . وفي إحدى تلك الأيام وقفت والدة بريما ووجهها يتوقد من شدة الغيظ والانفعال .

كانت بريما قد فرت من البيت مع " البي " تاركة وراءهـا رسالة .

بدا نانوناير كأنه تقدم فى العمر عشر سنوات فـــى يـــوم واحد . ضعف بصره فجأة ، تورمت قدماه من لمس الأرض ودب إحساس مزعج فى العمود الفقري مثل زنبرك أصابـــه الصدأ .

ذات يوم استلم " نانوناير " رسالة ففتحها بيديه المرتعشتين فوجد أنها من ابنته بريما حسبما كان يتوقع.

والدي وأمي أفيدكما بأننا – أنا وألبي – فى حب ونـــزور مراكز سياحية مختلفة وبعد شهر ستنتهي صلاحية تأشـــيرة

ألبي وعندما سيعود ألبي إلى بلاده فإني أيضا سأذهب معـه . أرجو منكما العفو والمباركة .

كانت الرسالة أرسلت من مكان يدعي " جوبـــال بـور " المطلة علي البحر وكان " جنجا دهاران " يخطط للسفر إلـــى الخارج للمشاركة فى ندوة حول أشكال الفن القديمـــة شـبه المتلاشية فأعد بحثا حول " كوتي ياتام " أقدم أنواع المســرح المنقرض تدريجيا . وقرر أن يغتنم هذه الفرصة للعمل علـــي تكوين لجنة في الخارج للحفاظ عليه . وفيما سبق كـــان قـد تلقي عرضا بمساعدة اليونسكو لمثل هذا المشروع ، وكــــان المجلس الهندي للعلاقات الثقافية قد تبني زيارته لذلك المكان. وبعد إعداد بحثه خرج إلـــى الســوق مـــن أجـــل طباعتــه بالكمبيوتر وبعد يومين سافر إلى بومباي للحصـــــول علـــي التأشيرة وبدأ رحلته الجوية _ وودعتـــــه زوجتـــه " لاثـــا " والدموع فى عينيها .

كانت حصيلة الندوة وراء توقعاته حيث تدفقت عـــــروض المساعدة من كل جهة فى الحفـــاظ علـــي " كوتـــي ياتـــام " فعرضت شركة للكمبيوتر فى ميونيخ تقديم المساعدة التقنيـــة فى إعداد قرص مدمج بالذاكرة حول هذا النوع من المسرح.

كما عرضت مؤسسة خاصة فى هولندا تقديم التذاكر الجوية مجانا لفرقة هذا المسرح لزيارة أوروبا . وبناء علي ذلك شعر جنجا دهاران بارتياح كبير وذهب إلى كالايس (calais) بالقطار . وقرر أن يأخذ سفينة من كالايس إلى دوفير ( Dover ) اذ أنه كان شاعرًا بطبعه يشتاق إلى مشاهدة الطبيعة. كان ذلك يوم الجمعة وكانت السفينة الصغيرة حافلة بمن كانوا يذهبون إلى إنجلترا فى نهاية الأسبوع للاستمتاع بالعطلة الأسبوعية . كان الطابق الأرضي للسفينة مليئا بسياراتهم وما زالوا مشغولين بالمرح واللهو طول الليل وكانت العلب والزجاجات الفارغة للنبيذ والخمر تطفو علي ماء البحر . وحالما وقف جنجا دهاران علي سطح السفينة متفرجا علي البحر أصبح فجأة يفكر فى أمر نانونابر وابنته .

وصلت السفينة إلى ميناء دوفير عند الفجر وكانت الأجراف البيضاء التي عرفها من خلال الأغاني والقصائد أمامه مبتلة ولامعة فى ضوء الشمس وقت الصباح وعندما ألقت السفينة أمراسها نزل الركاب الذين قضوا ليلهم آكلين وشاربين وراقصين تاركين النوم وركبوا سيارتهم التي كانت واقفة فى الطابق الأسفل للسفينة ولكن جنجا دهاران كان

مختلفا عنهم حيث يعوزه ذلك الحماس وتلك البهجة وإذا كان هناك شئ أمام عينيه فهو وجه "بريما " الملطخ بالدموع الجافة والظهر المنحني لأبيها نانونايا مع العصا الذي كان يتوكأ عليه.

كان جنجا دهاران قد اتصل هاتفيا بألبي من مطار أمستردام وكان الأخير قد اتفق علي لقائه يوم السبت وأعطاه عنوانا فى شارع دورموند لهذا الغرض .

أخذ جنجا دهاران قطارًا من دوفير الي محطة " واترلو ". عندما رأي المحطة تصور للحظة بأنه علي محطة " ثالاسيري " للسكك الحديدية نظرا إلى ما كان هناك من تشابه كبير بين المحطتين .

كان جنجا دهاران يعتبر نفسه سعيدا علي نجاحه فى الاتصال الهاتفي بألبي رغم أنه كان يتيقن بأن رقم الهاتف الذي أعطاه نانونايا ليس صحيحا وحتي أنه إذا كان الرقم صحيحا فلم يكن هناك ضمان لتواجد ألبي فى ذلك المكان خاصة وأن ألبي وغيره من مواطني بلاده كانوا متعودين علي التجول فى العالم فإذا لم يكن هناك موجودا فإنه سيقع

فى مأزق حيث لم يكن لديه من المال ما يكفي للإقامة لأكـثر من يوم واحد فكانت محفظة جيبه تتقص يوما بعد يوم وكان قد صرف معظم ما لديه مـن مـال لدفـع أجـرة الفنـادق والرحلات بالقطار ، وحاول بقدر الاستطاعة أن ينفق أدنـي ما يكون فى الأغراض الأخري والسـوق الحـرة بمطـار أمستردام معروفة فى العالم لما يوجد بـها أفضـل أنـواع الشوكولات وبأرخص الأثمان ولكنه مع ذلك لم يشتر ولـو واحدة كانت زوجتة لاثا تحب الشوكولاتة ولكنه لم يشـتر ، فكان قد ادخر كل دولار أعطاه له منظموا الندوة وكان يريـد أن يصل إلى ألبي . والعنوان الذي كان أعطاه ألبـي كـان عنوان حانة حيث كان الرجال والنسوة يجلسن ويقفـن هنـا وهناك وهم يشربون جرعات النبيذ فى كئووس كبيرة ولـم يكونوا داخل الحانة وخارجها فقط بل كانوا يشربون النبيـذ جالسين فى زوايا الطريق أيضا .

لم يستطع جنجا داهاران أن يعرف ألبي الذي كان يمشـي نحوه بعد إيقاف سيارته إلى أن تصافح معه وهو مسرور فى بادئ الأمر .

" ياسيدي كيف كانت الندوة ؟"

انحني ألبي نحو الأمام وتعانق مع " جنجادهاران " وكان نوع من الطيب يفوح من جسمه .

كان ألبي قد صفف شعره القصير بعناية وحلق ذقنه جيدا وارتدي جاكيتة ورباط عنق . وكانت في يده حقيبة جلدية .

" أولا لم أستطع أن أعرفك وأنا متأسف علي ذلك "

" إذا كان أحد يتجول فى الشوارع فى مظهر أشعث كما يتجول الناس فى بلدكم فلابد أن تقبض عليه الشرطة " ضحك ألبي بقوة .

ثم أخذه ألبي إلى مكان أقل ازدحاما وكان معروفا لدي صاحب الحانة وأيضا لدي الكثير ممن كانوا يشربون هناك ، فتبادلوا معه التحيات وتصافحوا . وجلس ألبي وجنجا دهاران وجها لوجه وفى يديهما كأس النبيذ .

" قل لي ما الأخبار فى الوطن ؟سأل ألبي .

" لم تجف دموع بريما بعد "

"لماذا ؟ لأي سبب تبكي " تساءل ألبي بحيرة واستغراب .

" إنها تنتظرك "

" تنتظرني ، لماذا ؟ "

" إنها لن تتزوج من أحد غيرك إذ أنها شاطرتك مضجعك"

" نعم ولكن لماذا علي أن أتزوج منها لمجرد هذا السبب ؟"

لم يكن لدي جنجا دهاران ردا علي ذلك واستمر ألبي في حديثه :

" في السنة قبل الماضية جئت إلى بلدك لقضاء الإجازة ثم ذهبت الي تايلاند حيث نمت مع ما لا يقل عن اثنتى عشرة بنتا ولكن لم تطالب أي واحدة منهن بأن أتزوج منها ."

شعر جنجا دهاران باختناق متزايد وبمذاق مر فى فمه وحنجرته كأنه قد شرب زيت الخروع .

" ألم تستلم الرسائل التي أرسلتها بريما لك ؟"

" نعم استلمتها "

" إنها أنجبت طفلا منك "

" هذا خطأ منها ، إنها نسيت أن تبتلع القرص "

شعر جنجا دهاران كأنه يكاد أن يقذف النبيذ علي وجهه وأن يده التي كان يمسك بها الكأس بدأت ترتعش

أخرج ألبي علبة سجائر مالبورو من جيبه وأشعل واحدة منها ونفث الدخان . ظل جنجا دهاران يمسك الكأس بيده بدون أن يشرب منها حيث إن النبيذ لم يكن ينزل من حلقه ، شعر بثورة شديد فى رأسه وبدأت عيناه تحترقان . هل كان ذلك بسبب دخان السيجارة ؟ نهض ومشي إلى الخارج ليستنشق الهواء الصافي وتبعه ألبي حاملا الكأس بيده .

" سوف آتي فى السنة القادمة ، قل لبريما "

" عليك ألا تأتي أبدا إلى بلدتنا "

" السيد جنجا دهاران ..."

" لن نسمح لك بالقدوم هناك "

" أليس هذا القول منك فقط ؟ " ضحـــك ألبـــي " عندمـــا سأنزل هناك فإن بنات هيئة الســـياحة عنـــدك ســـينتظرنني بالمطار مع قلائد الزهور فى أيديهن . أليس كذلك ؟"

أستأذن جنجا دهاران للمغادرة بدون أن ينظر إلى وجـــه ألبي ، مع أن الوقت كان فى التاســـعة ليـــلا كـــانت رؤوس المباني والشوارع مضيئة كأنها ضوء الشمس وتذكر جنجـــا دهاران ما كان قد تعلمه فى المدرسة عندما كان طفلا وهـــو " الإمبراطورية التي لا تغرب عنها الشمس أبدا."

# من مات ومن قتل

فيد راهى*

بعد أداء صلاة الجمعة خرج " غولا " من المسجد .سّوى قلنسوته وأكمام قميصه ولبس حذائه ، في الطريق دخل السوق . لم تساعد الصلاة في التخفيف من روعه وانزعاجه. فاستخرج علبة " توباكو " من جيب صدريته ووضع قبضة منها تحت شفته الأدنى .

تحير وتساءل مع نفسه : لماذا أصبح سريع الغضب إلى هذه الدرجة بينما كان من عادته فيما قبل أنه كلما يؤدى الصلاة كان يشعر في نفسه بهدوء وراحة . ولكنه الآن دائماً في حالة قلق واضطراب ، وربما يعود سبب ذلك إلى زوجته المريضة الملازمة للفراش دائما و ابنه الذي كف عن الدراسة وترك المدرسة ويعبث ويلهو دائما بدون أي عمل أو ابنته التى بلغت سن الزواج ، أو ربما لأنه مازال يشتغل فى وظيفة غير مرغوب فيها منذ خمسة عشر عاماً بدون انقطاع. ويجاهد في حياته إلى أن أصبح يشعر بجروح القلب

والعواطف . كان يبيع الخبز المقلى وفى بعض الأحيان يبيع الماء وجذور الكستناء والنيلوفر أيضاً مع الخبز . وفي رأيه أصبحت وظيفته عملاً بغيضاً يتطلب من البائع أن يجلس طول النهار على الرصيف وسط الغبار ويشهد النقع يسقط ويتراكم على الخبز . وبالرغم من ذلك يواصل الاشتغال بهذه الوظيفة وربما ذلك لأنه لا يعمل شيئا وزوجته " عزيزي " تقوم بإعداد الخبز . إنه يبيعه جالسا في أحد أزقة شارع متعرج وكل ما عليه أن يفعله هو تحمل صعوبة طرد الذباب دون سواه . وكان قد تعود على ذلك إلى حد أنه يحرك يده لطرد الذباب خلال الليل وحتى في النوم أو أثناء الصلاة في المسجد .

وصل أمام مقعده وفمه مليء بالبصاق الذي أحدثه " التوباكو " فرأى ابنه " نثار " وهو يزن الخبز لبعض زبائنه . وأفرحه هذا المنظر حيث رأى أن ابنه تقدم اليوم لمساعدته في عمله . كان يشعر بشيء من القلق عندما كان يرى ابنه وهو هائم على وجهه وليس له عمل ولا هدف . ولكنه يدرك تماماً أن ابنه فقط لا يستحق اللوم على ذلك، فلو كان ألحقه بمدرسة جيدة وعين له معلماً ، ووفر له طعاماً جيداً ولباساً فاخرًا لاجتاز امتحان المدرسة الثانوية بسهولة ، وحصل

على وظيفة في أي مكان ولكنه لم يستطع ذلك بسبب دخلـــه الضئيل .

ولذا عندما رأى نثار جالساً في مقعـــده شـــعر بســـرور وجاش قلبه فرحاً وعطفاً على ابنه وتقدم نحوه ببطء ووقـــف بجانبه ، عندما رآه نثار نهض وقال له : بابا ! هل طلبت من المتسول ، أن يسهر على دكانك؟ هل تعرف ماذا كان يعمـل عندما جئت هنا ؟ كان يأكل خبزًا

" أنا نفسي أعطيته إياه قبل أن أغادر . أنت تتهمه بـــدون سبب " . أجاب غولا.

" لم أكن أدرى ذلك " قال نثار " كنت أعتقد بأنه يســـتغل فرصة غيابك "

"·لا بأس ! " ولكنك واقف لماذا اجلس يا بني ، لو تجلس هنا كل يوم لمدة قليلة سيسرني ؟ ذلك كثيراً ."

" بابا لا تتوقع مثل هذه الأشياء منـــي لا أســتطيع أن أجلس على مقعدك . قال هذا واقترب مـــن غـولا ووقـــف بجانبه. شعر غولا بخيبة أمل بعد ما سمع هذا القول منـــه .

جلس صامتاً خلف سلة الخبز وبدأ يطرد الذباب وفجأة حول عينيه فوجد نثار واقفًا أمامه ويرنو إليه . فأحس أن نثار يريد أن يتكلم معه . لعله يحتاج إلى نقود لمشاهدة الفيلم ، فأطاحت هذه الفكرة بالارتياح الذي شعر به قبل مدة قليلة عندما رأى نثار يجلس خلف السلة.

اقترب نثار منه وجلس بجانبه , ثم استخرج منديلاً قذرًا من جيب سرواله وكان قد شد به شيئاً وسلمه إلى غولا وقال مسرعاً :بابا ! خذه بعناية . ولا تفقده ، وافتح المنديل بعد وصولك إلى البيت ، وكل ما يحتوي عليه المنديل فإنه لك ولوالدتي . وعندما وضع غولا المنديل في جيب قميصه كان قلقًا في نفسه . ونظر إلى نثار نظرة حيرة ودهشة وهمس نثار في أذنيه قائلا : " أنا ذاهب إلى مكان ما . قل للوالدة لا تنزعجي ولا تقلقي . سأعود بعد شهر " . وقبل أن يسأله غولا أين يذهب خرج نثار مسرعاً .

ووجد غولا من الصعب أن يجلس هناك مزيدًا من الوقت فكانت تراود ذهنه عدة تساؤلات وشكوك . أخذ سلته ومشى في الطريق إلى بيته . وكان يعيش في حي نصفه يقع داخل بحيرة ونصفه الآخر في خارجها . ومعظم القاطنين في ذلك

الحي يشتغلون بنسج السجاد . وأما الآخرون فيتاجرون فيه . كان يحلم غولا بأن يصبح تاجراً للسجاد ولكن حلمه تلاشى قبل زمن مثل الأعشاب في البحيرة . ولعله يعدّ من أفقر القاطنين في ذلك الحي . كان دخله قليلاً إلى حد أنه لا يستطيع أن يصلح بيته القديم من جديد .

اندهشت زوجته " عزيزي " بعد ما رأته عائدًا إلى البيت مبكرًا على خلاف العادة . فشعرت بقلق وانهالت عليه بعدة أسئلة ولكن غولا ظل صامتاً ولم يجب . وضع سلته جانباً واستخرج من جيبه المنديل الذي أعطاه نثار وفتحه . كان يحمل روبيات فعدها وكانت خمسة آلاف روبية ، فأصبح غولا في حالة ارتباك شديد .

لم يعد غولا هذا القدر من النقود في حياته أبدا . وكانت زوجته تحدق فيه بنظرات تنم عن عدم الثقة فأخبرها غولا عما جرى بينه وبين نثار . شعرت زوجته بشيء من الكآبة عندما علمت بأن نثار ذهب إلى مكان ما لمدة شهر كامل تقريبًا ولكن أين ذهب ؟ ومع من ذهب ؟ هل هناك أحد يجيب على هذه التساؤلات ؟ ولا شك أن نثار كان قد أخبرهما بأن هذه النقود لهما . ولكن أحدًا منهما لم يجرؤ

حتى على لمسها . وشد كلاهما تلك الروبيات مـــرة ثانيـة ووضعاها في مشكاة الحجرة .

بدأ كلاهما ينتظران نثار . وحزنت " سلمى " أيضاً لأنـها لم تر أخاها ولكن لم يخبرها أحد من والديها بأي شيء ، ولم ينبس بكلمة لأحد آخر أيضًا إذ منعهما نثار من ذلك بوجـه خاص . كانت " عزيزي " تعد الأيام منتظرة عودة نثار . مر شهر كامل ويومان ولكن لم يعد نثار .

شعرت عزيزي في قرارة نفسها شيئاً من القلق وطلبـت من " غولا " بإلحاح أن يعمل شيئاً للبحث عنه . مر يومـان آخران والآن بدأت أمه تبكي . وقرّر غولا أن يخبر البوليس ولكن اليوم الذي كان يستعد فيه للذهاب إلى مركز الشـرطة عاد نثار فجأة مثل الطائر ( شينا بيوتو بيوتو ) الذي يبشـر بتساقط الثلوج . لام نثار أبويه بشدة على عدم صرف المبلـغ ووضع رزمة أخرى بخمسين ألف روبية على كف والدتـه . بدأ غولا وعزيزي يحدقان في وجه نثار . وأصابتهما الدهشة بعد رؤية هذا المبلغ من النقود . قال نثار : " بإمكـانكم أن تنفقوها كيفما تشاءون ولكن لا تسألوا من أين حصلت عليـها

، ولا ينبغي أن يعرف عنها أحد شيئا وعليكم ألا تتحدثوا ولا تهمسوا حول الموضوع . "

ولكن عزيزي بدلاً من أن تأخذ المبلغ أمسكت ذراع نثار وأخذت تهزه ، وصرخت قائلة : نحن لا نريد هذه الفلوس ولا نعرف من أين أخذتها بالسرقة أو بطريق آخر . والآن لن أسمح لك بالخروج من البيت . شعر غولا بأن زوجته عزيزي على صواب في قولها . وقد تسببت هذه النقود في مشكلة لهم ، وفوق ذلك لا يحق لنثار أن يكون خارج البيت بدون إذنهم ولكنهم لم ينجحوا في منعه من الخروج فقبل أن تطلع الشمس من وراء الأفق خرج نثار من البيت تاركا القسط الجديد من المبلغ الذي كانت عزيزي قد رفضت قبوله.

تأمل غولا وعزيزي في أمر المبلغ فشداه وأخفياه في لحاف بال ممزق . وعندما كانت عزيزي تسوى فراش نثار وجدت مسدسًا تحت وسادته فأصابها الذهول وأسرعت إلى غولا جذبته إلى ذلك المكان . وعندما رأى غولا ذلك المسدس تملكه الخوف والرعب وأدرك من أين يأتي نثار بهذه المبالغ وشعر بأن ابنه قد أصبح إرهابيا . وأصبحت

أسرته في حالة من الدهشة وكأنها أصيبت بصاعقة وسكب أمام زوجته عزيزي كل ما في قلبه تدريجيا حتى أجهشت بالبكاء. قرر غولا أنه لن يمس هذا المبلغ .

وسوف يطلب من نثار أن يعيده إلى المكان الذي أخذه منه، وسوف يوصيه بأن يتنحى عن العمليات الإرهابية . ولكن لم يعد نثار للبيت لعدة أيام . بدأ غولا وعزيزي ينتظرانه بقلب حزين تراوده مخاوف كثيرة . ويسهران طول الليل ، ليلة بعد ليلة وعندما يسمعان صوتا خافتا يبدو لهما كأنه وطء أقدام نثار . وذات يوم في منتصف الليل طرق أحد الباب . فأمسكا كلاهما أنفاسهما وتقدما نحو الباب ببطء ووقفا خلفه صامتين . فتح غولا الباب ببطء فإذا به يرى أنه ولد آخر غير نثار . وكان وجهه مغطى وهو يمسك في يده البندقية وقال لغولا " قد ذهب نثار عبر الحدود لحضور مؤتمر وسيعود بعد شهر تقريبا . " وقال هذه الكلمات وغاب في الظلام كما يغيب ملك الموت بعد نزع الروح . أغلق غولا وزوجته الباب وبدأ كلاهما يبكيان. ومازال اللحاف الممزق الذي وضعا فيه ٥٥ ألف روبية مطروحا في زاوية. وشعرا وكأنه يحتوي على قنبلة قد تنفجر في أي لحظة . ولكن كيف يمكن النجاة منها ؟

لم يخرج غولا من البيت لأيام عديدة . وكان يخشى أنه إذا رآه أحد أي لحظة واستفسر عن نثار وعرف الحقيقة فسوف يخبر رجال الشرطة ، فكف عن عمله وازدادت مشاقه ومضت أيام عديدة أخرى .

وذات يوم ، في الساعات الأخيرة من المساء ، خرج غولا في الظلام إلى شاطئ البحيرة . وأراد أن يأخذ زورقاً ويذهب بعيدًا في البحيرة ،وعندما كان يعبر الطريق مرّ ببيت ورأى عبد القادر يأتي إليه. كان غولا يبدو قلقاً ومنزعجاً . فناداه عبد القادر " غولا " تعال هنا . " أريد أن أقول لك شيئاً " كان عبد القادر واحدًا من أغنياء الحي بينما كان غولا من أفقر الناس فيه .ذهب غولا إليه ووقف أمامه صامتاً .

" ماذا تعمل هذه الأيام "سأله عبد القادر

" لا شيء يا سيدي " أجاب غولا بتواضع بالغ

" إذن اعمل شيئاً لأجلي . ومقابل هذا العمل أدفع لك النقود " . قال عبد القادر .

" قل لي يا سيدي "

يجب أن تأخذ رزمة من السجاد إلى مدينة جوا وهذا أمـر عاجل . فلو أرسلها بالبريد المسجل سيأخذ وصولها إلى جوا خمسة وعشرين يوما . وكل ما يجب عليك هو أن تسـلمها إلى وكيلي هناك وأن تأخذ منه شيكاً بمبلغ ٣٠ ألف روبيـة وتعود به إليّ هنا . وسوف أعطيك ألف روبية مقـابل هـذا العمل .

كان غولا يجد من الصعب أن يقضي أيامه عـاطلا دون عمل وجالساً في البيت ، فوافق على الاقتراح وكتب عنـوان الوكيل وغادر اليوم التالي حاملاً معه تلك الرزمـة . وقبـل مغادرته أوصى زوجته عزيزي بأنه لو يأتي نثار إلى البيـت في غيابه فعليها أن تطلب منه أن يأخذ النقود التي كان قـد أتى بها .

وعندما وصل إلى جوا بالسجاد علم بأن الوكيل الذي يريد أن يسلمه السجاد محبوس في السجن بتهمة ارتكاب جريمـة التهريب . فلم يدر ماذا يعمل بهذا السجاد .تأمل فـي هـذا الأمر وقرر أن يأخذ السجاد إلى السوق فذهـب إلـى أحـد التجار الكبار للسجاد ووافق على شرائها مقـابل ٤٠ ألـف روبية . أما غولا فأصر على ٥٠ ألف روبية . على أي حال

عقدت الصفقة على ٤٥ ألف روبية وعندما عاد غولا إلى سرينجر أعطى ٣٠ ألف روبية لعبد القادر وأبقى لديه ما بقي من المبلغ لنفسه . وأخذ كذلك أجرة ألف روبية التي وافق عليها عبد القادر كأتعاب لعمله.

طلب غولا من " عزيزي " المبلغ الذي كان نثار قد أعطاهما قائلاً " لا ندري متى يرجع نثار ، وسوف أشترى السجاد وأذهب إلى جوا

وأعتقد أن هذا سيعود علينا بأرباح كبيرة حاولت عزيزي أن تمنع غولا من ذلك . ولكن بدون جدوى ، اشترى غولا السجاد بـ ٥٥ ألف روبية وباعها بـ ١٢٥ ألف روبية في بومباي . وفي الجولات المتلاحقة نسى غولا تماما أن عليه أن يعيد ٥٥ ألف روبية لنثار .

لاحظت زوجته عزيزي بأن وجه غولا يتوقد لأول مرة في حياته بارتياح وسرور . ونبهته عدة مرات إلى أمر المبلغ وإعادته ولكنها أيضاً لزمت الصمت .

وفي تلك الأيام كانا يتوقعان أن يأتي نثار إلى البيت ولذلك لم يستطع كلاهما أن يناما . وجاء نثار في منتصف الليل .

فاندهش كلاهما لرؤيته حيث كانت شـــخصيته قـد تغـيرت بكاملها . وكان يلبس سروالاً وقميصاً ويحمل بندقية في يده. وتحولت بشرته إلى اللون الأسود ويبدو من شواربه السـوداء الغليظة أنه قد أصبح فتى يافعاً .

وحالما دخل ، وضع نثار البندقية بجانبه وعانق أمه بشدة وأمسكها بين ذراعيه كأنه افتقدها منذ مدة طويلـــة . بـدأت عزيزي تمسح دموعها. فقالت : " يا ابني ! ما هذه الطريقـة التي اخترتها لحياتك . فكر في أمر أمك أيضاً ."

لا تقلقي عليّ يا أماه ! لن يصيبني سوءً اذهبي واطبخـي الرز والسبانخ لي . أن جوعان أيضا . أخذت عزيزي تعـد طعاماً وبدأ نثار يتحدث مع والده .

كان الموقد يشتعل حيناً وينطفأ حيناً آخر فتـألمت عينـا عزيزي ألماً شديداً وتسبب الدخان في احمرارهما . فبينمـا كانت تمسح عينيها بكم عباءتها انتهزت الفرصة لأن تنظـر نظرة شذراء إلى نثار الذي كان شاباً نحيفاً يحمر وجهه أثناء الكلام قبل سنة تقريبا . يجلس أمامها ويمسك شواربه بيـده ويقول لوالده : لن نرتاح مادامت كشمير لـم تحـرر، وإن

شعوب العالم معنا . وكان هناك عــدة أشــخاص مــن دول مختلفة شاركوا في المؤتمر الذي حضرته في مظفـــر أبـــاد حالياً .

حاول غولا أن ينصح نثار بحب وحنان . يا بني ! هنالك جمع من العسكريين الهنود الذين يحتشدون هنا . كيف نحقق استقلالنا وهم مازالوا موجودين هنا ؟ "

ماذا بإمكان العسكريين أن يعملوا بينما الشعب يقف إلـــى جانبنا والرأي العالمي معنا . قد عقدنا النية على أن نحقـــق الحرية . "

وضعت عزيزي صحن الأرز والخضروات أمامه وسـقط نثار على الطعام كأنه لم يأكله منذ عدة أيام . وبعـــد لحظـــة عندما خفت سرعة أكله، بدأ غولا يخبره عن مهنته لتجـــارة السجاد ولما سمع نثار ذلك بدأ يستلذ بطعامه أكثر ، وبعـــد ما سمع القصة بكاملها قال : منح هذه المبـــالغ للمجـــاهدين لضمان أن أعضاء أسرهم لا يعانون من المشاكل والشـــدائد ولا تظن بأنهم خاسرون .

ومن أعطاك هذا القدر الضخم من المال ؟ سأل غـــولا . ولكن نثار لم يرد على هذا السؤال .

كاد الليل أن ينتهي وكانت أعينهم مثقلة بالنعاس . وفجـأة وقف نثار وحمل بندقيته . وغلب الحزن والكآبة على غـولا وعزيزي . ولم يخطر ببالهما أن نثار سيرحل هكذا بدون أن يقابل أخته الصغيرة التي كانت تنام بجانبه ، قـــال نثـــار : سوف أقابل سلمى بعد أيام ، وأنا سآتي إليكـم بيـن الحيـن والحين " ألقى نظرة عاجلة على غولا وقال : " أعتقد أنــك يجب أن تفتح محلاً تجارياً وفي المرة القادمة سأقدم لك مزيدًا من النقود " . ثم توجه إلى الباب وقالت عزيـــزي بصــوت مختنق: " عليك أن تكون على حذر " . وقف نثار ونظر إلى أمه وذهب إليها وأمسكها بين ذراعيه .

وفي الصباح التالي كان سكان الحي بكاملــه فــي قلـق واضطراب شديدين عندما رأو الجنود المسلحة قد أحاطت به من كل جوانبه . وأعلن الجنود في مكبر الصوت بأنه يجـب على كل واحد من الرجال أن يخرج من البيت . ثــم بـدأوا يفتشون بيتًا بيتًا ولكنهم لم يجدوا أي مقاتل . ثم أعلنوا بــأن والد نثار أحمد شيخ يجب أن يخرج أمامهم .

تقدم غولا نحوهم خائفًا ووقف بجانب سيارة عسكرية وكان جسمه يرتجف فسأله الضابط " هل نثار أحمد شيخ ابنك ؟ " أحنى غولا رأسه مؤكدا ذلك .

" متى جاء إلى البيت آخر مرة ؟ "

أجاب غولا بصوت مرتجف " ليس عندنا أي خبر من عدة شهور."

" لو تسمع عنه شيئاً أخبرنا . "

" حسناً يا سيدي " .

عندما غادر الجنود تجمع الناس حول غولا . ارتفعت مكانة غولا في قلوبهم . والآن قد علموا أن نثار أحمد شيخ الذي كان اسمه مألوفا لدى كافة سكان الوادى كان في الحقيقة ابن هذا الحي نثار وهو ابن غولا.

وكانوا مندهشين لأن كثيرا من العسكريين جاءوا للتحقيق في شأن ولد لم يكن قبل بضعة أيام شيئا مذكورا، وكان أهل الحي يربتون على كتف غولا ويتحدثون معه . وكل من يتلقى ردا منه يعتبر نفسه سعيدا جدا ورافقه الجميع إلى منزله حيث كانت عزيزي وسلمى تبكيان بكاء حزينا متألما بينما بدأ الجنود تفتيش البيت تفتيشا كاملا وأخذوا يلتقطون الأشياء ويطرحونها هنا وهناك متفوهين بكلمات السب والشتم، الأمر الذي جعل هاتين المرأتين ترتجفان . وبعد رؤية غولا ازداد بكاؤهما شدة . حاول غولا طمأنتهما قائلا : لا تخافا فهؤلاء العسكريون لا يستطيعون أن يسيئوا إلينا ومن الحماقة أن تبكيا هكذا . ألا تعرفان أن منزلتنا قد ارتفعت ؟

اشترى غولا منزلا عائما صغيرا قديما وظل يصلحه لعدة أيام إلى أن أصبح قابلا للاستخدام . ثم جهزه وأثثه مثل دكان ووضع فيه سجادا ذا جودة عالية ، وكان يحلم منذ طفولته بأن يكون له دكان مليء بالسجاد وأن يجلس وسط دكانه مرتديا العمامة والصدرية ويحمل في يده النارجيلة وبجانبه السماور . والآن لم تكن عمامة على رأسه ولكنه كان يجلس على كرسي في بدلة رسمية مع رباط العنق ويدخن سجائر غالية وينفخ دوائر دخانية وترك استخدام التوباكو .

في البداية كان هناك إقبال كبير على دكانه ولكن سرعان ما تبدل ذلك بركود ، فحالما انتشر الخبر عن الوضع المضطرب في سري نجر في كافة أنحاء البلاد توقف السياح عن الزيارة والسياحة في الولاية . ونظرا إلى هذه الأوضاع بدأ غولا يبيع السجاد في جوا وبعد مرور سنة اكتسب غولا من الأموال ما تمكن به من بناء بيت جديد بعدما هدم بيته القديم واستخدم فيه قراميد وردية وخضراء لا في داخل الغرف فقط وإنما على جانب الجدران فأصبح بيته موضع حسد لدى أهل الحي .

كان نثار يزور بيته كلما يجد الفرصة وكان مرتاحا للتقدم الذي أحرزه والده والرفاهة التي تحظى بها أسرته . والآن كلما يأتي بمال يحوله إلى أمه حيث يهمه زواج شقيقته كثيرا . وعندما تنظر عزيزي إلى ابنها تتضرع إلى الله بأن يصون ابنها ويرعاه وتدعو لسعادته دائما وتقول " يا إلهي احفظ ابني برعايتك ". كلما يكون نثار معها تتلو دائما هذه الكلمة الطيبة لسلامته . ولكن كلما أراد الذهاب من البيت تأخذ يده بيدها وتعمق نظراتها في وجهه بحيث يصعب لنثار أن يحرر يده من يدها . وكان يقربها إلى قلبه بشدة ويؤكد لها على عودته قبل المغادرة ويضحك . ولكن ضحكه لا يطمئن نفس والدته

عزيزي ولا يحمل سلوى لقلبها . وكلما تسمع دوى طلقات الرصاص تشعر بخوف ودهشة .

وعلى الجانب الآخر أصبح غولا يشعر بسرور وحيرة عندما يرى أهل الحي الذين لم يلتفتوا إليه فيما قبل لا يمرون الآن إلا ويسلمون عليه والنسوة اللاتي يأخذن الماء من حنفية البلدية يخفضن أعينهن باحترام عندما ينظرن إليه ويبتسمن ، وكان غولا ينظر أيضا إليهن وفوق كل ذلك يخاطبه أطفال الحي بـ " نثار بابا " ويتحركون ويدورون حوله .

وذات يوم جاء تاجر ألماني إلى مركبه بحثا عن سجادة قديمة مضى عليها مائة سنة ويستعد أن يدفع ما يطلبه من ثمن مهما بلغ ذلك. وطلب غولا منه أن يأتي مرة أخرى في اليوم التالي وهو يعرف جيدا أنه لا يوجد أحد إلا عبد القادر الذي يملك سجادة مثلها . فذهب إلى بيته وعندما رآه عبد القادر قال له :

تعال . تعال يا غلام محمد كيف أنت ؟

شعر غولا بخجل وجلس بجانبه في تردد وقال : يا سيدي ينبغي أن تخاطبني بغولا فقط . لا يجوز لك أن تناديني بـــــ غلام محمد . قدم عبد القادر له كوبا من القهوة وقـــال " قـــد منحك الله هذه المكانة الرفيعة فمن أنا لأقلل منها " . وبعـــــد ذلك أعطى غولا تلك السجادة النادرة التي ادخرها منذ مــــدة طويلة وكلاهما اكتسب قدرا ضخما من المال مــــن التـــاجر الألماني .

كانت تلك الليلة مظلمة مطــيرة بســـبب نــزول المطــر والعواصف الثائرة فأصبح دكان غولا الصغير الذي بنى على عوامة يضطرب على الماء مثلما تضطرب كشمير بعواصف الوضع السياسي .

وكان غولا وعزيزي في انتظار نثـــار جالســـين داخـــل العوامة حيث كان نثار يلقاهما هذه الأيام فكان ذلك مكانا أقل خطرًا ومفتوحًا من كل جانب فلو يأتي شرطي الحراسة هناك يمكن لأحد أن ينقذ نفسه بالقفز في المياه . وفي ذلك اليـــوم كانت سلمى مصرة على أن ترافق أبواها ولكن نثار كان قـــد منعهما بشدة من ذلك فتركها أبواها في البيت . وكان هنـــاك سبب آخر وهو أنهما أرادا أن يناقشا مع نثـــار أمـــر زواج

سلمى حيث كانت أسرة كريمة قد أبدت رغبتها في ذلك وكان الوالد موافقًا وجاء الاقتراح من طرفه، ولذا رأى والدا نثار أنه من الضروري أن يتشاورا معه قبل الموافقة على الخطبة .

مضى النصف الأول من الليل ولكن نثار لم يجيء . وكان سطح البحيرة يرتفع بسبب الأمطار الغزيرة المتواصلة . غلب النعاس عزيزي وغولا وكلاهما يدفئان نفسيهما بمدفأة يمسكانها تحت ملابسهما. وفجأة سمعا وقع أقدام جعلتهما حذرين . كان ذلك بشير صديق نثار فدخل ووقف صامتا للحظة .

كان غولا وعزيزي يحدقان في وجهه ويزداد قلقهما في كل لحظة إلى أن قال بشير " لن يأتي نثار حيث ذهب في مهمة . وما إن قال هذا حتى استعد للخروج ، فصرخت عزيزي فجأة وتساءلت " هل أصيب بجروح خطيرة " .

وقف بشير في مكانه واصفر وجهه وكان غولا يرنو إلى وجه عزيزي بدهشة وقد تعمقت تجاعيد وجهها وظهرت آثار الحزن والخوف في عينيها .

ماذا تقولين ؟ عاتب غولا زوجته .

" لم يحدث له أي شيء " قال بشير : " أنت قلقة بدون سبب " .

" أنت تكذب " صرخت عزيزي مرة أخرى .

" والله أنا صادق فيما أقول : إنه ذهب خارج المدينة اليوم ولذلك لم يتمكن من أن يأتي " قال بشير هذه الكلمات وخوج . أما عزيزي فبدأت تبكي . لقد مسه السوء بدون شك . دعني أذهب إلى نثار . يا ابني نثار .

حاول غولا أن يهدأ عزيزي وقال : يساورك القلق هذه الأيام بدون سبب ولا داع ، لا تقلقي ولا تحزني . لن يصيبه سوء لأنه يحمل البندقية في يده دائما . وغدًا سأحاول بنفسي أن أذهب إليه. ليس ثمة داع للبكاء والحزن . "

أخذت عزيزي وقتا طويلا لتهدئة نفسها ولكن الخوف كان قد دب إلى نفس زوجها أيضا . وفي اليوم التالي غادر البيت صامتا وأخذ يذهب من زقاق إلى آخر فكان يدخل في زقاق ثم يذهب إلى آخر ثم يعود إلى الزقاق الأول خائفا من

جاسوس قد يتعقبه ، وأخيرا وبعد عدة دورات وصل إلى بيت المولوي الذي كان ابنه يرافق نثار دائما ، وهناك اطلع على أن نثار قد أصيب بجروح شديدة نتيجة تبادل النيران . وبعد ما سمع ذلك كاد غولا أن يسقط مغشيا عليه واستفسر قائلا " ألا يمكنني أن أقابل نثار ؟ " أجاب المولوي " ماذا لي أن أقول ، جاء " علي جان " البارحة لبضع لحظات وأخبرني عنه بدون أن يقول شيئا عن مكان تواجدهم ، ولكنه ذكر عن غير قصد أن الدكتور سومناث كاتشرو قد عالجه ، فيمكنك أن تذهب وتسأل الطبيب كاتشرو فربما يخبرك عن مكان تواجد نثار . "

خرج غولا صامتا وكان مضطربا وقلقا وقلت نبضات قلبه وترقرقت عيناه بالدموع أخذ سيارة أجرة ليذهب بها إلى كرن نجر رأى جريدة اليوم على مقعد السيارة وبها نبأ هام مفاده بأن نثار قد أصيب بجروح ، فأخذ قلبه يخفق مرة أخرى . وعندما رآه سائق السيارة يطالع الجريدة قال " لو أصيب نثار بسوء فسوف تحترق كشمير كلها . "

كان غولا كئيبا وذاهلا وقرأ النبأ في الجريدة عدة مرات . وكان يتمنى أن تنشر الجريدة نبأ آخر عن المكان الذي يوجد

فيه نثار . وكان يرغب كذلك في أن يتحدث عنه مع سـائق السيـارة ويريـد أن يقـول له إنه والد نثار ولكن لم يستطع ذلك .

وقفت السيارة أمام بيت الدكتور كاتشـرو فـرأى غـولا سيارتين كبيرتين واقفتين هناك وفيهما بعض الأمتعة والناس يخرجون من البيت ويجلسون فيهما . فهم غولا أن هـؤلاء الناس يغادرون المدينة .

وفجأة خرج الدكتور كاتشرو وتقدم نحو السيارة . ذهـب غولا إليه بسرعة وسلم عليه وقال " يا سيدي أنا والد نثـار ، واسمي غلام محمد ، وقد علمت أنك عالجت ابني نثار . يـا سيدي قل من فضلك كيف هو الآن أرجو ألا يكـون هنـاك خطر على حياته .

وقف الدكتور سومناث فجأة ونظر إلى غولا بدقة وكـانت تلك لحظة لا يثق فيها بأحد ، كيف عرف ومن هو ؟ ربمـا هو أحد ينتمي إلى جماعة المقاتلين أو هو مـن جواسـيس الحكومة . ويمكن كذلك أنه من بين الذيـن اطلعـوا علـى برنامجى للفرار من هنا . عندما رأى غولا الدكتور في حالة

من التأمل قال بتواضع بالغ " صدقني يا سيدي أنا والـــده ، ستموت أمه بكاء ! " لنا ابن وحيد هو نثار إن لم تقل لنا أيـن هو فماذا نعمل إذن ؟ أقسم بالله ونبيه أننا لا نستطيع أن نبقى على قيد الحياة بدون ابننا . من فضلك قل لي فقط هل هـــو حى أم لا ؟ "

لاحظ الدكتور سومناث أن عينيـــه ترقرقـــان بـــالدموع والعرق يظهر على جبينه والارتعاش يسيطر علـــى جســده فتيقن بأن الرجل هو والد نثار بلا شك . وضع يده على كتف غولا وقال " إن صحته غير مريحة " نظر غولا إليه بنظرات عجيبة كأنه لم يفهم شيئا واتجه نحو السيارة ليجلس فيـــها . فأوقفه غولا وسأل في صوت مكبوت . " يا سيدي ، قل لـــي من فضلك أين هو ؟ أخبرني بذلك فقط" .

أسف يا أخي لا أستطيع أن أقول لك . بعد هذه الكلمـــات جلس الدكتور سومناث في السيارة وتحركت سيارته والسيارة الأخرى أيضا معا ومازالت يدا غولا معلقتين في الهواء وهو يقف ذاهلا والدموع تسيل من عينيه .

تحرك ببطء واتخذ سبيله نحو بيته . وقد صعب الأمر عليه الآن فكيف يخبر عزيزي عن حادثة نثار فهي لا تستطيع تحمل هذا النبأ المحزن . وفي الليلة الماضية كان قد شعر بأن نثار قد احتل مكان الأنفاس لديها.

لما وصل إلى البيت رأى جمعا غفيرا للنسوة هناك فقالت له إحداهن أن عزيزي أغمى عليها بعدما سمعت نبأ إصابة نثار بجروح ولذلك جئت هنا . لم يتمكن غولا من أن يدخل البيت . وفي تلك اللحظة رأى تاجر السجاد عبد القادر يأتي إليه مسرعا ويناديه غلام محمد وبدأت النسوة اللاتي كن يقفن خارج البيت ينظرن إليه . أمسك عبد القادر يد غولا وأخذه على جانب وقال " هل تعرف أن سائر المدينة تقوم بالإضراب اليوم ؟ وقد فرض منع التجول واتخذ العسكريون مواضعهم في كافة أنحاء المدينة ؟

ماذا حدث ؟ استفسر غولا .

– انتشرت إشاعة .

- أي إشاعة ؟

لم يستطع عبد القادر أن يجيب إجابة صحيحة . أصبح غولا قلقا فسأل مرة أخرى " أي إشاعة ؟ "

وما قاله عبد القادر خائفا مترددا وتدريجيا مع وقفات لم يكن بمقدرة غولا أن يتحمله فسقط على الأرض مغشيا عليه.

انقضت سنتان على وفاة نثار ولم تبق عزيزي على قيد الحياة بعد ذلك لمدة طويلة . أخذها غولا من دار إلى أخرى ولكنها لم تجد السكينة في أي مكان . الواقع أنها كانت قد أصبحت شبه ميتة فور سماع نبأ وفاة ابنها نثار . أصبحت مجنونة ومشوشة الذهن تغمغم بكلمات لا معنى لها . وذات ليلة عندما كانت تنام سمعها غولا تتكلم بدون وعي " يا ابني كنت دائما تخدعنا بتقديم نقود ولم أفهم الأمر لذلك كنت آخذ تلك المبالغ وحتى أن والدك أيضا لم يفهم حيلتك " بعد ما سمع غولا هذه الكلمات فقد صوابه وأخذ يبكي بصوت عال وذات يوم سمعها تنشد الأبيات التالية :

" من مات ومن قتل

من كان مشغول البال في الشؤون الدنيوية ونسى الله

سيموت وإنه فقط سيموت " .

أدرك غولا أن أيام حياة عزيزي بقيت معدودة فاحتضنـــها الموت بعد ذلك بقليل . وبعد وفاتها احتفل غولا بزواج ابنته سلمى وفقد كل أمانيه في العيش وفي لقاء الناس كما لم يعـــد يثق بأي شخص . كان يزور زاوية "شاه همدان " ويجلـــــس هناك ساعات طوال ويكرر " من مات ومن قتـــــل " وكــــان المولوي يحاول أن يهدأ روعه فيتلو " إن الله مع الصابرين " غير أن غولا لم يوفق في نيل الراحة .

وذات يوم جاء تاجر السجاد عبد القادر إليه وقــــال " يـــا غولا ما هذا؟ ماذا صنعت بنفسك ؟ إنك وحدك تستحق اللـــوم على ما حدث . فلو لم تشجع ابنك نثار على حب المال لمـــا صار مقاتلا . فما حدث كان لابد أن يحدث . ارجــــع إلـــى صوابك الآن واذهب لأداء فريضة الحج وهكذا ستكفر عـــن ذنبك . "

بعد أن سمع كلامه أخذ غولا يحدق في وجه عبد القادر وانفجر بالضحك بطريقة أدخلت الخوف في نفسه وفجأة تحول غولا إلى البكاء ففر عبد القادر من هناك خائفا .

وبعد عدة أيام ذهب غولا ليلا إلى عوامته وجلس بداخلها وكانت تلك العوامة حلما محققا بالنسبة له وكانت فيها أكوام السجاد ذات تصاميم مختلفة ومعظمها مطوية وموضوعة في الزوايا . وكانت العوامة وكل ما فيها ملكا لغولا . جلس على كرسي وأشعل سيجارة وبعد الانتهاء من تدخينها أشعل ثانية وثالثة ورابعة ولم يعد يشعر مرور الوقت وفجأة شعر بأنه جالس في الظلام ثم أحس بأن العوامة تعوم فوق الماء . كيف يمكن هذا ، سأل نفسه ؟ ألستم على هذه الحالة الجنونية التي وجد فيها نفسه ومضى يدخن السجائر بشدة أكثر وبعد قليل شعر بصدمة قوية عندما اصطدمت العوامة بشاطئ البحيرة فأطل على الشاطئ واندهش والعوامة كانت في الواقع تسير في الظلام ببطء بدون أن يعرف اتجاهها وكان قد ضل السبيل بين الخمائل لا يجد أي شاطئ في أي جهة ويبدو كأن الظلام قد ابتلع كل العالم وكل شيء حوله أصبح حلما ووهما . ظل جالسا لوقت طويل خارج العوامة ثم خلع سترته وقذف بها بقوة إلى الماء وقفز في البحيرة .

سبح لمدة طويلة ثم توقف عن تحريك يديه ورجليه حيث بدأ يغرق في الماء وعندما تعسر عليه أن يتنفس بدأ يحرك يديه ورجليه مرة أخرى وظهر فوق الماء ثم بدأ يسبح مرة أخرى .

وفي الصباح التالي عندما رأى الناس عوامة غولا أسرعوا نحوها في عواماتهم الصغيرة ثم دخلوا فيها ولم يجدوا أحدا بداخلها فاعتقدوا أن الحبل الذي شد به العوامة قد انحل بدون أن يعرف غولا ذلك وضل بين الخمائل فذهبوا إلى بيت غولا لإخطاره ولكن أخبرهم جيرانه بأن غولا لم يأت إلى البيت منذ الأمس .

بعد ذلك لم يره أحد لا في بيته ولا في عوامته ولا في المدينة ولا يعرف أحد أين ذهب هل ابتلعته الأرض أم غلب في السماء .

# عقار الغابة

أمريتا بريتم*

كانت "أنجورى" زوجة جديدة لخادم في بيت جار لى مــن جيرانى . جديدة لأنها كانت زوجة ثانية لزوجها. على هـــذا كان زوجها زوج اثنتين لأنه دخل عــــالم الــزواج الثـــاني وأنجورى جديدة لأنها كانت حتى الآن في عالم الزواج الأول وجديدة أيضا لأنها لم تمض على زفافها سنة كاملة .

مضت خمسة أعوام منذ أن ذهب " برابهاتى " إلى قريتــه فى إجازة للاشتراك فى جنازة زوجتـــه الأولـــى والمراســم الأخيرة لها . يقولون إن والد أنجورى قد عصــــر منديــل " برابهاتى " يوم المراسم الأخيرة فى القرية . فمن لـــم يتبلــل منديله بدموعه لموت زوجته يتبلل فى اليوم الرابع أو يــــوم المراسم الأخيرة بمسح جسمها وعندما نهض والد الزوجة فى ذلك اليوم ليعصر ذلك المنديل فكأنه يقول إننى أعطيك ابنتــي مكان تلك الزوجة الميتة فلا داعى لك الآن للبكـــاء . إننـــى جففت منديلك المبتل.

هكذا تم زواج برابهاتي الثانى بأنجورى . ولكن لكونـــها صغيرة وإصابة أمها بمرض وجع المفاصل تأخر زفافها لمدة خمس سنين على أى حال مضت تلك السنون ، الواحدة تلو الأخرى . وكان برابهاتي قد أخبر مستخدميه عند ذهابه إلـى قريته للزفاف على زوجته هذه السنة بأنـــه إمـا أن يـأتى بزوجته لتسكن معه فى المدينة أو لن يرجع مـــن قريتــه . فتردد مستخدموه أولا لأنهم لم يريدوا أن يتحملوا نفقة أكــل شخصين بدلاً من شخص واحد . ولكنهم وافقــوا بعــد مــا سمعوا خادمهم يقول إنه سوف يتخذ المكان الخلفـــي غــير المبلط لغرفته مطبخا لزوجته بعد تنظيفـــه . هكــذا جــاءت أنجورى إلى المدينة ولم ترفع قناعها لمدة أيام أمــام رجــال الحي ولا أمام النساء . ولكن بعد ذلك خفف تدريجياً كــانت أنجورى تضيف إلى رونق الحى عندما تمشى مرتدية حليــها الرنانة . وكذلك تزيد البهاء هناك بابتسامتها العذبة الخلابـــة ومع أنها كانت تقضى معظم أوقاتها فـــى غرفتــها ، إلا أن رونقا عجيبا كان يصاحبها كلما تخرج من بيتها .

" أية حلية هذه فى قدميك يا أنجورى .. ؟ "

" إنها حلقات فضية "

" وماهذا فى أصابعك ...؟"

" إنه خاتم "

" وفى ذراعيك ... ؟

" اسمها بشيلا "

" وعلى جبينك .. ؟"

" يقال لها " على بند ""

" اليوم لم تلبسى شيئا فى خصرك ... ؟ "

" إنها ثقيلة جدا ألبسها غدا ، اليوم أنا ما لبست العقد أيضا فقد انكسر لحامه . أذهب غدا إلى المدينة لإصلاحه كما أشترى حلقة لأنفى كانت عندى حلية كبيرة لأنفى أعطتها لى أم زوجى . "

هكذا كانت أنجورى تلبس حلاها الفضية بتدلل وتعرضها بتدلل .

وبعد قليل لما تغير الجوَ وصارت أنجورى تختنق في غرفتها ، كانت تجلس أمام بيتى تحت أشجار النيم .

وكانت بئر قديمة على مكان مرتفع بالقرب من تلك الأشجار وكانت البئر مهجورة فلم يكن أحد يجلب الماء منها إلاّ أن شارعا كان يعبّد بالقرب منها على نفقة الحكومة . والعمال كانوا يستعملون ماء البئر . لذلك كان يوجد هناك وحل في معظم الأوقات .

" ماذا تقرأين يا سيدتي .. ؟

لما جاءتنى أنجورى ذات يوم كنت أقرأ كتابا تحت أشجار النيم "

" هل تعرفين القراءة يا أنجورى ..؟

" لا أعرف "

" تعلمى ...؟

" لا "

" لماذا .... ؟

" إن تعلم القراءة إثم بالنسبة للمرأة "

" هل القراءة إثم للمرأة فقط وليست إثما للرجل ...؟

" لا ... ، ليست إثما للرجل "

" من قال لك هذا ... ؟ "

" أنا أعرف ذلك"

" لكننى أقرأ ... هل أنا آثمة ... ؟

" النساء فى المدن لا يرتكبن الإثم ولكـــن نســـاء القـــرى يرتكبنه "

انفجرت أنا ضاحكة وضحكت أنجورى ولكن كل ما كانت أنجورى قد سمعت واعتقدته ، كان حقيقة . لذلك لم أقل لـــها شيئا فلو كان باستطاعتها أن تقضى أوقاتها فرحة مســـرورة داخل حدود حياتها ، كان ذلك شيئا حسنا كنت حينذاك أحـدق

فى وجه نجورى كانت ممتلئة الجسم سمراء اللون . يقولون إن المرأ مثل عجينة الدقيق والبعض منهن يكن ألين من العجينة حتى لا يمكن جعلها خبزا مدورا ولكن جسم البعض فقط يكون مثل خمير الدقيق يصعب صنع أى شكل من الخبز منه .

ظللت أحملق فى وجه أنجورى ، وإلى صدرها وإلى أرجلها . إنها كانت متماسكة الجسم متناسقة الأعضاء . وكنت قد رأيت زوجها برابهاتى أيضا كان قصير القامة ، منخفض الوجه .

فلما رأيت شكل أنجورى ، خطرت لى فى نفسى مقارنة عجيبة بأن برابهاتى لا يستحق أكل هذه العجينة المتماسكة . وإن من يضع هذه العجينة مغطاة بغطاء كثيف ، فهو قاسى القلب . فضحكت فى نفسى على هذه المقارنة ولكننى ماشئت أن أشعر أنجورى بهذه المقارنة .

انتقلت بحديثى إلى أمور بسيطة متعلقة بقريتها وأبويها وإخوتها وحقولها ومزارعها ، فسألت :

" ما هى طريقة الزواج فى قريتك .. ؟

" عامة تكون البنت صغيرة فى عمر خمس سنين تقريبا حينما تعبد هى قدم شخص . "

" كيف تعبد القدم ....؟ "

" يحمل والد البنت صينية مملوءة بالزهور وفيها روبيات فيضعها أما الولد . "

" إنها عبادة الأب وليست عبادة البنت ...؟"

" لكن الوالد يعبده نيابة عن البنت "

وهل ترى البنت زوجها المنتظر ...؟

" لا ... ، البنات لا يرونه "

" هل البنات لا ينظرن إلى أزواجهن ... ؟

" كلا .. "

" ألا ترى أى بنت أبدًا ..؟

" لا أبدًا "

" قالت انجورى أولا " لا " ثم سكتت قليلا فقالت:

" البنات العاشاقات ، ينظرن إليه "

" هل بنات قريتك يعشقن ....؟ "

" بعضهن "

" هل البنت التى تعشق شخصا لا تكون آثمة ...؟ " ( فى الحقيقة ، أنا تذكرت كلام أنجورى بأن المرأة تكون آثمة لو تعلمت القراءة ، فتذكرت أن الحب أيضاً على هذا يكون سببا للإثم ) . فقالت أنجورى فورًا :

" إنه إثم ، إثم كبير "

" إذا كان الحب إثما فلماذا هن يحببن أحدا ما..؟"

" فى الحقيقة يطعم شخص البنت شيئا فيتولد فى قلبها الحب نحوه "

" ماذا يطعمها ...؟"

" عقارًا من عقاقير الغابة يضعه فـــى الحلــوى أو فـــى التنبول فتبدأ البنت تحبه وتفضله على كل رجل فى العالم . "

" صحيح ... ؟ "

"نعم أنا أعلم فقد رأيت بعيونى "

" رأيت من ... ؟

" كانت لى زميلة ، تكبرنى قليلا فى السن "

" إذن ماذا حدث ..؟ "

" إنها ، صارت مجنونة .وهربت معه إلى المدينة "

" لكن كيف علمت أنه أطعم زميلتك عقاره ..؟

" هل أطعمها فى حلوى ..؟ أتظنين أنها هجرت أبويـــــها وذهبت معه إلى المدينة ...؟ "

" إنه كان يعطيها أشياء كثـــيرة ! يعطيـــها الســـارى ، وأسورة زجاجية وعقودًا من الدر . "

" هذه أشياء ! ولكن كيف علمت أنه أطعمها عقاره؟"

" إذن كيف أخذت تحبه إذا لم يطعمها شيئا ..؟

" الحب قد ينشأ بدون ذلك أيضا "

" كلا ... ، كيف يمكن لأحد أن يحـــب شـــخصا ويكـــره أبويه ... ؟ "

" هل رأيت ذلك العقار ..؟ "

" لا ... ، ما رأيته هم يجلبونه من بعيد ويخلطونه خفيـــة فى الحلوى أو فى التنبول لذلك نصحتنى أمى بألا آكل شـــيئا من يد أحد ."

" أحسنت جدا بأنك لم تأكلى شيئا من يد أحد ، ولكن كيف أكلت زميلتك ... ؟ سوف تجد ما عملته ؟"

" نعم وجدت ما عملته " قالت أنجورى ذلك ولكنها أحست بعد ذلك بشفقة على زميلتها فقالت فى حزن :

" أصبحت المسكينة مجنونة . فلم تكن تمشط شعرها وكانت تنهض مرات فى الليل وتغنى ."

" ماذا تغنى ...؟"

" لا يعلم أحد ماذا كانت تغنى . إن التى تأكل عقارا تغنى كثيرا . وتبكى أيضا كثيرا . "

انتقل الحديث من الغناء إلى البكاء . فلم أسأل بعد ذلك أنجورى شيئا آخر .

لم تمض إلا أيام قليلة وجاءت أنجورى يوما ووقفت أمامى صامتة قبل ذلك كلما جاءت كان حليها يرن " شم شم" نسمعها وهى على بعد عشرين قدما . ولكن اليوم لا يعرف أحد أين اختفت رنة قدميها . فرفعت رأسى من الكتاب وسألتها ماذا حدث يا انجورى ؟ ظلت انجورى تنظر إلىَّ برهة ثم قالت بصوت خفيض .

" علميني القراءة يا سيدتي ...؟ علميني كتابة الاسم؟ "

" هل تكتبين رسالة إلى أحد ...؟"

لم تجب أنجورى شيئا . وظلت تنظر إلى وجهى لمدة "

" ألا تكونين آثمة بسبب القراءة ... ؟ "

لم تجب أنجورى بعد ذلك أيضًا وبدأت تتأمل فى السماء كان ذلك عند الظهر . أنا ذهبت إلى داخل البيت تاركة إياها تحت شجرة النيم . ولما خرجت مساء مرة أخرى رأيت أنها مازالت جالسة تحت شجرة النيم كانت منكمشة جدا . لعل الهواء البارد فى المساء أثر فى جسمها وتقول : " لاأدرى كيف أقضى عمرى الباقى وخاصة شبابى "

ولما أحست أنجورى بمجيئى خففت من غنائها وأدارتْ وجهها إلىّ وهى تردد أغنيتها تحت شفتيها سرًا

" أنت تغنين جيداً ، ياأنجورى "

وظهر لي أن أنجورى قد حبست دموعها المرتجفة ووضعت مكانها ابتسامة مرتعشة .

" أنا لا أعرف الغناء "

" أنت تعرفين "

" هل سمعت هذه الأغنية من زميلتك ..؟" " غنى لى مرة "

" إنها ليست إلا أعداد . فى السنة ، يكون موسم المطر لمدة أربعة شهور ، والصيف لمدة أربعة شهور والهواء البارد لمدة أربعة شهور."

" لا هكذا . بل اسمعينى بالغناء ...؟" لم تغن أنجورى ولكنها عدت الشهور اثنا عشر على أصابعها. كأنها تعد كل الحساب بها .

" يكون الموسم باردا لأربعة شهور يا حبيبى فيرتعش منه القلوب . ويكون الموسم حارا لأربعة شهور يا حبيبى

فيرتعش منه الهواء . ويكون الموسم مطيرا لأربعة شهور يا حبيبى فيرتعش منه السحاب ."

وجعلت أنجورى تنظر إلى وجهى . أردت أن أضع يدى على كتفها لأسألها . " هل أكلت عقار الغابة يا مجنونة .. ؟ " " وقد وضعت فعلا يدى على كتفها ولكنى سألتها بدلا من ذلك :

" هل أكلت الطعام ... ؟ "

" الطعام " رفعت أنجورى وجهها ونظرت إلىَّ وشعرت بيدى الموضوعة على كتفها بأن جسم أنجورى كله يرتعش . لعل الأغنية التى غنتها الآن عن السحاب المرتعش فى موسم المطر ، والهواء الحار المرتعش فى موسم الصيف ، والقلب المرتعش فى موسم البرد ، قد أثرت أثرا واضحا على جسمها .

كنت أعرف أن أنجورى تطبخ طعامها بنفسها وزوجها برابهاتى كان يطهو الطعام لمستخدميه . وكان يأكل هناك ولذلك لم تكن تنتظره أنجورى على الطعام فسألتها مرة أخرى .

" هل طبخت الطعام اليوم أم لا ...؟ "

" ما طبخته حتى الآن "

" هل طبخت صباحا وهل شربت الشاي ...؟"

" الشاى .. ؟ اليوم اللبن لم يكن موجودًا "

" لماذا لم تأخذي اللبن اليوم ... ؟ "

" أنا لا آخذ اللبن بل ... ...."

"ألا تصنعين الشاى كل يوم ...؟"

" إنما أشربه "

" إذن ماذا حدث اليوم ...؟ "

" اللبن ، فى الأصل رام تارا .... "

رام تارا خفير فى حينا . وهو حارس مشترك لكل واحد . يحرس البيوت طوال الليل . ويشعر بالنوم العميق صباحا .

تذكرت أنه قبل أن تأتى أنجورى كان يأخذ رام تارا كوبا من الشاى من بيوتنا صباحا من بيت ويوما آخـــر مـــن بيــت ويشربه ثم ينام على سريره عند البئر . ومنـــذ أن جـــاءت أنجورى ، كان يأتى بلبن من صاحب جاموس . ثـــم يضـــع على موقد أنجورى قدر الشاى . وكان برابهاتى و رام تـــارا وأنجورى كلهم يشربون الشاى جالسين . حـــول الموقـــد . ولعلى أذكر أن رام تارا كان قد أخذ إجازة وسافر إلى قريتـــه منذ ثلاثة أيام .

شعرت بضحكة مؤلمة ثم قلت لها :

" وأنت يا أنجورى ألم تشربى الشاى منذ ثلاثة أيام "

لم تقل أنجورى شيئا بل هزت رأسها بالنفى فقط ."

" ألم تأكلى الطعام أيضا ... ؟ "

لم تعرف أنجورى الكلام وبدا لى أنها إما لم تأكل الطعـــام مطلقا أو أكلت قدرًا يسيرًا منه .

وقد تمثل أمام عينى شكل رام تارا تماما وسيم القامة سليم البنية ، وصاحب عيون جذابة خجولة ، وذا أسلوب خـــاص فى الحديث

" أنجورى ... ؟ "

" نعم يا سيدتى "

" هل أكلت عقار الغابة ...؟ "

سالت الدموع على وجــه أنجــورى . فبللــت شــعرها وشفتيها. وكانت الكمات الصادرة من فمها أيضـــا مبللـــة " أحلف لك بأننى لم آكل أبدا حلوى من يده ولم أقبل التنبـــول أيضا ، ما عدا الشاى ، يمكن أنه قد .....ثم غرقت أصـــوات أنجورى كلها فى دموعها .

# أحمدك يارب

أحمد نديم قاسمى*

قبل زواجه ، كان مولوى أبو البركات المعروف بـــأبول يعيش فى راحة ورفاهية وكان يلبس بدلاً من المئزر القطنـى مئزرًا حريريًا مخططًا بالخطوط الخضراء . وكان يحمل فى أحد جيوبه البوصلة بينما يحمل صندوقًا فضيًا صغيرًا مليئـًا بمسحوق التبغ فى الجيب الآخر ويرتدى فوق رأسه عمامـة بنية خفيفة تعرف باسم " مشادى لنجى " وذلك لأنـها أتـت أصلاً من "مشاد" فى إيران . أما حافة قبعته المذهبـة فـهى تلمع فوق العمامة . كان يحمل باستمرار عكازًا وهو نوع من الصولجان المحلى بأربطة تزينـه مـن النحـاس الأصفـر والمذهب أما بالنسبة لشعره فقد كان يستعمل زيتًـا معطـرًا تفوح رائحته الطيبة وتنتشر فى أزقة القرية كلما مر منها .

كانت عينا مولوى أبول منتفخة ناتئة بعض الشئ ، وكـان يضع حول جفنيه الكحل بعناية فائقة ويتحلى بالخواتم الفضية ذات الأحجار الزرقاء الكبيرة . إنها الهدايا التى كان يأخذهـا

من الحجاج الذين جاءوا بها من الأراضى المقدسة خلال موسم الحج السنوى . كان يخلع هذه الخواتم من أصابعه خمس مرات كل يوم قبل الوضوء ومع ذلك لم يطرأ أى تغيير على ترتيب الخواتم فى أصابعه .

أم بالنسبة لصوت مولوى أبول فالحمد لله أن هذه الهبة التى أنعم عليه بها الله سبحانه وتعالى كانت تسخر فقط لتلاوة آيات من القرآن الكريم . ولو أن مولوى أبول استغل هذه الهبة فى غناء أغنية ما لبات من المستحيل أن يكبح جموع المعجبات من حسناوات القرية . وفى كل عيد ، بعد أداء الصلاة كان كلما سقط الكيس القطنى الذى يحتوى على ١٥٠ إلى ٢٠٠ روبية جمعت ممن نذروا أنفسهم للدين يوزع مبلغاً يتراوح بين ٤٠ إلى ٥٠ روبية على المصلين من الفقراء والمحتاجين . وبعد كل تصرف من هذا النوع كان يقول : أرجو عدم الدعاء لى . تذكروا الله القوى الكريم . فهو يخلق الحشرات فى الأحجار ويرزقها بالغذاء هناك أيضاً أرجو أن لا تشكرونى فما الذى ضن الله علىّ به ؟ لقد وهبنى الله النعم والصحة والسكينة وراحة البال . إنني لا أحتاج لأى شئ أكثر من ذلك من كنزه اللامحدود من النعم الإلهية .

ولكن بعد زواجه فإن النعم الإلهية قد أخذت شكلاً آخـر . فقد أصبح إنجاب الأطفال فى منزله سمة متكررة . ففى تلـك السنة التى لم تحمل فيها زوجته هرع مذعورًا إلى الطبيـب . حيث أكد أن ثمة خطأ فى جهاز الإنتاج لدى زوجته زيـب النساء. كان إنجاب طفل بمثابة شروق الشمس بعـد الليـل تقريباً. وعندما أشرقت الشمس فى العام التالى فقد اسـتطاع مولوى أبول أن يتنفس الصعداء . وكان من المؤكد بالنسـبة له أن العدد الوفير من الأطفال هو إحدى نعم الله سـبحانه . ولكن المشكلة انه مع مرور الأيام تحول المئزر الحريـرى إلي خرقة أشبه بالممسحة . منذ سنوات ، اختفـى القميـص الحريري فى اندفاع حلمات زجاجات الإرضاع ، وقد حـل محله الآن قميص من القماش الخشن الذى على الرغم مـن الغسيل المتكرر ، بدا قذراً وكأن الحائك قد مـزج القـذارة والوساخة فى النسيج .

ان غطاء الرأس المذهب المـهترئ قـد حمـل بعـض الشعرات الطويلة من شعر اللحية ، وقد بدأ الوبر والزغـب بالزحف منها خارج العمامة . لقد تحولت الفضة فى خواتمـه والذهب فى صولجانه منذ أمد بعيد الى أقراط وقلادات علـى

شكل أجراس من أجل أطفاله ونتأت عيناه من جفونه المحمرة وكأن مولوى أبول كان باستمرار فى قبضة سكرة الموت .

وكالأطفال الذين أتوا فى تسلسل سريع ، تغيرت الأوقات بسرعة أيضاً . لقد كلفه زوج من الأحذية لابنه البكر روبية واحدة . وطلب منه أن يدفع لابنته الصغرى ست روبيات ثمنًا لحذائها . وعندما تذمر قال له صانع الأحذية : مولوى ، إننى لم أطلب منك أن تدفع أكثر من ذلك إكراماً. ولو كان المشترى شخصاً آخر لأقنعته بدفع عشر روبيات بكل سهولة . لقد ارتفع سعر الجلد إلى السماء كما ارتفعت الأسعار فجأة لدرجة أنه يبدو وكأن جميع الابقار والجواميس فى البلاد قد أرسلت الى جبل القوقاز . إن سعر التكلفة هو خمس روبيات واثنتا عشرة أنة ، صدقنى إن ربحى لا يتجاوز الأربع أنات. هيا يا مولوى لا تبدو يائساً وأرجوك لا تعطينى حتى تلك الأنات الأربع . سأجعلك تدفع لى ما صرفته على هذه الأحذية الأنيقة فقط . فلتكن لعنة الله على إن كنت أكذب وإن شاء الله أغرق فى إحدى البحيرات وليحرمنى الله من أن أقبر بشكل لائق .

لو كان من الممكن أن يحصل مولوى على ضروريات الحياة من السماء بواسطة الصلاة والدعاء لكان قد صلى لربه من أجل زوج من الأحذية لأصغر من فى عائلته وهو عمدى . وفى الليل استشار مولوى زوجته ، ولكنها بدلاً من أن تجيبه ، قامت برفع طرف اللحاف بصمت لتكشف عن قدم ابنته الصغيرة العارية . وعند رؤية هذه الأقدام اللطيفة انفجر مولوى أبول بالبكاء كالأطفال .

فى اليوم التالى ، وبعد أداء صلاة الصبح ، ذهب إلى صانع الأحذية ودفع له خمس روبيات واثنتى عشرة أنة واشترى الحذاء . وعندما غادر دكانه أقسم بالله كشاهد عليه أن لا يستخدم التبغ المسحوق الذى كان يحبه .

ومع مرور الأيام أظهر عدد المصلين الذين نذروا أنفسهم للمسجد انخفاضاً ملحوظاً . وفى نفس الوقت كانت تكاليف المعيشة تزداد بثبات . وكذلك الحال بالنسبة لعدد الأطفال فى منزل مولوى أبول . وكان الشيب فى رأس مولوى أبول يتزايد معهم .

عندما أصبح مهران فى الرابعة عشرة من عمره وبدأ سن البلوغ يدق الباب ، أصبحت صلوات مولوى أبول أكثر تركيزًا وأكثر طولاً ، وكلما ركع أو سجد لله عزوجل فى خشوع كان يبدو وكأنه لا يشعر بمرور الوقت ويبقى ساجدًا لأنه لا يشعر كم مضى من الوقت. وفى مثل تلك اللحظات ، لحظات التأمل كان بعض أصدقائه يسعل كى يذكره بأن هناك مصلين آخرين خلفه فى المسجد ، ولو أنهم لم يفعلوا ذلك لوصل مولوى أبول بين صلاتى العصر والمغرب بسجود واحد متصل .

خلال شهر رمضان ، كان يؤم صلاة التراويح فى الليل كالعادة لكن مولوى أبول نفسه الذى لم يكن يرتكب خطأ واحدأ ، بدأ يشرد ويتنقل من إحدى سور القرآن الكريم إلى أخرى . وفى بعض الأحيان كان يكرر نفس السورة مرتين فى نفس الجزء من الصلاة دون أن يشعر .

وذات مرة ، عندما قام شودرى فتح داد ، وهو عضو فى مجلس الحي ، بتصحيح خطأه ، ود مولوى لو يصرخ بأعلى صوته ويرد عليه قائلاً : لديك صفاً كاملاً من الذكور يا سيد

شودري ولو رزقت ببنت وصلت سن البلوغ ، لفهمت حينئذ لماذا أكرر سورة من القرآن الكريم مرتين .

لكن نقد ولوم شودري فتح داد كان دينياً محضاً لأنه كان ذلك المسلم الورع التقى المتدين ، رئيس القرية الذى يبعث لمولوى منذ عدة سنوات الخبز المُعد فى المنزل والمعجون بالسمن مع بعض العدس فى سلطانية الفخار بالإضافة الى صلصة مرق اللحم فى بعض الأحيان .

كان منتظماً جدًا فى إحسانه اليومى ، كأن مهلة يوم أو إهمال يوم واحد قد ينزل عليه غضب الله سبحانه . ولو تأخر تقديم الوجبة اليومية فى المساء لأحد الأسباب فإن شودري فتح داد سيحملها بنفسه الى منزل مولوى أبول ويعتذر على التأخير قائلاً :

" إننى آسف جدًا يا مولوى . إن زوجتى مريضة ، لذا قامت الخادمة بطهى الطعام . إن تلك المرأة قد نسيت أنه لو تأخر عمل الخير هذا لأصبح على أن أصوم يوماً لأكفر عن ذلك " لقد اعتبر الهدية اليومية لمولوى أبول جزءاً من عبادته اليومية .

إن أعمال الخير هذه كانت متنوعة . ففى يوم الخميس لم يعجن الطحين ولم تشعل النار فى الموقد . وكان المتدينون المتحمسون لمولوى أبول يبعثون حوالى اثنى عشر رغيفاً كبيرًا من الخبز السميك . وبسبب إدراك زيب النساء لمسئوليات زوجها المتزايدة باستمرار ، لذا فقد بدأت بتدريس القرآن الكريم للبنات الصغيرات فى القرية . وفى يوم الخميس عندما كانت تحضر كل واحدة من البنات قطعة صغيرة من السكر على الخبز فإن زيب النساء ستملأ على الأقل سلتين ، حيث كانت هذه السلال الصغيرة تستعمل لحفظ كسرات الخبز الذى خبز فى المنزل فى مثل تلك الأيام فإن العائلة كلها تتناول وجبتين كاملتين كبيرتين وكان كل ما يوفر من الطعام يجفف فى أشعة الشمس أربع مرات فى الشهر ، وكان يغلى فى شراب الجكر أي السكر الأسمر كي يصنع منه طبقاً من الحلوى .

ولكنه كانت هناك مشكلة أخرى . فبالإضافة إلى الخبز الذى يلزمهم لملء بطونهم ، كانوا يحتاجون أيضا إلى الملابس ليكسوا بها أجسامهم . فكان شودرى فتح داد يقدم الملابس الجديدة لمولوى أبول مرة كل عام بعد كل حصاد . وكلما جاءت تلك الملابس يظهر دكان الخياطة فى منزل

مولوى أبول. حيث تقوم زيب النساء بمساعدة مهرون وزبدة وشمسون بقصبهم وتحويلهم إلى مقاس أصغر من أجل الأطفال الأصغر سناً . أما بالنسبة للعمامة الإسلامية فإنها تعامل أيضاً بنفس الطريقة . وهكذا يتقى أطفال مولوى أبول شر العرى الكامل . ولو استلم فى أى وقت بعض المال الإضافي من أجل إجراء مراسم الزواج أو أداء صلاة الجنازة ، فإن هذه الزيادة تدخر ويقفل عليها عادة فى صندوق معدنى .

مع مرور الوقت ، زادت شهية الأطفال ، بينما ضمرت ونحلت أجسامهم . وذات مرة دخلت أساور زيب النساء بشكل مريح وأنيق فى معصمها . أما اليوم فقليل الحركة يجعلها تنزلق بسهولة الى كوعها . وبدت وكأن جذوة شبابها التى كانت تشع خلف رموشها الطويلة السميكة قد تحولت إلى رماد بارد وبدا هذا الرماد وكأنه يتطاير على وجهها مع كل طرفة عين .

لقد وقع مولوى أبول فى دوامة الحياة . كانت تلك هى الأيام التى بدأ يناديه بها الناس مولوى أبول بدلاً من أبى البركات وهو اسمه الكامل . لم يكن الزمن لطيفاً معه . أصبح الشعر حول صدغيه أبيض فضياً . وأصبحت أسنانه

و لثته ضعيفة واهية . أصاب الوهن أسنانه التى لم تعد قادرة على البقاء فى لثته وذلك منذ أمد بعيد . ولكن صوته الرنـان بقى على حاله . وعلى أية حال ففى بعض الأحيـان كـان صوته أيضا يرتجف وكان ذلك مدعاة دهشة كبار السن فـى القرية الذين طالما وقفوا خلفه ليؤمهم فى الصلاة .

كان شودرى فتح داد هو الوحيد الذى عـرف السـبب . حيث إن مولوى أبول فتح قلبه مرة له وصارحه عن شـريك الحياة المناسب من أجل مهرون . لقد أخذ شـودرى بعيـن الاعتبار أهلية وجدارة جميع الشباب فى القرية . كان يجـد بعضهم مناسباً ، لكن المشكلة هى أن كل من فـى المجتمـع عرف مولوى أبول جيدًا . لقد عرفوا أن مولوى قد كبر ونشأ على تناول كسرات الخبز المجففة . وكان لدى البنـات فـى مثل هذه المنازل دفئاً أقل ودموعاً أكثر . ولم يكن سـرًا أن العشرين روبية التى حصل عليها مولوى أبول فى العيدين لم تستطع أن تؤمن له حتى القبعات والأحذية لأطفاله التسعة إذا تجاوزنا مهر مهرون . لقد حـاول شـودرى فتـح داد أن يتفاوض مع زوج من المسنين ولكنهم جميعاً رجعـوا الـى الوراء وكأن النحل قد قفز فجأة من سلة من الزهور .

كان أقصى ما يدعو ويصلى من أجله مولوى أبول وزيب النساء هو الفاكهة . أما خدايار فهو شاب من القرية ، سـافر وعند عودته فتح محلاً تجارياً صغيرًا للأقمشة . لقـد عـاد يحمل اسماً جديدًا ، فهو الآن يدعو نفسه شميم أحمد .

إنه الابن الوحيد لحافظ . بعد موت والده ، حاول خدايـار أن يحذو حذو والده . ولكن بعد ذلك بفترة وجـيزة عندمـا أصبح فى السادسة عشرة من عمره تقريباً فر هاربـاً إلـى المدينة تاركاً وراءه والدته المسنة . بعد ذلك علموا أنه عمـل فى منزل رئيس المحاسبين ومن ثم فقد استطاع أن يفتح دكاناً صغيرًا على ممر للمشاة وبدأ فى بيع الأقمشـة . وبعـد أن ادخر بعض المال وكسب بعض الخبرة فى التجارة ، غـير اسمه فأصبح شميم أحمد ثم عاد إلي القريـة . كمـا رجـى مولوى أبول أن يفتتح دكانه ويباركه وذلك بأن يكـون أول زبائنه .

وفى ذلك اليوم ، ولئلا يخيب أمل صديقه السابق ووالدتـه العجوز ، فقد اتخذ مولوى أبول قرارًا هاماً . مضـى الـى زوجته قائلاً : " يا أم عارف ، إن شميم أحمد يريد منـى أن افتتح دكانه وذلك بأن أكون أول زبون له . إن كنت توافقين،

دعينا نشترى قطعة من القماش لبدلة مهرون . على أية حال فإننا سنحتاج اليها من أجل جهازها . إن شـــرائى بحضـــور أهالى القرية كلهم قد يؤثر عليهم . وعلاوة على ذلـــك فـــإن شميم هو صديقى القديم ولا أستطيع أن أخيب أمله ، كما أنـــه الابن الوحيد لحافظ عبد الرحيم رحمه الله ووهـــب روحـــه السكينة " . هنا توقف مولوى أبول ، ورفع رأسه نحو السماء وقال هامساً: يــ الله ، أشعر أن الله القوى العزيز قد أحضره الى القرية من أجل مهرون . إن نزوله هاهنا قد يكون مـــن أجلها فقط وعند سماع هذه العبارات المنعشة تحـــول رمـــاد عينيها فجأة إلى جذوة متقدة " .

" أرجو الله أن يباركك " قالت من غير تفكير وأخرجـــت فوراً مفتاحاً معلقاً بخيط حول رقبتها مخبأ تحـــت قميصـــها الفضفاض الطويل ثم فتحت صندوق الثياب وأخرجت منـــه علبة من القصدير ووضعتها أمام زوجها .

عندما فتحت العلبة أصبحت عيناها فجأة متألقـــة مشـــرقة تترقرق فيها الدموع دون أن تنهمر . وفى ذلك الوقت دخلت مهرون . وعند رؤيتها ، طلبت منها زيب النساء أن تذهـــب لتلتقط كسرات الخبز التى كانت تجفف بالشمس . ولبرهـــة ،

نظرت مهرون بدهشة من هذا الأمر . ثم استدارت وهي تبتسم وكأنها كانت تفكر . أننى أعرف سر استعداد أبي لافتتاح دكان شميم أحمد .

بينما كان يراقب مشيتها الرشيقة ، شرع مولوى أبول يحصي مدخراته . لقد كانت ٤٣ روبية . وهكذا وضع النقود في جيبه ووقف ببطء قائلاً : " صلى يا أم عارف . فلو استطاعت مهرون الزواج بطريقة ما ، فإن كل قلقي وحيرتي سيتبددان . سأشعر حيئذ إننى خفيف كالريشة ، لبضع سنوات قادمة على الأقل .

عندما وصل مولوى أبول الى دكان شميم أحمد الجديد ، وجد حشداً من الناس المتفرجين وقد تجمعوا هناك لمشاهدة الافتتاح . وكان معظم المتفرجين من النساء اللاتي دفعهن حب الاستطلاع للإبطاء في مشيتهن لمشاهدة العرض الملون بشوق شديد . افتتح مولوى أبول الدكان بتلاوة آيات القرآن الكريم بصوته الجهوري القوي . بعد ذلك ، قام باختيار قطعة من القماش القرنفلي اللون ذي الأزهار الجميلة وسط نقاط صفراء اللون .

" سوف أحتاج لقطعة من القماش من أجل فستان شابة صغيرة . قال ذلك بصوت مرتفع " .

التقط شميم أحمد عصاه مبتهجاً وقال بصوت منخفض " باسم الله " ثم قاس سبعة أمتار وأمسك بالمقص وهو يكرر نفس الكلمات المقدسة ثم قص القماش . بعد ذلك ، قام بطيها بطريقة مرتبة ووضعها أمام مولوى أبول بكل احترام . وقد بدا وكأنه يقدمها هدية له .

" كم أدفع ثمنها ؟ " سأل مولوى أبول وهو يضع يده فى جيبه . تردد شميم أحمد خارجاً عن الاحترام لحظة ثم مسح كفيه وتنحنح مجيباً : " ست روبيات للمتر الواحدة ، فيكون المجموع ٤٢ روبية يا سيدى " .

وقعت كلماته موقع القذيفة على مولوى أبول . وفجأة شعر وكأن القماش يتساقط فوق رأسه من الرفوف المختلفة لفة . وراء لفة . فشعر بالدوار وأخرج يده من جيبه التى كانت تحتوى كل مدخراته . ثم احتفظ بروبية واحدة ودفع الباقى بسرعة لشميم أحمد .

" شكراً يا سيدى " ، قال شميم ووجهه يحمر خجلاً لفـرط سعادته . " إنك أصبحت زبونى الأول وإنى أعتبر ذلك فـأل خير . ولهذا السبب فأنا لم أقدم لك أى تنازل اليوم ، ولكنـى خادمك المتواضع يا سيدى ، وبإذن الله سـأعوضك قريبـاً بطريقة أخرى" .

وضع مولوى أبول لفة القماش تحت ذراعه ونهض مـن مكانه كى يغادر الدكان . تمنى من الأعماق أن يضيـف : " إن الله سيعوضك يا شميم أحمد . وإن كنت بعتنى قماشا فأنـا أيضا حاولت أن أبيع ابنتى . ولكن بعد فترة وجـيزة خمـد إحساسه الأليم بفقدان كل مدخراته ، فابتسم وبـارك شـميم أحمد وأخذ يمشى ببطء نحو المنزل .

فى إحدى الأمسيات ، بعد بضعة أيام ، طـرق أحدهـم الباب. وكانت عادة النقرة البسيطة على الباب تعنى أن أحـد المحسنين قد أتى بالأرز المطبوخ أو طبق الحلوى . ولـهذا السبب كان الأطفال بمجرد سماعهم الطرقة يـهرعون إلـى الباب بفرح شديد . ولكن الله وحده يعلم لماذا أمرهم مولـوى أبول أن يتوقفوا . لقد ذهب إلى الباب بنفسه وفتحه . فتدفقـت موجة من العطر داخل المنزل .

" السلام عليكم ، يا سيدى المحترم " . لقد سـمع صوتـاً مألوفاً . إنه صوت شميم أحمـد . وبعـد تبـادل التحيـات التمهيدية، قال شميم أحمد ببعض التردد :

" إن هذه ساعة غير مناسبة ، إنى أعلم هـذا ، وأعتـذر لذلك ، ولكننى أتيت ولى طلب خاص يا سيدى " .

وقعت هذه العبارات البسيطة موقع الموسيقى على أذنـى مولوى أبول حيث شعر برعشة وخطرت له خاطرة . وبـدلاً من الإصغاء لطلب شميم أحمد على عتبته حيث يمكنـه أن يفعل ذلك فى مكان آخر على انفراد . لذا استدار وصرخ يـا أم عارف ، إنى خارج وسأعود قريباً . وهكذا سـار نحـو المسجد ، بينما تبعه شميم أحمد دون أن يتفوه بكلمة واحدة .

لقد ذهبا إلى مكان يقع فى إحدى نهايات المسـجد ولكـن بعض المصلين كانوا هناك ، حيث أشعلوا النـار وجلسـوا حولها يتدفأون . وكان أحدهم يروى قصة حول عدالة الخليفة هارون الرشيد ، بينما كان الآخرون يصغون إليه بانتباه شديد . لذا فقد ذهب كل من مولوى أبول وشميم أحمد إلى زاويـة

أخرى من المسجد . كانت تلك الزاوية معتمة وتستخدم عـادة لأداء الصلاة فى عزلة تامة .

دخل مولوى أبول هذه الزاوية من المسجد تاركـاً وراءه شميم أحمد . وهناك ، أشعل بعود الثقاب غصناً.جافاً أنار بـه لمبة خزفية . أضاءت الشعلة بشكل متقطع لفترة وجيزة ثـم أصبحت ثابتة بعد ذلك . وفى هذا النور لاحـظ مولـوى أن شميم أحمد لم يحلق ذقنه منذ عدة أيام ، وبدا كأنه يربى لحيته . والآن بدأ ينظر بتوتر الى ألسنة اللهب المتقطعة .

ولكى يشعره بالارتياح ، قال مولوى أبول بلطف : " مـا هذا يا بنى ؟ " . أغمض شميم أحمد عينيه وتردد لحظة ثـم أجاب : " لو أنك تسمح لى يا سيدى ، سوف أبدأ " .

" نعم بالطبع يا بنى . ما هذا ؟ " ثم ربت على ظهره كـى يشجعه . شعر شميم بالارتياح ، لكنه لم يستطع التغلب علـى الإحساس بالحرج . فبدأ يمسح يديه لكسب الوقت . وأخـيراً جمع شجاعته وهيأ نفسه فبلع ريقه وشرع يقـول بصـوت منخفض : " الحقيقة أنه كان على والدتى أن تفعل ذلك ولكنها مريضة تعانى من مشكلة فى القلب ، وقد أتيت لهذا السـبب "

. ثم توقف عن الكلام . لقد أحسنت صنعاً ، قال مولوى أبول بحنان .

" إن طلبى هو .. أعنى يا سيدى .. أرجو أن تقبلنى عبداً لك أعنى .... ! " ثم توقف فجأة وتلعثم فى كلامه . لقد استخدم حتى الآن العبارات التقليدية . ولكن الحرج قد غلب عليه بعد ذلك .

لم يستطع مولوى أبول أن يصدق ما سمعه ، ولكى يتأكد من ذلك سأله ما الأمر يا بنى ؟ . إننى لا أفهمك تماماً . تريدنى أن أقبلك ... ؟ "

" نعم يا سيدى ، عبداً لك . قال ذلك شميم أحمد بسرعة دون تفكير ، أعنى .. إن لم يكن لديك مانع فإننى سأبعث والدتى بطلب الزواج ، سيكون شرف لى يا سيدى أن أصبح ابنك .. أعنى ... فكر شميم أحمد وقال لنفسه يا للخيبة ما أصعب ذلك .

ولفرط سعادته وخوفه وارتباكه فإنه لم ير الدموع التى انحدرت بصمت على خدى مولوى أبول والتى امتصتها

لحيته. فى ذلك الصمت توقف الزمن تقريباً بالنسبة لكليهما . وبدا أنهما قد شعرا بالدوار .

تنهد مولوى أبول ومسح دموعه من عيونه ووجهه بطرف عمامته المتدلية . ثم قال بصوت مرتجف : يا إلهى إن البنات مخلوقات بائسة صامتة لا حول لها ولا قوة ، وأنت القوى العزيز .. وأمسك بيد شميم أحمد وأضاف قائلا : " إنهن للزواج يا شميم أحمد فلم لا أعطيك ابنتى للزواج أيضاً . أنت ابن صديقى العزيز وإن ابن أخى حافظ عبد الرحيم هو ابنى أيضاً . تعال يا بنى . وهكذا عانق شميم أحمد بحرارة .

بعد نصف ساعة ، عندما وصل المنزل ، سألته زيب النساء: " من أين أتيت بهذه الرائحة العطرة ؟ " فنظرت مهرون إلى أعلى وكانت قد فرغت من خبز آخر رغيف لتوها قبل أن يجيب والدها حيث قالت : " نعم يا أبى ، ياله من عطر رائع ، إن رائحته تفوح فى جميع أنحاء المنزل " .

عند رؤيته صامتاً ، ذهبت إليه زوجته وقالت له : ما الأمر؟ استفسرت بطريقتها الرقيقة . فنظر مولوى أبول نحو ابنته الكبرى أولاً وبعد ذلك نظر نحو ذلك الصف من الأطفال الذين ظهروا أمامه معاً والله يعلم من أين جاءوا .

لقد تجمعوا حول أختهم متسائلين مستطلعين ولكنهم مستعدون للتراجع لو وجدوا مزاج والدهم لا يســـمح لــهم بالبقــاء . ونظروا بيأس لأنه عاد دون أن يحمل شيئاً بيديه . كان يجب إسعادهم قبل كل شئ ، لذا صرح ببطء : " إن جميع أطفــالي سيحصلون على طعام خاص هذه الليلة ، وهـــو قليــل مـــن السكر مع الخبز". كان لذلك أثر بليغ على الأطفـــال حيــث أشرقت وجوههم وابتهجت فى الحال . بعد ذلك ذهـــب إلـــى زاوية أخرى من فناء المنزل وجلس على سرير وثير .

" تعالى هنا يا أم عارف " ، بدا فرحاً سعيداً نادى زوجته. ثم أخبرها ما حدث بالتفصيل . وفى البداية لم تصدقه زيــب النساء ،لكنه عندما أقسم وكرر نفس القصة بدأت تبكى . لـــم يكن هناك أى نحيب بل مجرد فيض من الدمـــوع انـــهمرت على خديها كساقية لا تنقطع . " لا تبكى يا زيبون " قال لـــها بحنان إنه قلما يخاطبها بهذه اللهجة ، ولكن هذا اليوم هو يوم خاص " لقد استجاب الله لدعائنا . وعلينا أن نطأطئ رؤوسنا إجلالا له " .

كانوا لا يزالون ضائعين فى ســـعادتهم الجديـــدة عندمـــا سمعوا فجأة الباب يطرق ثانية ، وقبـــل أن يـــهرع أى مـــن

الأطفال ليفتح الباب ، رفع مولوى أبول صوتـــه قــائلاً : " انتظر . دعنى أرى من الطارق " . ثم ذهب الى الباب وفتحه . كان شودرى فتح داد يقف هناك وقد لف نفســه بالشـــال ، وبعد ذلك أمسك بيدى مولوى أبول بحرارة وعانقـــه قــائلاً بصوته المنخفض : " تهانينا يا ســيدى . أخــيراً أثمــرت جهودى".

" نعم يا شودرى العزيز إننى ممتن لك وأعترف بــالجميل لله القوى العزيز " .

" إن شميم شاب طيب يا سيدى وأرجوك أن تأخذ قــراراً دون تأخير ، فمن يدرى ماذا يمكن أن يحدث . " قال ذلــك وأخرج حقيبة قطنية من تحت شاله وقدمها لمولوى أبـول " . " إن هذه هدية متواضعة أرجو أن تعطيها لابنتــى بالنيابـة عنى".

عاد مولوى أبول الى زوجته وهو يشعر بالامتنان وبعض الدوار ثم فتح الحقيبة وهو يكاد يسمع ضربات قلبــه . وقــد ربطت الهدية بمنديل حريرى وهى عبارة عن طقم مكون من

قلادتين ذهبيتين مزينتين بحجرين كبيرين لامعين ، وقد لفا في ورقة نقدية من فئة المائة روبية .

بعد بضع أيام ، بدأت الاحتفالات التى تقام عادة قبل الزواج ووضعت العروسة المنتظرة "مهرون" فى عزلة فى غرفة مستقلة حتى اليوم الميمون . وقد غطيت يديها وقدميها بالحناء . أما الأغانى الخليعة التى ترافق عادة احتفالات الأفراح فلم يغنها أحد ذلك لأن هذا هو بيت مولوى أبو البركات وهكذا جلست بنات القرية فى دائرة حول العروس الخجول. كما غنت الفتيات أغانى الحب والصداقة والزهور وعطرها والموسم الشاعرى الممطر الذى يتمتع بمغزى خاص بالنسبة لشباب وشابات الريف فى البنجاب . كما غنوا الأغانى الحلوة حول روعة اللقاء ولوعة الفراق .

من ناحية أخرى ، لم يستطع أحد أن يمنع شميم أحمد من الاحتفال بزواجه بالطريقة التى يرغبها . وهكذا فقد جاء ليتزوج مهرون وسط الألعاب النارية والموسيقيين الذين عزفوا الألحان المرحة الجميلة فى تلك الليلة ، بعد الكثير من الهمس فى إحدى زوايا المنزل ، فتحت صناديق عديدة بعد جرها إلى الخارج .

وفى صباح اليوم التالى عندما عرض جهاز العروس فى ساحة الدار ، دهش كل من فى القرية بما رأوه . لم يتأثر هؤلاء الناس كثيرا بالأقمشة الملونة لأن ذلك كان عاديا بالنسبة لهم ، ولكنها المجوهرات التى خلبت لبهم والتى كانت لا تصدق . واعتقد البعض سرا أن مولوى كان عنده تعويذة خاصة ذات ستر تغدق عليه النعم وتمكنه من الحصول على أى مبلغ من المال يريده من الملائكة .

وكان فى الحشد أيضا عجوز شمطاء ذات صوت مرتفع،وبدا أن لها آراء أخرى ، حيث أشارت بهمسة مرتفعة الى أن العديد من الفساتين فى جهاز العروس ، كان لامرأة أخرى توفيت وهى فى ريعان شبابها . وهناك أشياء أخرى هى جزء من جهاز زيبون . حتى الأساور وخاتم الأنف الذهبيتين فهى أيضا لها . قالت بقناعة . ولكن القلادتين الذهبتين ؟ رفعت عيناها ونظرت نحو السماء وكأنهما كانتا هدية من هناك .

بعد انتهاء احتفالات الزواج ، كان على مهرون أن تجلس فى المحفة المزينة الجميلة ، فقد كانت مغطاة بقطعة قماش حريرية كبيرة وذلك لكى تذهب العروس إلى منزل العريس

فى البردة التى تحجبها تماما . وعندما حملها قرويان قويـــان وسارا بها ، مشى مولوى أبول معها بضع خطوات ، لابـــد أنه قد بكى بصمت بسبب احمرار عينيه وأنفه كما بدا عليـــه الشحوب . وفى نفس الوقت بدا هادئا مطمئنا . عندما رجـــع إلى منزله ، ظهرت زيبون فجأة من وراء البـــاب ، حيـــث أمسكت بيده وانفجرت بالبكاء . " لا تكونى سخيفة يا زيبــون . هل أخذت مهرون زبدا معها أيضا ؟ وماذا عن شمسون ؟ " وفجأة تذكر شيئا . " يا أم عارف أين زبدا ؟ " سألها هامسا . فأجابته : " إنها فى الداخل تبكى " فنادى مولوى أبـــول : " يا زبدا .

بعد بضعة دقائق خرجت زبدا من الغرفــــة وقـــد بـــدت حزينة. كانت هناك بقع كبيرة مبللة من الدموع على غطـــاء رأسها الوردى اللون . وعندما حدق بابنته الثانية فالله يعلم ما الذى رآه مولوى أبول فيها . لقد اختفت ابتسامته فجأة وبـــدا عليه الذهول بسبب صدمة ظهرت على وجهه . ثم أمسك بيد زوجته وجرها بطريقة تخلو من البراعة إلى زاوية أخـــرى من ساحة الدار مما أذهل الأطفال الذين ظهروا أمامه توا .

" يا أم عارف هل لاحظت ؟ " قال هامسا ، " إن ابنتنا قد نضجت فجأة فهى أيضا جاهزة للزواج . وبدا له كأن هذه المراهقة قد نضجت سرا ، كما يحدث للبراعم البرية . لقد أصبحت زهرة جذابة مخبأة خلف مهرون وقد أصبحت الآن متفتحة تماما .

ولفترة وجيزة ساد الصمت التام ، ثم تنحنح مولوى أبول وقال ، ربما ليؤكد لنفسه أكثر من تأكيده لزوجته : " لا تقلقى يا أم عارف ، إن الله القوى العزيز لطيف كريم وإنه لإثم أن نفقد إيماننا بالله عز وجل " .

عند ذلك أدركت زيب النساءأن زوجها كان لا يزال يمسك بيدها ، وأن الأطفال كانوا يرقبون بصمت . ثم سحبت يدها وقالت : أستحلفك بالله ، فهم جميعا يراقبوننا .

دون أن يعى ما يحيط به . كان مولوى أبول يفكر فى مكان آخر . وكأنه مغشى عليه ، أخذ ينادى شمسون . تقدمت ابنته الثالثة ببطء وأخذت تمشى باتجاههم . وما رآه فيها لأول مرة جعله يشعر بالدوار . إن هذه الفتاة أيضا قد كبرت بينما ضاع والداها بمشاكلهما . إنها تتمتع برشاقة

وتناسق الغزال . إنه الزمن القاسى الذى لا يرحم الذى حوله من برعم صغير خجول إلى زهرة متفتحة عطرة .

شعر مولوى أبول بكتلة كبيرة فى حلقه ، شعر بالفراغ وببعض المرض والكآبة . ثم نظر إلى أسفل قائلا : " لا بأس يمكنك الذهاب الآن"

بعد ذلك استدار نحو الباب الأمامى وكأنه كان على عجلة من أمره كى يفر هاربا من هذا المسكن حيث كانت البنات فيه تستعد للزواج فى مثل هذه السرعة المنذرة . نظرت شمسون إلى تصرف والدها غير المعتاد بدهشة . أما والدتها فقد استمرت تذرف دموعها الصامتة .

توقف مولوى أبول خارج المنزل برهة وهو غارق فى أفكاره. وكان الزقاق مهجورا وقد بدا كل شئ هادئا بشكل غير طبيعى بعد ضوضاء حفل الزواج . فالتقط نفسا عميقا وأخذ يمشى باتجاه الجامع بخطى حزينة كئيبة . بعد زواج مهرون ببضعة شهور . افتتحت مدرسة ابتدائية للبنات فى القرية . وهكذا تناقص عدد البنات اللاتى كن يأخذن دروس اللغة العربية من زيب النساء بشكل ملحوظ . وقد غزت

موجة التحديث القرية ، وكانت إحدى النتائج الهامة لذلك هى تناقص عدد الذين يأتون للصلاة بالمسجد .

فى كل هذه السنين ، كان لدى مولوى أبـــول مصـــدران أساسيان للالهام كان له إيمان مطلق بهما ، كـــان المصـــدر الأول هو الله القوى العزيز وبعده شودرى فتح داد .

إنه حتما الكرم الإلهى الذى يطيل عمر الخطـــائين مثـــل مولوى أبول وزيب النساء ويحمى جميع أطفالـــهم ويدعـــهم يعيشون بينما تتزوج مهرون فى مثل هذه الأبهة لدرجـــة أن عروض الزواج التى لا تنتهى من أجل زبدا وشمسون كانت تنصب عليهما صبا . لكن دأبه الشديد فى البحث عن الزواج المناسب لمهرون لم يكن موجودا فى حالة الفتيات الأخريات.

لم تستطع زيبون أن تفهم موقفه أبدا . وكان يقول لها كلما تذمرت : " لا تقلقى . لابد وأن يأتينا شئ . لقد دعـــوت الله من أجل شباب مناسبين " .

كان بعد كل صلاة يفكر عادة فى شودرى فتح داد . كـــم أنه كان محسنا وحنونا . ولكن شودرى قد مـــرض خـــلال

الأيام القليلة الماضية . وظهرت دمامل كبيرة قرب الفقــرة . وقد عالجه حلاق القرية الذى كان يعتبر جراحا ماهرا أيضا.

أخيرا ، فى أحد الأيام أجريت له عملية . ولكن فى ذلـــك المساء ساءت حالة شودرى فتح داد . حيث ارتفعت حرارتـه بشكل ينذر بالخطر ، لذا فقد استدعوا مجموعة من أحســـن الأطباء من جميع أنحاء المنطقة .

لقد كانت أياما عصيبة بالنسبة لمولوى أبول وعائلته ، فقد كانوا جميعا تعساء صامتين . فى مثل هذه اللحظات العصيبة من الكآبة كان الأطفال الأصغر سنا كلما لعبوا ألعابـــا تثـير ضجيجا فى ساحة الدار أو مع باقى أطفال الحى .

كان مولوى أبول يصرخ قائلا : اصمتوا أيها الشـــياطون التافهون ، بينما يرقد سيدى شودرى هناك فى حالة خطـــيرة فإنكم تضحكون وتلعبون هنا ؟ يا لكم من تعساء لا تعــترفون بالجميل ، حمدا لله أن شودرى فتح داد كان هنا . لو أنه لـــم يأت لنجدتنا لمات نصفنا جوعا . أدعو الله أن يشفيه بســرعة أيها الناكرون للجميل.

أخذ مولوى أبول يزور شودرى كل صباح ومساء كـــــى يستعلم عن صحته . ولكنه لم يستطع أن يتحدث عن شــؤونه العائلية بحضور حشد كبير من الزائرين . عند رؤية مولوى أبول فإن شودرى فتح داد يحاول يائســــا أن ينـــهض علـــى ساعديه لكنه بشئ من الألم يرجع إلى الوراء ووجهـــه إلـــى أسفل . بعد ذلك فإنه يهمس قائلا : صل وادع لى يا ســيدى العزيز .

أما مولوى أبول فإنه يرفع يديه نحو السماء والدموع فـــى عينيه كى يواسيه . فى أحد الأيام ، عندما ذهب مع أبنائـــــه لزيارة شودرى ، وجده وحيدا مع أحد أبنائه . وكـــان يبـــدو أحسن حالا فى ذلك اليوم حتى أنه ابتسم قليلا . لقد صــــافح مولوى أبول وطلب من ابنه أن يتركهما كى يتحدثـــا علـــى انفراد. بعد ذلك سأله : " كيف حال الفتيات يا ســيدى ؟ " . " إنهن بخير والحمد لله ، وهن يواظبن على الدعاء لك بالشفاء العاجل " . أجاب مولوى أبول .

" وماذا عن خطابهن ؟ سمعت أن العديد منهم أتى ." " نعم هناك الكثير . " فسأله شودرى فتح داد وهو يحدق باســتمرار فى وجه مولوى: " هل اخترت أحدا منهم ؟ " إن حملقتـــه

تلك جعلت مولوى يشعر بعدم الارتياح ، حيث حاول أن يفتح ثغرة ولكنه خاب أمله ووجد أن ليس لديه ما يقولـــه . وفـــى النهاية استطاع أن يقول : " كيف يمكننى أن أختار أحدهــم ؟ إن الله سبحانه هو الذى يفعل ذلك " . " من يستطيع أن يـــأخذ قرارات تتعلق بالخطبة من أجل الزواج ، يا سيدى فتح داد ، فى منزل فارغ لا يمكن أن تجد فيه حتى أكـــل القـــوت ؟ " وساد الصمت برهة ، ثم قال شودرى فتح داد بأسف : " هـــل أنا ميت يا سيدى ؟ " فقاطعه مولوى أبول قائلاً : " لا ســـمح الله يا سيدى شودرى. إن شاء الله تشفى بسرعة ويمنحـــك الله طول العمر . وعندما تشفى تماماً فإننا سوف نختار هـــؤلاء الشبان معاً " .

" نعم يا سيدى سنفعل ذلك إن شاء الله ، ولكن عليـــك أن تباشر ذلك ، حيث يجب أن تـــدرس طلبـــات الـــزواج دون إبطاء. فإن كان هناك فتاة فى عمر الزواج فى المنزل فـــإن الأيام تصبح قروناً . لا تقلق فإن الله سبحانه سيدبر كل شئ . والآن أخبرنى يا سيدى هل تحصل على المعونة بانتظـــام " نعم . أجاب أبول . ومرة ثانية ساد صمت كل منهما ، ثـــم سأل شودرى عن أحوال مهرون ، وعندما علم بأن حماتـــها

تسئ معاملتها وتعيرها بفقرها ، قال : " لا تقلــق . عندمــا ترزق ابنتنا بمولود ابعث الأقمشة الحريرية والقبعات الذهبية والأساور الجميلة وارفقها بأجراس ذهبية صغيرة . بعد ذلــك سترى كيف ترتفع مكانة مهرون ألست على حق يا سيدى؟".

" إنك على حق يا سيدى شودرى . " قال مولــوى أبــول لنفسه . " ولكن هل فكرت من سيقوم بتقديــم هــذه الــهدايا القيمة؟ " بعد نصف ساعة عاد الى منزله " يا أم عارف أيــن أنت ؟ " شرع يناديها من عتبة الدار .

فوجئت زيب النساء بسماع صوته المبتهج . فهرعت إليــه بقلق.

" بارك الله فى الجميع . كيف حال ســيدى شــودرى ؟ " سألته .

إنه أحسن حالا . ولكن أخبرينى يا أم عارف ، كيف حال مهرون ؟ هل هى تتوقع طفلا حقيقة ؟ ومتى سيكون ذلــك ؟ وفى هذه الحال من الابتهاج والتأثر أخذ يسأل كـــل أنــواع الأسئلة.

" آه بالله عليك كن صبورا . أجابته زوجته ثم أعطته كل التفاصيل وهى تهمس همسا .

فى ذلك المساء ارتدت زيب النساءحجابها وبرفقة عارف ذهبت لزيارة مهرون . عادت متأخرة فى الليل وأبلغت مولوى أبول أن ابنتهما كانت تعانى من ألم شديد . بعد ذلك بليلتين طرقت بابهم الداية فأيقظت بذلك كل من فى المنزل لتخبرهم أن مهرون قد رزقت غلاما .

لم يستطع مولوى أن ينام فى تلك الليلة حتى الصباح ، حيث أيقظ زيبون وسألها : " ماذا يحدث الآن ؟ " " كيف حال شودرى ؟ " أجابته بسؤال آخر " إن الله سيرحم " أجاب مولوى أبول " هل يمكننا أن نبعث على الأقل ثوبا من الحرير لحفيدنا ؟ سألته بعد أن صمتت برهة .

" هل جننت ؟ ليس لدى حتى الكفن لأقدمه له " .

" لا سمح الله . وإليه المصير " . لمست أذنيها ثم بدأت تدعو لحفيدها بالعمر المديد .

" إذا لم تبعث أى شئ . فإن حياة ابنتى ســتصبح بائســة حقيرة ولن يتقدم أحد لخطبة زبدا أو شمسون " . قالت ذلــك محاولة إقناعه .

" فليبقوا حتى الكساد والتعفن ليس لدى حتى كفنا واحــدا لنفسى ، بينما تطلبين ملابس حريرية للمولود . ليس لدى أى شئ إطلاقا . لا شئ البتة لأقدمه لأحد " . قال ذلــك وكأنــه يرعد ويزمجر حتى غادر المنزل .

لقد ذهب إلى المسجد مباشرة وبدأ يتلو صــلاة مــا بعــد منتصف الليل . بعد ذلك وعندما ارتدت السماء لون الفجــر اللؤلؤى الرمادى دعا المؤمنين لصلاة الصبح مع الآذان ثــم شرع يتلو القرآن الكريم .

عندما عاد للمنزل بعد أداء الصلاة رأى زيبــون تجلــس على سريرها وهى تحملق فــى الجــدار . كــانت عيناهــا مغمضتين وبدت شاحبة مرهقة .

وكانت زبدا وشمسون نائمتين بجانبها وكأنهما ربطتــان ، وكشخص مذنب مشى على أطراف أصابعه إلــى ســريره وجلس هناك صامتا وكأنه صورة لا حياة فيها .

بعد قليل أخذ نفسا عميقا . وعند سماع تنهيدته الطويلـــة ، استدارت ونظرت إليه . بدا حزينا ضائعا . وعندما التقـــت عيونهما ، ابتسم بحزن وأشار اليها أن تأتى إليه ففعلت .

" أين ذهبت " سألته .

" إلى المسجد " .

" لماذا ذهبت ؟ " .

" لماذا يذهب الناس إلي المسجد ؟ " .

" أعلم ولكن هل فكرت ... ؟ " .

توقفت لأنها لم تعرف كيف تعبر عن مشاعرها .

" نعم أعلم . يجب أن أذهب إليها الآن " .. إنه قد ....

" صفر اليدين ؟ " .

" هذا ما كنت أفكر فيه . "

" إن كنت تستطيع أن تحصل على قرض بمبلغ عشر روبيات ... "

اتسعت عيناه من فرط الدهشة . " ليس هناك أى أحمق يعطى أبو البركات قرضا . إنهم جميعا يعرفوننى جيدا " بدا فى غاية الاكتئاب والغم لدرجة أن زيبون قد غيرت الموضوع. سألته : " كيف حال شودرى ؟ " .

أجابها : " إننى ذاهب هناك " . إذا كان أحسن حالا فإنه سيستفسر عن مهرون حتما . ربما يقوم بتقديم شئ . لا تقلقى إن الله سيبعث شيئا . وعندما قال ذلك غادر المنزل ثانية وهو يجر ساقيه المتعبتين .

لم يرجع لمدة طويلة وفى تلك الأثناء استعدت زيب النساء للخروج . وطلبت من عارف أن يستحم ويستعد لمرافقتها لمنزل أخته . وبعد ذلك بدأت فترة الانتظار التى تبعث على القلق . وبعد برهة وجيزة أصبحت مضطربة لدرجة أن أقل صوت كان يجعلها تجفل وتنظر نحو عتبة الدار بترقب .

وبعد عدد من الساعات يعرفها الله ، فتح الباب الرئيسى بطرقة قوية ثم اندفع مولوى أبول إلى الداخل وهو يلهث .

" يا أم عارف ، يا أم عارف " صرخ بـــأعلى صوتـــه . عندما رأته فى تلك الحالة المثيرة للقلق هرعت إليه وقد تبعها كل من زبدا وشمسون وعارف وعمدا وأطفال آخرون . لقـد اندفعوا جميعا نحوه وكأن زوبعة قد رفعتهم عاليا وبعثرتـــهم فى ساحة الدار .

" تهانينا يا أم عارف " . رفع مولوى أبول صوته قـــائلا بنفس اللهجة المنفعلة . " كنت تبكين من أجل ملابس حفيـدك أليس كذلك ؟ لقد دبر الله ملابسه حتى قبعته . من الجنازة أنا واثق من الحصول على عشرين روبية على الأقـــل . إنـــها جنازة شودرى ؟ ستكون جاهزة للدفن قريبا جدا . ألم تسمعى يا أم عارف ؟ إن شودرى فتح داد قد مات " .

وقبل أن يفرغ من كلامه بدأت زيبون تضرب صدرهـــا بعنف شديد لدرجة أن الأطفال شــعروا بــالرعب وأخــذوا يبكون. وبعد ذلك حدث شئ مفاجئ لمولوى أبول فإن جفنيـه المقلوبين إلى أعلى قد ارتفعا أكثر وكأن أحدا أمسك برقبتـــه بقسوة ضاغطا عليهما .

كان هناك ذلك الهدوء المؤقت قبل ما يشبه العاصفة سمع خلاله تشيج الأطفال ونحيبهم وبعد ذلك فقط فإن مولوى أبول الذى اعتقد أن بكاء الرجال وعويلهم إنما هو مخالف للتعاليم الإلهية وضد دستور الحياة الإسلامية . قد انفجر باكيا وأخذ ينتحب بألم شديد . وضرب قدميه بقوة كالأطفال وركض بغضب شديد من المنزل إلى الزقاق فى الشارع .

# المعطـــف

غلام عباس*

فى إحدى أمسيات شهر أكتوبر ، كان هناك شاب أنيق فى طريقه إلى السوق الرئيسية بعد أن قطع شارع ديفس ، لكنــه عاد فغير وجهته نحو التقاطع فى منطقة تشيرنج . كان لــــه شعر أملس لامع وشاربان ظهرا كما لو أنهما رســـما بقلــم رصاص . وكان يرتدى معطفا بنيا وضع فى عروتـــه وردة بيضاء نصف متفتحة ، وقبعة خضراء مصنوعة من اللبــاد ، أمالها على رأسه ليزيد فى تبرجه وتظرفه . وعلـــى عنقــه وشاح حريرى أبيض . كانت إحدى يديه منسدلة فى جيـــب معطفه ، بينما كان يمسك باليد الثانية عصا قصيرة مصقولة، كان يلجأ إلى فتلها بازدهاء بين الفينة والأخرى .

كان اليوم هو أحد أيام السبت من منتصف شـــتاء شـــديد البرودة . فقد كانت الريح الزمهرير تلفح الوجـــوه وترتطــم على الأجسام كالسياط . ، لكن صاحبنا الشاب بدا كما لو أنــه لديه حصانة ضد تلك اللفحات القارسة . وهكذا ، وبينما كــان

بقية الناس يكدون فى مشيتهم التماسا لشئ من الدفء ، كان يتهادى فى سيره مستمتعا على ما يبدو بنزهته الغريبة فى ذلك الطقس البارد .

كان تأنقه الزائد يدفع سائقى عربات التونجا الذين كانوا يلمحونه ولو من بعيد إلى سوط جيادهم نحوه . لكنه كان يردهم بتلويحة من عصاه ملمحا إليهم عدم رغبته فى الركوب . كما أن إحدى سيارات الأجرة سارعت نحوه وتوقفت قربه بينما كان سائقها ينظر إليه مستفسرا ، لكنه ، هو الآخر رد على أعقابه ، مع بعض كلمات الشكر هذه المرة .

وبينما كان يقترب من الجزء الأكثر حيوية من منطقة الأسواق انتعشت نفسه وأخذ يصفر لحنا راقصا بدأ يخطو مسرعا على إيقاعه ، لكن خطواته تحولت فجأة إلى الركض، متظاهرا أنه يهم بتمريرة كرة ، كما لو أنه يمارس لعبة الكريكت . وعند المنعطف الذى يؤدى إلى حديقة لورانس ، توقف للحظة ليقرر على ما يبدو أى طريق سيسلك .

كانت الحديقة تبدو كئيبة منفرة للنفس تحـت ضـوء ذاك المساء المصقع ، لذا فقد توجه مباشرة نحو تقاطع تشـيرنج . وما إن وصل تمثال الملكة حتى سكن طيشه . وسحب منديلا من كم معطفه حيث كان قد وضعه وبدأ يمسح وجهه .

وعلى المرج الذى كان يقع على مقربة من التمثال ، كـان بعض الأولاد الإنجليز يلعبون بكرة مطاطية كبيرة . وقـف يتفرج على اللعب ، لكن الأولاد لم يلحظوه فى بداية الأمر ، وما إن شاهدوه وهو يحدق بهم شعروا بالإربـاك فحملـوا كرتهم وانطلقوا نحو الطرف الآخر من المرج وهم يضحكون ويتصايحون . أما صاحبنا ، فقد وقع نظره على مقعد أسمنتي على جانب الطريق ، جلس عليه بعد أن نفض ما تراكم عليه من غبار .

وما أن حل الظلام حتى بدأت حدة البرد تـتزايد . كـان البرد من النوع الذى دفع الناس لالتماس الراحـة والـدفء بالمتعة واللهو . ففى أوقات كتلك ، لم يكن المسرفون وحدهم يتجولون خارج منازلهم ، فحتى أولئك الذيـن اعتـادوا أن يقنعوا بالعيش فى طوق وحدتهم ، كـانوا يخرجـون مـن مخابئهم ليشاركوا فى متعة التجول فى الطرقات والاسـتمتاع

بدفء تقارب الأجسام . وهكذا فقد تدافع الناس نحو مركز المدينة حيث الفنادق الضخمة والمطاعم والمقاهى وغير ذلك من ضروب المتعة والتسلية . كل حسب طاقته . فأولئك الذين لا يستطيعون تحمل نفقات الاستمتاع فى الداخل حسبهم أن يجولوا نواظرهم عبر الأضواء الملونة والدعايات المتألقة فى الخارج . وفى الشارع الرئيسى كان هناك دفق لا ينتهى من السيارات والحافلات وعربات التونتيا والدراجات ، بينما كانت الأرصفة تعج بالمشاة.

أما الشاب الظريف الذي كان يجلس علي المقعد الأسمنتي فقد اكتفي بالتفرج علي المارة وهم يعبرون الرصيف أمامه . وكان اهتمامه ينصب علي لباسهم دون وجوههم وأشخاصهم التي كانت تمثل كل مسارات الحياة ، فمنهم التاجر والموظف والطالب والفنان والسائح والكاتب والمراسل وغيرهم . كان معظمهم يرتدون المعاطف بشتى أشكالها وأنواعها بدءا من تلك الصديريةالمصنوعة من وبر الخراف المجعد الفاخر الصنع حتي تلك المعاطف الخشنة التي يجدها المرء في أكداس كبيرة في محلات الثياب المستعملة .

كان معطفة قديما ، لكنه كان حسن التفصيل والقماش . وكانت قبته وثنية صدره مجسمة وأكمامه طويلة . أما أزراره الكبيرة اللامعة فكانت مصنوعة من عظم القرن . وباختصار ، فقد بدا الرجل في منتهي السرور وهو يرتدي معطفه هذا .

وبينما هو جالس يراقب المارة ، مر صبي يبيع السجائر وأوراق التنبول ،فاستوقفه قائلا :

هل لديك ( فكة ) لعشر روبيات؟

لا يا سيدي ، ولكن سأذهب لأصرفها لك .

ولكن ماذا لو لم تعد ؟

إذا كنت لا تثق بي يا سيدي ، فبإمكانك أن ترافقني . علي أي حال ، ماذا تريد أن تشتري ؟

لا بأس .. خذ ، لقد وجدت آنة واحدة . أعطني سيجارة من النوع الفاخر وانصرف .

أشعل سيجارته وبدا وهو يستمتع بكل نفس فيها . وبينما كان يستمتع بتدخينه ، أحس بقطة بيضاء صغيرة ناحلة تموء وهي تلتصق بساقه . " يا لها من حيوانة صغيرة دمدم قائلا ، وهو يملس علىفروها الناعم .

ولم تمض دقائق قليلة حتي هب واقفا ، ثم أنطلق يجوب شوارع منطقة الأسواق الرئيسية حتي استهوته الأضواء المتألقة لإحدى ردهات دور العرض السينمائي .

كان الفيلم قد بدأ ، وكان ثمة أشخاص يتفرجون بتثاقل علي لوحة العروض القادمة . ومن بين أولئك الأشخاص كان هناك ثلاث فتيات إنجليزيات المولد هنديات الموطن يقهقهن علي مجموعة من الصور المعلقة . اقترب الشاب منهن لكنه بقي علي بعد خطوتين منهن حسب ما تقتضيه اللياقة .

نظرت إحداهن الي الخلف وسط لكزات ونظرات الأخريات . فجأة انفجرت ضاحكة بينما دفعتها رفيقتاها اللتان كانتا تحاولان ضبط نفسيهما نحو الخارج . وما هي إلا ثوان قليلة حتي كن خارج ردهة السينما . بدا الشاب غير مكترث بمغادرتهن ثم غادر هو نفسه المكان بعد قليل من التردد .

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة . تابع من جديد جولته في قلب المدينة . كانت الألحان الموسيقية تنبعث من أحد المطاعم حيث تجمع العديد من الناس في الخارج ، عابرو سبيل ، عدد من سائقي سيارات الأجرة وعربات التونجا وعمال ومتسولون . وفي أحد الأطراف وقف عدد من بائعي الفاكهة أمام سلالهم الفارغة يستمتعون بالألحان الشجية التي تعزفها مجموعة من الموسيقيين البارعين داخل المطعم . وبدا المتفرجون أكثر استمتاعا من أولئك الذين كانوا داخل المطعم ، فقد كانوا ينصتون بصمت رغم أن الموسيقي كانت أجنبية حديثة .

وقف الشاب بين الحشد ، وأخذ يستمع للحظات قليلة ثم تابع مسيره . وبعد دقائق قليلة وجد نفسه خارج أحد محلات بيع الأسطوانات الموسيقية الغربية الضخمة . ودون أن يتردد اتجه نحو الداخل ، حيث الكثير من الآلات والأدوات الموسيقية مرتبة علي رفوف منتشرة علي الجدران وعلي إحدى الطاولات كان هناك عدد من الأسطوانات التي تضم أحدث الأغاني ، معروضة بطريقة جذابة وملفتة للنظر . أخذ الشاب يستعرض بنظره تلك الأسطوانات ثم انتقل نظره إلى قيثارة إسبانية معلقة علي إحدى الجدران . تفحصها بعين

إنسان خبير ثم بدأ يتحدث مع نفسه حول السعر المعلق عليها . بعد ذلك تحول نظره الي بيانو ألماني في إحدى زوايا المحل . رفع غطاءه وعزف بعض الألحان ثم عاد فأغلقه .

اقترب أحد موظفي البيع بلباقة قائلا :

" طاب مساؤك ، يا سيدى " " هل من خدمة؟ "

" لا شكرا " ، أجاب الشاب بطريقة تنم عن عدم اكتراث . لكنه بدا كما لو أنه تذكر شيئا بشكل مفاجئ فقال : " نعم ، هل تستطيع منحى قائمة هذا الشهر للاسطوانات الجديدة ؟ ".

تناول القائمة ودسها فى جيب معطفه ثم تابع نزهته فى السوق .

كانت المحطة التالية فى جولته عند محل لبيع الكتب والمجلات . التقط بعض المجلات وأخذ يقلب صفحاته ، ثم أعادها بعناية إلى مكانها . وعلى بعد أمتار قليلة ، لفت نظره سجادة عجمية كبيرة ، كانت معلقة خارج أحد المتاجر وما أن رآه صاحب المتجر الذى كان يرتدى ثوبا طويلا وعمامة حريرية حتى بادره بتحية حارة .

" أريد أن أتفحص هذه السجادة " ، قال الشاب

أجاب صاحب المتجر : " بكل سرور ، يا سيدى " .

وعندما هم صاحب المتجر لإنزال السجادة ، سارع الشاب قائلا :

" لا تكلف نفسك هذا العناء . فأنا أستطيع مشاهدتها على هذه الحالة " ، " كم هو ثمنها ؟ " .

" ألف وأربعمائة وثلاثون روبية ، يا سيدى " ، أجاب التاجر ببشاشة . ارتسمت علامات العبوس على وجه الشاب ، وبدا كما لو أنه يريد أن يقول بأن الثمن الذى طلبه باهظ جداً .

سارع التاجر إلى القول : " ما عليك إلا أن تختار يا سيدى وسوف أخفض لك السعر إلى الحد الأدنى " .

شكره الشاب ممتنا وقال : " إنها حقاً سجادة رائعة ، سوف أجئ فى وقت آخر" . ثم انطلق فى مسيره من جديد . كادت الوردة البيضاء التى كانت تزين عروة معطفه أن تقع

بعد أن انزاحت عن مكانها قليلا ، لكنه راح يحاول تثبيتها بعد أن ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة غريبة .

هاهو الآن وقد قادته قدماه إلى رصيف يقع بالقرب من المحكمة العليا . لقد مضى وقت طويل وهو ينتقل من مكان لآخر ، لكنه رغم ذلك كان لا يزال محافظا على معنوياته العالية ، فلم ينل التعب أو الكلل منه أى نصيب .

كانت حدة الزحام فى هذه المنطقة قد بدأت تخف كثيرا ، وبدت الأرصفة شبه خالية من المارة . وبينما كان الشاب يحاول أن يسلى نفسه ببرم عصاه ، سقطت العصا على الأرض فعاد ليلتقطها وهو يأسف بدهشة لإخفاقه .

وفى تلك الأثناء مر به شاب وفتاة كانا يسيران خلفه ثم تجاوزاه . كان الشاب طويلا ومرتديا سروالا سميكا وسترة جلدية . أما الفتاة فكانت ترتدى ثوبا متهدلا مصنوعا من الساتان الأبيض ومعطفا أخضر . كانت قصيرة القامة ضخمة الحجم ، وكانت ضفيرة شعرها ترتطم بمؤخرتها المكتنزة بصورة مثيرة وهى تسير ورفيقها أمام بطل قصتنا الشاب الذى شعر بالبهجة وهو يراقب ذلك المشهد مما دفعه

إلى متابعة السير خلفهما . وبعد فترة مـــن الصمـــت ســـمع الشاب يهمس فى أذن فتاته ، لكنها أجابته محتدة : " لا " .

" لكننى أخبرتك أن الطبيب هو أحد أصدقائى ولن يعـوف أحد شئ عن تلك القضية " .

" لا . قلت لك لا " .

" لن ينطوى ذلك على أى ألم " .

ظلت الفتاة صامتة دون إجابة .

" إنك تدركين كم سيكون ذلك مزعجا بالنسبة لوالديك .

" عليك أن تفكرى بشرفهما " .

" اخرس وإلا سأخرج عن شعورى " .

لم يجد الشاب حتى هذا الحين ما يمكن أن يثير اهتمامـــه فى كل مشاهداته فى ذلك المساء . فقد كان غارقا فى التفكير فى نفسه . لكن هذه المشاهدة الأخيرة بدت وكأنها اســتحوذت

تفكيره ، قد وجد نفسه أمام شخصيتين غريبتين بدتا كما لـــو أنهما خرجتا من بين صفحات قصة رومانسية .

تابع اللحاق بهما محاولا الاقتراب منهما أكثر فأكثر علـــه يحظى بنظرة أكثر قربا لوجهيهما ويستمع المزيد مما كـــان يدور بينهما من حديث .

وها هما الآن يقتربان من المعبر الرئيسى قـــرب مكتـــب البريد المركزى . وقف الشاب ورفيقته برهة ثم توجها نحـــو شارع مكلويد . أما صاحبنا الشاب فقد توقف عن المســـير ، ربما كان يظن بأنه لو استمر فى اللحاق بهما لشعرا بأنه كان يقوم بتتبعهما . لذا فقد فكر أنه ربما كان من الأفضل لـــه أن ينتظر لبعض الوقت .

وما أن قطع الشاب وفتاته بضعة أمتاربعيدا عنـــه حتـــى أسرع الخطى كى يلحق بهما . وكـــاد أن يقطـــع منتصـــف الطريق عبر الشارع عندما صدمته شاحنة بـــالقرميد مـــرت منطلقة من خلفه مثل ريح عاصفة تاركة إياه ملقـــى علـــى الأرض ، وتابعت مسيرها مسرعة نحو شارع مكلويد . سمع سائق الشاحنة صيحة فحاول للوهلة الأولى أن يخفـــف مـــن

سرعته ، لكنه بعد أن أدرك أن شيئا خطيرا قد حـــدث عـــاد فانطلق بشاحنته مسرعا مستغلا جناح الظلام ليختفـــى فـــى عتمة الليل .

صاح اثنان أو ثلاثة أشخاص من عابرى الســـبيل ممـــن شهدوا وقوع الحادث : " أوقفوه .. " " خذوا رقم ســـيارته ! " لكن الشاحنة كانت قد توارت عن الأنظار .

وما هى إلا لحظات قليلة حتى تجمهر بعض الناس حـــول المكان . وتوقف أحد شرطة المرور الذى كان يقوم بالدورية على دراجته النارية ليرى ما حدث . كان الشاب قد أصيـــب بجروح بالغة وكانت حالته تدعو إلى القلق . أوقف الشـــرطى إحدى السيارات العابرة حيث نقل بواســـطتها إلـــى إحـــدى المستشفيات القريبة وهو يلفظ آخر أنفاسه .

وفى قسم الإسعاف ، سارع الجراح المساعد خان واثنتـــان من الممرضات ، شهناز وجل' الذين كـــانوا ينـــاوبون فـــى المستشفى إلى بذل الجهود لإسعافه ، حيث مددوه على طاولة العمليات ، وكان لا يزال مرتديا معطفـــه البنـــى ووشـــاحه الحريرى .

كانت بقع الدم الكبيرة تغطى مساحة كبيرة من ثيابه . وقد قام أحدهم من قبيل الشفقة بوضع قبعته الخضراء على صدره أثناء نقله كي لا تضيع وهو فى الطريق إلى المستشفى .

قالت الممرضة شهناز مخاطبة زميلتها جل : " إن مظهره يدل على أنه رجل ميسور " .

" مسكين ، لقد لبس أحسن ثيابه ربما لمناسبة سعيدة ما فى هذه الليلة " أجابت جل بنبرة منخفضة .

هل أمسكوا بالسائق ؟

لا ، لقد لاذ بالفرار .

انه لأمر يبعث على الشفقة ، حقا!

وفى غرفة العمليات كان الجراح المساعد والممرضتان الذين ارتدوا كمامات العمليات الجراحية يقومون بمحاولة يائسة لإنقاذ حياته . وكان الشاب ممددا على منصته ورائحه

الزيت المعطر القوية التى وضعت عليه فى تلـــك الليلـــة لا زالت تنبعث منه بصورة باهتة .

سارعت الممرضة بنزع ثيابه . وكان وشاحه الحريـــرى أول قطعة ثياب أريد نزعها . وفجأة تبــــادلت الممرضتـــان النظرات ، فلم يكن بمقدورهما التعبير بالكلمات وهما يرتديان الكمامات .

لم يكن تحت ذلك الوشاح ربطة عنق أو قميص . إذ لـــم يكن هناك أثر قميص . تحت ذلك المعطف البنى الأنيق كـان الشاب مرتديا صديرية بالية مليئة بالثقوب التى كشفت عـــن قميص داخلى غير نظيف لم يكن أحسن حــــالا مـــن تلـــك الصديرية الممزقة . وقد لجأ ذلك الشاب الى ارتداء الوشــــاح بطريقة أخفى من خلالها عنقه ومعظم صدره . كانت طبقات الوسخ تغطى أنحاء جسمه الذى بدا وكأنه لم يلامس الماء منذ فترة طويلة . أما الجزء العلوي من عنقه فقد بدا وكأنه نظيف وزاه . بعد ذلك ، جاء دور سرواله ، الذي مــــا أن وقعــت عيون الممرضتين عليه حتي عادتا تتبادلان النظـــرات مـــن جديد . فقد كان سرواله مربوطا بإحكام حول ركبتيه بشـــريط قماشي قديم ربما كان في يوم من الأيام عبارة عـــن ربطـــة

عنق . كان دون أزرار . أما قماشه فكـــان مــهترئا عنــد الركبتين ، لكن المعطف الذي كان يرتديه ساعد علي إخفــاء كل تلك العيوب .

كان حذاؤه قديما ، لكنه مطلي لامع . أما بالنسبة لجواربه فقد كانت عبارة عن فردتين متنافرتين شكلا ولونا ، عـــلاوة علي أنهما كانتا ممزقتين عند الكاحل .

وها هو الشاب الآن مجرد جسم هامد بلا حياة ممدد علـــي الرخامة البيضاء كان وجهه قبل أن تخلع ثيابه باتجاه السقف ، لكنه أصبح متوجها نحو الجدار بينما كـــانت الممرضتـــان تزيحان الملابس عن جسمه . لعله فعل ذلك خجلا من هـــذا التعري المزدوج للجسد والروح .

وفي داخل جيوب معطفه تم العثور علي ما يلي :

مشط أسود صغير ، مبلغ يسير مـــن النقــود ، نصــف سيجارة ، مفكرة صغيرة كتب فيها أسماء وعنـــاوين بعــض الأشخاص إضافة إلى قائمة بأسماء الأســـطوانات الحديثـــة ومنشورات دعائية دفع بها إليه الموزعــون خـــلال جولتــه المسائية .

أما عصاه الصغيرة التي ربما فقدت أثناء وقوع الحـــادث فلم تكن للأسف مشمولة في قائمة مقتنياته الخاصة .



# الفهرس

# المشــروع القومــى للترجمــة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنميــــة ثقافيــة بالدرجــة الأولى، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشـــروعات الترجمــة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل ، معتمدا المبادئ التالية :

١. الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنـــة اللغتيــن الإنجليزية والفرنسية .
٢. التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجـــالات العلميــة والفنية والفكرية والإبداعية .
٣. الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلــم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .
٤. ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة ، جنبا إلى جنـب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركــة الإبداع والفكر العالميين .
٥. العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مـــع لجنـــة الترجمــة بالمجلس الأعلى للثقافة .
٦. الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنســـيق الجـــهود مـــع المؤسسات المعنية بالترجمة .



# المشروع القومى للترجمة

| العنوان | المؤلف | المترجم |
|---|---|---|
| ١- اللغة العليا (طبعة ثانية) | جون كوين | ت : أحمد درويش |
| ٢- الوثنية والإسلام | ك. مادهو بانيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣- التراث المسروق | جورج جيمس | ت : شوقى جلال |
| ٤- كيف تتم كتابة السيناريو | انجا كاريتنكوفا | ت : أحمد الحضرى |
| ٥- ثريا فى غيبوبة | إسماعيل فصيح | ت : محمد علاء الدين منصور |
| ٦- اتجاهات البحث اللسانى | ميلكا إفيتش | ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد |
| ٧- العلوم الإنسانية والفلسفة | لوسيان غولدمان | ت : يوسف الأنطكى |
| ٨- مشعلو الحرائق | ماكس فريش | ت : مصطفى ماهر |
| ٩- التغيرات البيئية | أندرو س. جودى | ت : محمود محمد عاشور |
| ١٠- خطاب الحكاية | جيرار جينيت | ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى |
| ١١- مختارات | فيسوافا شيمبوريسكا | ت : هناء عبد الفتاح |
| ١٢- طريق الحرير | ديفيد براونيستون وايرين فرانك | ت : أحمد محمود |
| ١٣- ديانة الساميين | روبرتسن سميث | ت : عبد الوهاب علوب |
| ١٤- التحليل النفسى للأدب | جان بيلمان نويل | ت : حسن المودن |
| ١٥- الحركات الفنية | إدوارد لويس سميث | ت : أشرف رفيق عفيفى |
| ١٦- أثينة السوداء | مارتن برنال | ت: بإشراف: أحمد عتمان |
| ١٧- مختارات | فيليب لاركين | ت : محمد مصطفى بدوى |
| ١٨- الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية | مختارات | ت : طلعت شاهين |
| ١٩- الأعمال الشعرية الكاملة | چورج سفيريس | ت : نعيم عطية |
| ٢٠- قصة العلم | ج. ج. كراوثر | ت: يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح |
| ٢١- خوخة وألف خوخة | صمد بهرنجى | ت : ماجدة العنانى |
| ٢٢- مذكرات رحالة عن المصريين | جون أنتيس | ت : سيد أحمد على الناصرى |
| ٢٣- تجلى الجميل | هانز جيورج جادامر | ت : سعيد توفيق |
| ٢٤- ظلال المستقبل | باتريك بارندر | ت : بكر عباس |
| ٢٥- مثنوى | مولانا جلال الدين الرومى | ت : إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٦- دين مصر العام | محمد حسين هيكل | ت : أحمد محمد حسين هيكل |
| ٢٧- التنوع البشرى الخلاق | مقالات | ت : نخبة |
| ٢٨- رسالة فى التسامح | جون لوك | ت : منى أبو سنه |
| ٢٩- الموت والوجود | جيمس ب. كارس | ت : بدر الديب |
| ٣٠- الوثنية والإسلام (ط٢) | ك. مادهو بانيكار | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣١- مصادر دراسة التاريخ الإسلامى | جان سوفاجيه - كلود كاين | ت : عبد الستار الحلوجى / عبد الوهاب علوب |
| ٣٢- الانقراض | ديفيد روس | ت : مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٣٣- التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية | أ. ج. هوبكنز | ت : أحمد فؤاد بلبع |
| ٣٤- الرواية العربية | روجر آلن | ت : حصة إبراهيم المنيف |
| ٣٥- الأسطورة والحداثة | بول . ب . ديكسون | ت : خليل كلفت |

| العنوان | المؤلف | المترجم |
|---|---|---|
| ٣٦- نظريات السرد الحديثة | والاس مارتن | ت : حياة جاسم محمد |
| ٣٧- واحة سيوة وموسيقاها | بريجيت شيفر | ت : جمال عبد الرحيم |
| ٣٨- نقد الحداثة | آلن تورين | ت : أنور مغيث |
| ٣٩- الإغريق والحسد | بيتر والكوت | ت : منيرة كروان |
| ٤٠- قصائد حب | آن سكستون | ت : محمد عيد إبراهيم |
| ٤١- ما بعد المركزية الأوربية | بيتر جران | ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ماجد |
| ٤٢- عالم ماك | بنجامين باربر | ت : أحمد محمود |
| ٤٣- اللهب المزدوج | أوكتافيو پاث | ت : المهدى أخريف |
| ٤٤- بعد عدة أصياف | ألدوس هكسلى | ت : مارلين تادرس |
| ٤٥- التراث المغدور | روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين | ت : أحمد محمود |
| ٤٦- عشرون قصيدة حب | بابلو نيرودا | ت : محمود السيد على |
| ٤٧- تاريخ النقد الأدبى الحديث (١) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٤٨- حضارة مصر الفرعونية | فرانسوا دوما | ت : ماهر جويجاتى |
| ٤٩- الإسلام فى البلقان | هـ . ت . نوريس | ت : عبد الوهاب علوب |
| ٥٠- ألف ليلة وليلة أو القول الأسير | جمال الدين بن الشيخ | ت : محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى |
| ٥١- مسار الرواية الإسبانو أمريكية | داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٢- العلاج النفسى التدعيمى | بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل | ت : لطفى فطيم وعادل دمرداش |
| ٥٣- الدراما والتعليم | أ . ف . ألنجتون | ت : مرسى سعد الدين |
| ٥٤- المفهوم الإغريقى للمسرح | ج . مايكل والتون | ت : محسن مصيلحى |
| ٥٥- ما وراء العلم | چون بولكنجهوم | ت : على يوسف على |
| ٥٦- الأعمال الشعرية الكاملة (١) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود على مكى |
| ٥٧- الأعمال الشعرية الكاملة (٢) | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى |
| ٥٨- مسرحيتان | فديريكو غرسية لوركا | ت : محمد أبو العطا |
| ٥٩- المحبرة | كارلوس مونييث | ت : السيد السيد سهيم |
| ٦٠- التصميم والشكل | جوهانز ايتين | ت : صبرى محمد عبد الغنى |
| ٦١- موسوعة علم الإنسان | شارلوت سيمور - سميث | مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى |
| ٦٢- لذّة النّص | رولان بارت | ت : محمد خير البقاعى . |
| ٦٣- تاريخ النقد الأدبى الحديث (٢) | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٦٤- برتراند راسل (سيرة حياة) | آلان وود | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٥- فى مدح الكسل ومقالات أخرى | برتراند راسل | ت : رمسيس عوض . |
| ٦٦- خمس مسرحيات أندلسية | أنطونيو جالا | ت : عبد اللطيف عبد الحليم |
| ٦٧- مختارات | فرناندو بيسوا | ت : المهدى أخريف |
| ٦٨- نتاشا العجوز وقصص أخرى | فالنتين راسبوتين | ت : أشرف الصباغ |
| ٦٩- العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين | عبد الرشيد إبراهيم | ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى |
| ٧٠- ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية | أوخينيو تشانج رودريجث | ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد |
| ٧١- السيدة لا تصلح إلا للرمى | داريو فو | ت : حسين محمود |

| | | | |
|---|---|---|---|
| -٧٢ | السياسى العجوز | ت . س . إليوت | ت : فؤاد مجلى |
| -٧٣ | نقد استجابة القارئ | چين . ب . توميكنز | ت : حسن ناظم وعلى حاكم |
| -٧٤ | صلاح الدين والمماليك فى مصر | ل . ا . سيمينوڤا | ت : حسن بيومى |
| -٧٥ | فن التراجم والسير الذاتية | أندريه موروا | ت : أحمد درويش |
| -٧٦ | چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى | مجموعة من الكتاب | ت : عبد المقصود عبد الكريم |
| -٧٧ | تاريخ النقد الأدبى الحديث ج ٣ | رينيه ويليك | ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| -٧٨ | العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية | رونالد روبرتسون | ت : أحمد محمود ونورا أمين |
| -٧٩ | شعرية التأليف | بوريس أوسبنسكى | ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى |
| -٨٠ | بوشكين عند «نافورة الدموع» | ألكسندر بوشكين | ت : مكارم الغمرى |
| -٨١ | الجماعات المتخيلة | بندكت أندرسن | ت : محمد طارق الشرقاوى |
| -٨٢ | مسرح ميجيل | ميجيل دى أونامونو | ت : محمود السيد على |
| -٨٣ | مختارات | غوتفريد بن | ت : خالد المعالى |
| -٨٤ | موسوعة الأدب والنقد | مجموعة من الكتاب | ت : عبد الحميد شيحة |
| -٨٥ | منصور الحلاج (مسرحية) | صلاح زكى أقطاى | ت : عبد الرازق بركات |
| -٨٦ | طول الليل | جمال مير صادقى | ت : أحمد فتحى يوسف شتا |
| -٨٧ | نون والقلم | جلال آل أحمد | ت : ماجدة العنانى |
| -٨٨ | الابتلاء بالتغرب | جلال آل أحمد | ت : إبراهيم الدسوقى شتا |
| -٨٩ | الطريق الثالث | أنتونى جيدنز | ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين |
| -٩٠ | وسم السيف | ميجل دى ثرباتس | ت : محمد إبراهيم مبروك |
| -٩١ | المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق | باربر الاسوستكا | ت : محمد هناء عبد الفتاح |
| -٩٢ | أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر | كارلوس ميجل | ت : نادية جمال الدين |
| -٩٣ | محدثات العولمة | مايك فيذرستون وسكوت لاش | ت : عبد الوهاب علوب |
| -٩٤ | الحب الأول والصحبة | صمويل بيكيت | ت : فوزية العشماوى |
| -٩٥ | مختارات من المسرح الإسبانى | أنطونيو بويرو باييخو | ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف |
| -٩٦ | ثلاث زنبقات ووردة | قصص مختارة | ت : إدوار الخراط |
| -٩٧ | هوية فرنسا مج ١ | فرنان برودل | ت : بشير السباعى |
| -٩٨ | الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى | نماذج ومقالات | ت : أشرف الصباغ |
| -٩٩ | تاريخ السينما العالمية | ديڤيد روبنسون | ت : إبراهيم قنديل |
| -١٠٠ | مساءلة العولمة | بول هيرست وجراهام تومبسون | ت : إبراهيم فتحى |
| -١٠١ | النص الروائى (تقنيات ومناهج) | بيرنار فاليط | ت : رشيد بنحدو |
| -١٠٢ | السياسة والتسامح | عبد الكريم الخطيبى | ت : عز الدين الكتانى الإدريسى |
| -١٠٣ | قبر ابن عربى يليه آياء | عبد الوهاب المؤدب | ت : محمد بنيس |
| -١٠٤ | أوبرا ماهوجنى | برتولت بريشت | ت : عبد الغفار مكاوى |
| -١٠٥ | مدخل إلى النص الجامع | چيرارچينيت | ت : عبد العزيز شبيل |
| -١٠٦ | الأدب الأندلسى | د. ماريا خيسوس روبييرامتى | ت : د. أشرف على دعدور |
| -١٠٧ | صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر | نخبة | ت : محمد عبد الله الجعيدى |

١٠٨- ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى — مجموعة من النقاد — ت : محمود على مكى
١٠٩- حروب المياه — چون بولوك وعادل درويش — ت : هاشم أحمد محمد
١١٠- النساء فى العالم النامى — حسنة بيجوم — ت : منى قطان
١١١- المرأة والجريمة — فرانسيس هيندسون — ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢- الاحتجاج الهادئ — أرلين علوى ماكليود — ت : إكرام يوسف
١١٣- راية التمرد — سادى پلانت — ت : أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع — وول شوينكا — ت : نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده — فرچينيا وولف — ت : سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق) — سينثيا نلسون — ت : نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام — ليلى أحمد — ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر — بث بارون — ت : لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق — أميرة الأزهرى سنبل — ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط — ليلى أبو لغد — ت : نخبة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغيرعن الكاتبات العربيات — فاطمة موسى — ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان — جوزيف فوجت — ت : منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية — نيقل الكسندر وفنادولينا — ت: أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب — چون جراى — ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى — سيدريك ثورپ ديڤى — ت : سمحه الخولى
١٢٦- فعل القراءة — ڤولڤانج إيسر — ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب — صفاء فتحى — ت : بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن — سوزان باسنيت — ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة — ماريا دولورس أسيس جاروته — ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية — أندريه جوندر فرانك — ت : شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) — مجموعة من المؤلفين — ت : لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة — مايك فيذرستون — ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا — طارق على — ت : طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة — بارى ج. كيمب — ت : أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت — ت. س. إليوت — ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا — كينيث كونو — ت : سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية — چوزيف مارى مواريه — ت : كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف — إيڤلينا تارونى — ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال — ريشارد ڤاجنر — ت : مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار — هربرت ميسن — ت : أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية — مجموعة من المؤلفين — ت : نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل — أ. م. فورستر — ت : حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى — ديريك لايدار — ت : عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة — كارلو جولدونى — ت : سلامة محمد سليمان

| العنوان | المؤلف | المترجم |
|---|---|---|
| ١٤٥- موت أرتيميو كروث | كارلوس فوينتس | ت : أحمد حسان |
| ١٤٦- الورقة الحمراء | ميجيل دى ليبس | ت : على عبدالرؤوف البمبى |
| ١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة | تانكريد دورست | ت : عبدالغفار مكاوى |
| ١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية) | إنريكى أندرسون إمبرت | ت : على إبراهيم على منوفى |
| ١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس | عاطف فضول | ت : أسامة إسبر |
| ١٥٠- التجربة الإغريقية | روبرت ج. ليتمان | ت : منيرة كروان |
| ١٥١- هوية فرنسا مج ٢ ، ج١ | فرنان برودل | ت : بشير السباعى |
| ١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى | نخبة من الكتاب | ت : محمد محمد الخطابى |
| ١٥٣- غرام الفراعنة | فيولين فانويك | ت : فاطمة عبدالله محمود |
| ١٥٤- مدرسة فرانكفورت | فيل سليتر | ت : خليل كلفت |
| ١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر | نخبة من الشعراء | ت : أحمد مرسى |
| ١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى | جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو | ت : مى التلمسانى |
| ١٥٧- خسرو وشيرين | النظامى الكنوجى | ت : عبدالعزيز بقوش |
| ١٥٨- هوية فرنسا مج ٢ ، ج٢ | فرنان برودل | ت : بشير السباعى |
| ١٥٩- الإيديولوچية | ديڤيد هوكس | ت: إبراهيم فتحى |
| ١٦٠- آلة الطبيعة | بول إيرليش | ت: حسين بيومى |
| ١٦١- من المسرح الإسبانى | اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا | ت: زيدان عبدالحليم زيدان |
| ١٦٢- تاريخ الكنيسة | يوحنا الآسيوى | ت: صلاح عبدالعزيز محجوب |
| ١٦٣- موسوعة علم الاجتماع | جوردن مارشال | ت: بإشراف: محمد الجوهرى |
| ١٦٤- شامبوليون (حياة من نور) | چان لاكوتير | ت: نبيل سعد |
| ١٦٥- حكايات الثعلب | أ. ن أفانا سيفا | ت: سهير المصادفة |
| ١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل | يشعياهو ليڤمان | ت: محمد محمود أبو غدير |
| ١٦٧- فى عالم طاغور | رابندرانات طاغور | ت: شكرى محمد عياد |
| ١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة | مجموعة من المؤلفين | ت: شكرى محمد عياد |
| ١٦٩- إبداعات أدبية | مجموعة من المبدعين | ت: شكرى محمد عياد |
| ١٧٠- الطريق | ميغيل دليبيس | ت: بسام ياسين رشيد |
| ١٧١- وضع حد | فرانك بيجو | ت: هدى حسين |
| ١٧٢- حجر الشمس | مختارات | ت: محمد محمد الخطابى |
| ١٧٣- معنى الجمال | ولتر ت. ستيس | ت:إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٧٤- صناعة الثقافة السوداء | ايليس كاشمور | ت: أحمد محمود |
| ١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية | لورينزو فيلشس | ت: وجيه سمعان عبد المسيح |
| ١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية | توم تيتنبرج | ت: جلال البنا |
| ١٧٧- أنطون تشيخوف | هنرى ترويا | ت: حصة إبراهيم المنيف |
| ١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث | نخبة من الشعراء | ت: محمد حمدى إبراهيم |
| ١٧٩- حكايات أيسوب | أيسوب | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٠- قصة جاويد | إسماعيل فصيح | ت: سليم عبد الأمير حمدان |
| ١٨١- النقد الأدبى الأمريكى | فنسنت ب. ليتش | ت: محمد يحيى |
| ١٨٢- العنف والنبوءة | و.ب. ييتس | ت: ياسين طه حافظ |
| ١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما | رينيه چيلسون | ت: فتحى العشرى |

| | | |
|---|---|---|
| ١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام | هانز إبندورفر | ت: دسوقى سعيد |
| ١٨٥- أسفار العهد القديم | توماس تومسن | ت: عبد الوهاب علوب |
| ١٨٦- معجم مصطلحات هيجل | ميخائيل إنوود | ت:إمام عبد الفتاح إمام |
| ١٨٧- الأرضة | بُزُرْج علوى | ت:محمد علاء الدين منصور |
| ١٨٨- موت الأدب | الفين كرنان | ت:بدر الديب |
| ١٨٩- العمى والبصيرة | بول دى مان | ت:سعيد الغانمى |
| ١٩٠- محاورات كونفوشيوس | كونفوشيوس | ت:محسن سيد فرجانى |
| ١٩١- الكلام رأسمال | الحاج أبو بكر إمام | ت: مصطفى حجازى السيد |
| ١٩٢- رحلة إبراهيم بك جـ١ | زين العابدين المراغى | ت:محمود سلامة علاوى |
| ١٩٣- عامل المنجم | بيتر أبراهامز | ت:محمد عبد الواحد محمد |
| ١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى | مجموعة من النقاد | ت: ماهر شفيق فريد |
| ١٩٥- شتاء ٨٤ | إسماعيل فصيح | ت:محمد علاء الدين منصور |
| ١٩٦- المهلة الأخيرة | فالتين راسبوتين | ت:أشرف الصباغ |
| ١٩٧- الفاروق | شمس العلماء شبلى النعمانى | ت: جلال السعيد الحفناوى |
| ١٩٨- الاتصال الجماهيرى | ادوين إمرى وآخرون | ت:إبراهيم سلامة إبراهيم |
| ١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية | يعقوب لانداوى | ت: جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد |
| ٢٠٠- ضحايا التنمية | جيرمى سيبروك | ت: فخزى لبيب |
| ٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة | جوزايا رويس | ت: أحمد الأنصارى |
| ٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث جـ٤ | رينيه ويليك | ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد |
| ٢٠٣- الشعر والشاعرية | ألطاف حسين حالى | ت: جلال السعيد الحفناوى |
| ٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم | زالمان شازار | ت: أحمد محمود هويدى |
| ٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات | لويجى لوقا كافاللى- سفورزا | ت: أحمد مستجير |
| ٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً | جيمس جلايك | ت: على يوسف على |
| ٢٠٧- ليل إفريقى | رامون خوتاسندير | ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف |
| ٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى | دان أوريان | ت: محمد أحمد صالح |
| ٢٠٩- السرد والمسرح | مجموعة من المؤلفين | ت: أشرف الصباغ |
| ٢١٠- مثنويات حكيم سنائى | سنائى الغزنوى | ت: يوسف عبد الفتاح فرج |
| ٢١١- فردينان دوسوسير | جوناثان كللر | ت: محمود حمدى عبد الغنى |
| ٢١٢- قصص الأمير مرزبان | مرزبان بن رستم بن شروين | ت: يوسف عبدالفتاح فرج |
| ٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر | ريمون فلاور | ت: سيد أحمد على الناصرى |
| ٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع | أنتونى جيدنز | ت: محمد محمود محى الدين |
| ٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بيك جـ٢ | زين العابدين المراغى | ت: محمود سلامة علاوى |
| ٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم | مجموعة من المؤلفين | ت: أشرف الصباغ |
| ٢١٧- مسرحيتان طليعيتان | ص. بيكيت | ت: نادية البنهاوى |
| ٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا) | خوليو كورتازان | ت: على إبراهيم على منوفى |
| ٢١٩- بقايا اليوم | كازو ايشجورو | ت: طلعت الشايب |
| ٢٢٠- الهيولية فى الكون | بارى باركر | ت: على يوسف على |
| ٢٢١- شعرية كفافى | جريجورى جوزدانيس | ت: رفعت سلام |

| العنوان | المؤلف | المترجم |
|---|---|---|
| ٢٢٢- فرانز كافكا | رونالد جراى | ت: نسيم مجلى |
| ٢٢٣- العلم فى مجتمع حر | بول فيرابنر | ت: السيد محمد نفادى |
| ٢٢٤- دمار يوغسلافيا | برانكا ماجاس | ت: منى عبدالظاهر إبراهيم السيد |
| ٢٢٥- حكاية غريق | جابرييل جارثيا ماركث | ت: السيد عبدالظاهر السيد |
| ٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى | ديفيد هربت لورانس | ت: طاهر محمد على البربرى |
| ٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر | موسى ماريديا ديف بوركى | ت: السيد عبدالظاهر عبدالله |
| ٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | ت:مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن |
| ٢٢٩- مأزق البطل الوحيد | نورمان كيجان | ت: أمير إبراهيم العمرى |
| ٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر | فرانسواز جاكوب | ت: مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣١- الدرافيل | خايمى سالوم بيدال | ت: جمال أحمد عبدالرحمن |
| ٢٣٢- ما بعد المعلومات | توم ستينر | ت: مصطفى إبراهيم فهمى |
| ٢٣٣- فكرة الاضمحلال | أرثر هومان | ت: طلعت الشايب |
| ٢٣٤- الإسلام فى السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | ت. فؤاد محمد عكود |
| ٢٣٥- ديوان شمس تبريزى ج١ | جلال الدين مولوى رومى | ت: إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٣٦- الولاية | ميشيل تود | ت: أحمد الطيب |
| ٢٣٧- مصر أرض الوادى | روبين فيرين | ت: عنايات حسين طلعت |
| ٢٣٨- العولمة والتحرير | الانكتاد | ت: ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد |
| ٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى | جيلارافر - رايوخ | ت: نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق |
| ٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كامى حافظ | ت: صلاح عبدالعزيز محجوب |
| ٢٤١- فى انتظار البرابرة | ج . م كويتز | ت: ابتسام عبدالله سعيد |
| ٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | ت: صبرى محمد حسن عبدالنبى |
| ٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية جـ١ | ليفى بروفنسال | ت: على عبدالرؤوف اليمبى |
| ٢٤٤- الغليان | لاورا إسكيبيل | ت: نادية جمال الدين محمد |
| ٢٤٥- نساء مقاتلات | إليزابيتا أديس | ت: توفيق على منصور |
| ٢٤٦- مختارات قصصية | جابرييل جارثيا ماركث | ت: على إبراهيم على منوفى |
| ٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر | والتر إرمبريست | ت: محمد طارق الشرقاوى |
| ٢٤٨- حقول عدن الخضراء | أنطونيو جالا | ت: عبداللطيف عبدالحليم عبدالله |
| ٢٤٩- لغة التمزق | دراجو شتامبوك | ت: رفعت سلام |
| ٢٥٠- علم اجتماع العلوم | دومنييك فينيك | ت: ماجدة محسن أباظة |
| ٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (ج٢) | جوردن مارشال | ت: بإشراف: محمد الجوهرى |
| ٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | ت: على بدران |
| ٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيمينوڤا | ت: حسن بيومى |
| ٢٥٤- الفلسفة | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٥- أفلاطون | ديف روبنسون وجودى جروفز | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٦- ديكارت | ديف روبنسون ، كريس جرات | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة | وليم كلى رايت | ت: محمود سيد أحمد. |
| ٢٥٨- الغجر | سير أنجوس فريزر | ت: عُباده كُحيلة |
| ٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور | اقلام مختلفة | ت: فاروجان كازانجيان |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع ج٣ | جوردن مارشال | ت: باشراف: محمد الجوهرى |
| ٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود | زكى نجيب محمود | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٢٦٢- مدينة المعجزات | إدوارد مندوثا | ت: محمد أبو العطا عبد الرؤوف |
| ٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن | جون جريين | ت: على يوسف على |
| ٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة | هوراس/ شلى | ت: لويس عوض |
| ٢٦٥- روايات مترجمة | أوسكار وايلد وصموئيل جونسون | ت: لويس عوض |
| ٢٦٦- مدير المدرسة | جلال آل أحمد | ت: عادل عبدالمنعم سويلم |
| ٢٦٧- فن الرواية | ديفيد لودج | ت: ماهر البطوطى |
| ٢٦٨- ديوان شمس تبريزى ج٢ | جلال الدين الرومى | ت: إبراهيم الدسوقى شتا |
| ٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١ | وليم جيفور بالجريف | ت: صبرى محمد حسن |
| ٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها ج٢ | وليم جيفور بالجريف | ت: صبرى محمد حسن |
| ٢٧١- الحضارة الغربية | توماس سى. باترسون | ت: شوقى جلال |
| ٢٧٢- الأديرة الأثرية فى مصر | س. س والترز | ت: إبراهيم سلامة |
| ٢٧٣- الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط | جوان أر. لوك | ت: عنان الشهاوى |
| ٢٧٤- السيدة باربارا | رومولو جلاجوس | ت: محمود مكى |
| ٢٧٥- ت. س إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا | أقلام مختلفة | ت: ماهر شفيق فريد |
| ٢٧٦- فنون السينما | فرانك جوتيران | ت: عبد القادر التلمسانى |
| ٢٧٧- الجينات: الصراع من أجل الحياة | بريان فورد | ت: أحمد فوزى |
| ٢٧٨- البدايات | إسحق عظيموف | ت: ظريف عبدالله |
| ٢٧٩- الحرب الباردة الثقافية | ف.س. سوندرز | ت: طلعت الشايب |
| ٢٨٠- من الأدب الهندى الحديث والمعاصر | بريم شند وآخرون | ت: سمير عبدالحميد |
| ٢٨١- الفردوس الأعلى | مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى | ت: جلال الحفناوى |
| ٢٨٢- طبيعة العلم غير الطبيعية | لويس ولبيرت | ت: سمير حنا صادق |
| ٢٨٣- السهل يحترق | خوان رولفو | ت: على البمبى |
| ٢٨٤- هرقل مجنونا | يوريبيدس | ت: أحمد عتمان |
| ٢٨٥- رحلة الخواجة حسن نظامى | حسن نظامى | ت: سمير عبد الحميد |
| ٢٨٦- رحلة إبراهيم بك ج٣ | زين العابدين المراغى | ت: محمود سلامة علاوى |
| ٢٨٧- الثقافة والعولمة والنظام العالمى | انتونى كنج | ت: محمد يحيى وآخرون |
| ٢٨٨- الفن الروائى | ديفيد لودج | ت: ماهر البطوطى |
| ٢٨٩- ديوان منجوهرى الدامغانى | أبو نجم أحمد بن قوص | ت: محمد نور الدين عبدالمنعم |
| ٢٩٠- علم اللغة والترجمة | جورج مونان | ت: أحمد زكريا إبراهيم |
| ٢٩١- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج١ | فرانشسكو رويس رامون | ت: السيد عبد الظاهر |
| ٢٩٢- المسرح الإسبانى فى القرن العشرين ج٢ | فرانشسكو رويس رامون | ت: السيد عبد الظاهر |
| ٢٩٣- مقدمة للأدب العربى | روجر آلان | ت: نخبة من المترجمين |
| ٢٩٤- فن الشعر | بوالو | ت: رجاء ياقوت صالح |
| ٢٩٥- سلطان الأسطورة | جوزيف كامبل | ت: بدر الدين حب الله الديب |
| ٢٩٦- مكبث | وليم شكسبير | ت: محمد مصطفى بدوى |
| ٢٩٧- فن النحو بين اليونانية والسريانية | ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهوانى | ت: ماجدة محمد أنور |

| | | |
|---|---|---|
| ٢٩٨- مأساة العبيد | أبو بكر تفاوابليوه | ت: مصطفى حجازى السيد |
| ٢٩٩- ثورة التكنولوجيا الحيوية | جين ل. ماركس | ت: هاشم أحمد فؤاد |
| ٣٠٠- أسطورة برومثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج١ | لويس عوض | ت: جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال |
| ٣٠١- أسطورة برومثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى مج٢ | لويس عوض | ت: جمال الجزيرى و محمد الجندى |
| ٣٠٢- فنجنشتين | جون هيتون وجودى جروفز | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٣- بوذا | جين هوب وبورن فان لون | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٤- ماركس | ريوس | ت: إمام عبد الفتاح إمام |
| ٣٠٥- الجلد | كروزيو مالابارته | ت: صلاح عبد الصبور |
| ٣٠٦- الحماسة - النقد الكانطى للتاريخ | چان - فرانسوا ليوتار | ت: نبيل سعد |
| ٣٠٧- الشعور | ديفيد بابينو | ت: محمود محمد أحمد |
| ٣٠٨- علم الوراثة | ستيف جونز | ت: ممدوح عبد المنعم أحمد |
| ٣٠٩- الذهن والمخ | أنجوس جيلاتى | ت: جمال الجزيرى |
| ٣١٠- يونج | ناجى هيد | ت: محيى الدين محمد حسن |
| ٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى | كولنجوود | ت: فاطمة إسماعيل |
| ٣١٢- روح الشعب الأسود | وليم دى بويز | ت:أسعد حليم |
| ٣١٣- أمثال فلسطينية | خايير بيان | ت: عبدالله الجعيدى |
| ٣١٤- الفن كعدم | جينس مينيك | ت: هويدا السباعى |
| ٣١٥- جرامشى فى العالم العربى | ميشيل بروندينو | ت: كاميليا صبحى |
| ٣١٦- محاكمة سقراط | آ.ف. ستون | ت: نسيم مجلى |
| ٣١٧- بلا غد | شير لايموفا- زنيكين | ت: أشرف الصباغ |
| ٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة | نخبة | ت: أشرف الصباغ |
| ٣١٩- صور دريدا | جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس | ت: حسام نايل |
| ٣٢٠- لمعة السراج فى حضرة التاج | مؤلف مجهول | ت: محمد علاء الدين منصور |
| ٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية ج٢ | ليفى برو فنسال | ت: نخبة من المترجمين |
| ٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن | دبليو يوجين كليتباور | ت: خالد مفلح حمزه |
| ٣٢٣- فن الساتورا | تراث يونانى قديم | ت: هانم سليمان |
| ٣٢٤- اللعب بالنار | أشرف أسدى | ت: محمود سلامة علاوى |
| ٣٢٥- عالم الآثار | فيليب بوسان | ت: كرستين يوسف |
| ٣٢٦- المعرفة والمصلحة | جورجين هابرماس | ت: حسن صقر |
| ٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة | نخبة | ت: توفيق على منصور |
| ٣٢٨- يوسف وزليخا | نور الدين عبد الرحمن بن أحمد | ت: عبد العزيز بقوش |
| ٣٢٩- رسائل عيد الميلاد | تد هيوز | ت: محمد عيد إبراهيم |
| ٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت | مارفن شبرد | ت: سامى صلاح |
| ٣٣١- عندما جاء السردين | ستيفن جراى | ت: سامية دياب |
| ٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا | نخبة | ت: على إبراهيم على منوفى |
| ٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا | نبيل مطر | ت: بكر عباس |

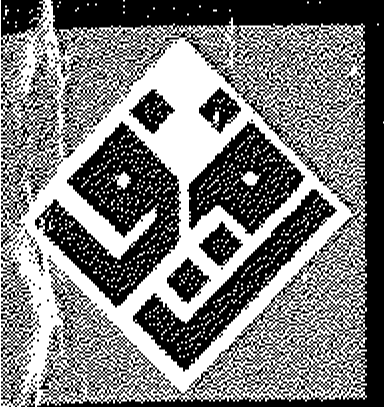
| | | |
|---|---|---|
| ٣٣٤- لقطات من المستقبل | آرثر.س كلارك | ت: مصطفى فهمى |
| ٣٣٥- عصر الشك | ناتالى ساروت | ت: فتحى العشرى |
| ٣٣٦- متون الأهرام | نصوص قديمة | ت: حسن صابر |
| ٣٣٧- فلسفة الولاء | جوزايا رويس | ت: أحمد الأنصارى |
| ٣٣٨- نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند) | نخبة | ت: جلال السعيد الحفناوى |

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١١٦٥٣

المركز المصرى العربى ت : ٧٧٩٥٦٠٧





# نظرات حائرة

وقصص أخرى من الهند

يضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة مختارة ومنتقاة من القصص القصيرة التى صدرت فى شبه القارة الهندية فى الخمسين عاما الأخيرة . وقد راعيت عند اختيارى هذه القصص أن أقدم نماذج من القصص القصيرة فى جميع أنحاء شبه القارة الهندية بداية من أقصى شمال الهند . وتوجد نماذجها فى قصص "آدم خان ودرخانى . ومرزا صاحبان . ومومل رانو . وعمر ماروى" مرورا بمدينة دلهى حيث قدمت نماذج للقصة القصيرة فيما عند قرة العين حيدر "نظرات حائرة" وبريم تشاند "الكفن" "وجاء العيد" وتعد هذه القصص قمة النضج الفنى فى القصة القصيرة فى شبه القارة الهندية .

وسوف يرى القارئ فى هذه القصص تمثيلاً كاملاً للقوميات والأعرا[ق] الهندية المتعددة . فمثلاً نجد الزرداشتية ممثلة فى قصة "نظر[ات حائرة"] والهندوسية ممثلة فى "الكفن" و"مالك البقرة" . والاسلام ممثل[ا فى] "جاء العيد" .

تصميم الغلاف : أسامة العبد